البيان
في شرح أصول الإيمان

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

البيان
في شرح أصول الإيمان

لشيخ الإسلام المجدد

مُحمَّد بن عبد الوهاب التميمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

شرحه

أ.د. أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة القصيم (سابقاً)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، أرسله الله تعالى بين يدي الساعة، بشيرًا ونذيرًا، فبلّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، حتى أتاه اليقين، فصلوات ربي وسلامه عليه، وعلى من اهتدى بهديه، واستنَّ بسنته إلى يوم الدين، **أما بعد:**

فلقد كان شيخ الإسلام، الإمام المجدد، محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، شامةً في جبين الدهر، وعلامةً فارقةً في تاريخ العقيدة، ومجددًا بحق للدين في القرن الثاني عشر الهجري. وكان من آثاره الحميدة هذا الكتاب الموجز في الاعتقاد: «**البيان في شرح أصول الإيمان**»، سلك فيه طريقة السلف المتقدمين من إيراد النصوص الشرعية، دون خلطها بكلام، والاكتفاء بوضع التراجم للأبواب. وبين يدي شرح هذا الكتاب، نقدِّم بمقدمةٍ وجيزةٍ عن سيرته العطرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

اسمه ومولده، ونشأته:

هو الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي، ولد في بلدة «العيينة» الواقعة شمال الرياض، سنة (١١١٥هـ) ونشأ في بيت علم ودين؛ إذ كان أبوه عبد الوهاب قاضيًا، وجده سليمان بن علي إمامًا من أئمة الحنابلة في نجد، تُحفظ أقواله، وتُتناقل اختياراته، وقد تولى والده القضاء في بلدة قريبة من العيينة، يقال لها: حريملاء، فنشأ في هذا المحضن العلمي نشأة صالحة، وحفظ القرآن قبل أن يتم عشر سنين. ولاحظ والده، منذ نعومة أظفاره، نبوغه ورجولته، فقدَّمه للإمامة بالناس، وزوجه

وعمره نحو ثنتي عشرة سنة، لما رأى فيه من مخايل الرجولة والفهم والعقل.

۞ طلبه للعلم:

تلقى الفقه الحنبلي، والحديث، والتفسير على يدي والده، وعلماء البلدات القريبة منه. ولما بلغ الحادية والعشرين من عمره، وذلك نحو سنة ١١٣٦هـ/١٧٠٣م، ارتحل إلى بلاد الحرمين للحج، وزيارة المسجد النبوي، والتقى بجمع من علماء تلك البلاد، وأخذ عنهم، ومنهم الشيخ محمد حياة السندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والشيخ إبراهيم آل سيف الشمري، والشيخ محمد العفالق، وجملة من علماء الحرمين، وأخذ عنهم إجازات بالحديث النبوي، وتفقه عليهم، وعاد أدراجه إلى نجد، ثم سمت به همته إلى طلب العلم في البصرة، فدرس على الشيخ محمد المجموعي، وأراد أن يرتحل إلى الشام، لولا أنَّه تعرض لقطَّاع طرق، فلم يتمكن من إتمام رحلته، ومرَّ في طريقه بالأحساء، وتلقى على علمائها، ثم عاد إلى نجد.

۞ دعوته الإصلاحية:

حصَّل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رحلاته العلمية علمًا كثيرًا، لكنه إلى جانب ذلك تمكَّن من الاطلاع على حال المسلمين في مطلع القرن الثاني عشر الهجري؛ إذ كانت البدع فاشية، ومظاهر الشرك منتشرة، والخرافات تعشعش في الأذهان، فحملته همَّته، ونُبل مقصده، وقوة شكيمته، على السعي لتجديد الدعوة إلى توحيد ربِّ العالمين.

وصح منه العزم بعد وفاة والده رَحِمَهُ ٱللَّهُ، سنة ١١٥٣هـ، وعمره إذ ذاك يناهز الأربعين. فمكث في حريملاء إلى سنة ١١٥٧هـ، ثم عاد إلى مسقط رأسه العيينة، وأيَّده أميرها ابن معمَّر على دعوته للتوحيد، غير أنه تعرَّض بسبب ذلك إلى ضغوطاتٍ وتهديداتٍ خارجية، حملته على أن يُخْرِج الشيخ من العيينة، فتوجه إلى بلدة الدرعية، وهناك التقى بأميرها الإمام محمد بن سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فعاقده وعاهده على نصر الدعوة، ووعده الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالنصر والتمكين.

قام الإمامان بدعوة رشيدة، مباركة، لتجديد التوحيد، والقضاء على الشرك ومظاهره، والسحر وتفشيه، وأمور أُخر كانت فاشية في بلاد نجد، فنصرهما الله نصرًا مؤزرًا. وجاهد الشيخ بقلمه، وصنَّف التصانيف النافعة، ومن أجلِّها: «كتاب التوحيد» و«الأصول الثلاثة» و«كشف الشبهات» و«القواعد الأربع» و«فضل الإسلام» وهذا الكتاب الذي بين أيدينا «أصول الإيمان» وغيرها.

وكانت له مراسلات واسعة، مع عديد من علماء، وأمراء، وأعيان، بلدات نجد، يدعوهم فيها إلى توحيد ربِّ العالمين، ويُعرِب لهم بشكلٍ صريح أنَّه لم يأتِ بجديد، ولم يبتدع مذهبًا خامسًا، كما كان خصومه يتهمونه، وإنَّما جاء ليجدد دعوة التوحيد التي بعث الله بها جميع أنبيائه ورسوله، كما قال تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وفاته:

أمدَّ الله تعالى في عمر الإمام، حتى توفي رحمه الله، سنة ١٢٠٦هـ في الدِّرعية، وقد عاش إحدى وتسعين، قضاها في جهاد طويل، وصبر جميل، وأقر الله عينه بانتشار دعوة التوحيد وامتداد سلطانها في أرجاء الجزيرة العربية، وتابع أبناؤه، وتلامذته، والأئمة من آل سعود، رحمهم الله، نشرها، وتوطيد أركانها، حتى تفيأ الناس أفياءها، وتضلعوا من نميرها، وضربوا بعطن.

آثارها:

إن آثار الدعوة الإصلاحية للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، ماثلة للعيان، فقد تجاوزت حدود الجزيرة العربية، وانتشرت في الآفاق، وتأثرت بها دعوات إصلاحية في شرق الأرض وغربها بدرجاتٍ متفاوتة. ولا تزال دعوته ـ بحمد الله ـ محل قناعة وقبول من كلِّ مؤمن غيور، ذي يقظة واعية، وضمير حي، يسعى لإعادة المسلمين إلى أصل دينهم، فيجد في كتب الإمام ورسائله من صراحة الأدلة، وصحتها، وقوة الاستدلال، ما يملأ قلبه ثقة وثباتًا.

وإنَّما ناوأ الشيخَ أهلُ الأهواء والبدع الذين خافوا على سدانتهم، ومكانتهم، وأكلهم أموال الناس بالباطل، من الرافضة المفترين، والصوفية الممخرقين، فناصبوه العداء، ورموه بالتهم، ونبزوه بأسوأ الألقاب، واتهموا دعوته، ولا يزالون. ولكن العاقل المنصف الرشيد لا يلتفت لهذا؛ بل يعمد إلى آثار الشيخ رَحِمَهُ اللهُ، ويقرؤها بعين البصيرة، فيجدها موافقة لمقاصد الكتاب والسنة. أما من كان في قلبه مرض فيحاول أن يلتقط من مطاوي التاريخ بعض الوقائع والأحداث العارضة، التي لا صلة لها بأصل الدعوة، فيضخمها، ويجلب بها. وذلك لا يقدح فيها، فقد يخطئ الأتباع، وربما وقع مثله في عصر النبوة، وفي عهد الصحابة والتابعين. والإنصاف، أن يحاكم المرءُ كلَّ قائلٍ إلى مقالته، وما خطه يمينه. وسنرى في هذه الرسالة المفيدة ما يدلُّ على ما قدمنا.

۞ بين يدي الشرح:

عنوان هذا الكتاب: (أصول الإيمان) وهو عبارة عن كلمتين:

الأولى: كلمة (أصول): جمع أصل، والأصل هو: ما يُبنى عليه غيره، وقسيمه الفرع، فيقال: أصل الشجرة، وأصل الجدار أي: أساسه.

الثانية: كلمة (الإيمان) وله تعريفان: تعريف باعتبار حقيقته، وتعريف باعتبار أركانه وخصاله. وهذا أمر غير مستغرب، فكثير من المصطلحات يكون لها تعريفان، باعتبارين، كالعبادة.

۞ تعريف الإيمان باعتبار حقيقته:

الإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، كما قال الإمام البخاري: «لقيتُ أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيتُ أحدًا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص»[(١)]، وهذه جملة تواتر عليها السلف الصالح. فللإيمان حقيقة مركبة

(١) فتح الباري لابن حجر (١/٤٧).

من القول والعمل، وتفصيلها: قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح.

تعريف الإيمان باعتبار أركانه وخصاله:

خير تعريف له جواب النبي ﷺ حين سأله جبريل عليه السلام، فقال: فأخبرني عن الإيمان، قال: «**الإيمان أن تُؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتُؤمن بالقدر خيره وشره**»(١)، وهي أركان الإيمان الستة، وبعض العلماء يقول: الأصول الخمسة؛ وذلك أنَّه يُدخِل الإيمان بالقدر في الإيمان بالله، وربما التمس لذلك توجيهًا أنَّ النبي ﷺ عطف أربعة على الإيمان بالله؛ ولما جاء ذكر القدر أعاد ذكر العامل، فقال: «**وتؤمن بالقدر خيره وشره**» فربما كان هذا تفصيلًا بعد إجمال؛ إذ القدر فرع عن الإيمان بالله؛ فهو علمه، وكتابته، ومشيئته، وخَلْقه، كما سيأتينا. وعلى كل حال لا مشاحة، سواءً قلنا: أركان الإيمان ستة، أو قلنا: هي خمسة، فإنَّها تتضمن جميع المذكورات. وهذا مراد المصنف، رحمه الله، في هذا الكتاب.

وقد تضمن هذا الكتاب اثني عشر بابًا تتعلق بأصول الإيمان، أدرج تحت كل بابٍ جملةً من الأحاديث والآثار، على طريقة السلف المتقدمين، لا يخلطها بشيء من كلامه، سوى ترجمة الباب، كما أنه لم يستنبط منها «مسائل» كما صنع في «كتاب التوحيد». وقد تجاوز مجموع هذه الأحاديث والآثار مائةً وأربعين نصًّا، تتعلق بأصول الإيمان، وما يتصل بها من لزوم السنة، وأبواب العلم، عامتها صحيح أو حسن، وفيها الضعيف، لا سيما في الآثار. بيد أنه لم يبوب للإيمان باليوم الآخر! وذيَّل الكتاب بعبارة: «آخره، والحمد لله ربّ العالمين حمدًا كثيرًا» فما أدري أهي من وضعه، أم من وضع النساخ؟ وأنه كان ينوي إتمامه، فلم يتح له.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة برقم (٥٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة برقم (٨).

وقد منَّ الله علي بشرح هذا المتن المبارك في أيام علمية متعددة، في أماكن متنوعة، ثم جرى تفريغ المادة الصوتية، ومراجعتها، وتهذيبها، وإصلاح عبارتها، بما يقتضيه فارق الحال بين الإلقاء الشفهي، والتحرير القلمي، وما يستدعيه المقام من نقول وشواهد وإضافات، حتى خرجت بهذه الصورة.

والله المسؤول وحده، أن يجعل أعمالنا خالصةً لوجهه، نافعةً لعباده، وأن يجزي الإمام المجدد، والمجاهد الموحد، محمد بن عبد الوهاب، خير الجزاء، وأن يرفع درجته في المهديين.

كتبه

أ.د. أحمد بن عبد الرحمٰن بن عثمان القاضي

عنيزة، في: ١٤٤٢/٥/١هـ

باب

معرفة الله ﷻ، والإيمان به

قال الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التميمي رحمه الله في كتابه أصول الإيمان:

❁ بسم الله الرحمٰن الرحيم وبه أستعين.

❁ باب: معرفة الله ﷻ، والإيمان به:

❁ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تعالى: أنا أغْنى الشركاءِ عن الشِّرك، من عملَ عملًا أشرك فيه معِي غيري تَركْته وشركَه**»، رواه مسلم(١).

الشرح

ابتدأ المصنف رحمه الله بأعظم الأصول وهو الإيمان بالله، ولا يتم إلا بتحقيق أربعة أمور:

* **الأمر الأول: الإيمان بوجوده سبحانه:** وهو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى موجود حقًّا، وأنه واجب الوجود، خلافًا للملاحدة الذين ينكرون وجوده سبحانه. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ۝٦٢﴾ [الحج: ٦٢].

وقد دلَّ على وجوده سبحانه أنواع الأدلة، وهي:

١ ـ الفطرة السوية.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله برقم (٢٩٨٥).

٢ ـ والعقل السليم.

٣ ـ والحس المشاهد.

٤ ـ والشرع الصحيح.

فدلالة الفطرة: أن كلّ ذي فطرة سوية يجد في قلبه شاهدًا بأنَّ الله تعالى موجود، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ [الروم: ٣٠]، وقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وقال ﷺ: «**ما من مولودٍ إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه وينصِّرانه، كما تنتجون البهيمة، هل تجدون فيها من جدعاء، حتى تكونوا أنتم تجدعونها؟**»(١)، أي: أنَّه يُخلق خلقًا سويًّا على اعتقاد وجود خالقه، حتى يقع عليه تأثير خارجي من شياطين الإنس والجن.

دلالة العقل: العقل يقطع بأنه ما من مخلوقٍ إلا وله خالق، فلا بد إذًا من موجد لهذه الكائنات العلوية والسفلية. قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥﴾ [الطور: ٣٥]، فلا يمكن أن يوجدوا صدفةً من غير موجد، ولا يمكن أن يوجدوا أنفسهم بأنفسهم، ببداهة العقول. فالجملة الأولى ردٌّ على القائلين بنظرية «الصدفة»، والجملة الثانية ردٌّ على القائلين بنظرية «الطبيعة» من الملاحدة.

دلالة الحس: يتمثل ذلك بإجابة الداعين، وغوث المكروبين، فتجد نوحًا عليه السلام يقول: ﴿أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ۝١٠﴾ [القمر: ١٠]، فتأتيه الإجابة مباشرة ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢﴾ [القمر: ١١، ١٢]، ويستسقي النبي ﷺ وهو على المنبر، قائلًا: «**اللّهم**

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام برقم (٦٥٩٩)، ومسلم في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة... برقم (٢٦٥٨).

أغثنا، اللّهم أغثنا، اللّهم أغثنا»، يقول أنس: «ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة، وما بيننا وبين سلع - جبل - من بيت ولا دار، فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت، فلا والله ما رأينا الشمس ستًّا»(١)، فهذان، وأمثالهما، أدلة حسية، رآها فئام من الناس، على وجود المدعو، المستجيب لداعيه.

دلالة الشرع: فرسالات الأنبياء، وما تضمنته من العقائد الصحيحة، والشرائع العادلة، والأخلاق القويمة، والآداب الرفيعة دالة على أنَّ هذا لا يمكن إلا أن يكون من ربٍّ موجود. قال تعالى: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾ [النساء: ٨٢].

* **الأمر الثاني: الإيمان بربوبيته:** وهو الاعتقاد الجازم بأنَّ الله هو الرب؛ الخالق، المالك، المدبر. فمدار الربوبية على هذه الثلاث (الخلق، والملك، والتدبير) وبقية صفات الربوبية ترجع إليها، فيجب الإيمان بها، وتوحيده بها، باعتقاد أنَّه الخالق، فلا خالق سواه، وأنه المالك، فلا مالك سواه، وأنه المدبر، فلا مدبر سواه. وهذا الأمر أمر يُقِرُّ به عامة بني آدم، ولا ينازعون فيه، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾ [العنكبوت: ٦١]، وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ٩﴾ [الزخرف: ٩]، وقال: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٨٧ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ٨٩﴾ [المؤمنون: ٨٤ - ٨٩]. فهو أمر مركوز في الفِطَر، لا ينازع فيه إلا ذو أشر وبطر، كفرعون حين قال: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٣﴾ [الشعراء: ٢٣]، أو النمروذ ﴿ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي

---

(١) أخرجه البخاري في أبواب الاستسقاء، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة برقم (١٠١٤)، ومسلم في كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء برقم (٨٩٧).

رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨]

* **الأمر الثالث: الإيمان بألوهيته:** وهو الاعتقاد الجازم بأن الله هو المستحق للعبادة دون ما سواه، فلا يجوز صرف شيء منها لغيره؛ سواء كانت عبادة قلبية، كالحب، والخوف، والرجاء، أو قولية، كالدعاء، والتلاوة، أو مالية كالزكاة، والصدقة، أو بدنية، كالركوع، والسجود، والقيام، والقعود، والطواف، بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمار، وإماطة الأذى عن الطريق، فكلها يجب أن تُصرف له وحده، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ﴾ [الزمر: ١١ ـ ١٥].

وهذا الأمر هو محل النزاع، وحلبة الصراع بين الأنبياء وأقوامهم، فلم يكن أقوام الأنبياء ينازعون في وجود الله، ولا في ربوبيته، وإنَّما ينازعون في توحيده بالعبادة، فإنهم أيضًا لا ينازعون في عبادته، لكنهم ينازعون في إفراده بالعبادة. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]. قال البخاري في كتاب التفسير، في صحيحه: «مَا خَلقتُ أهل السَّعادة من أهل الفريقين إلا لِيوحّدون»(١)، قال ابن حجر: «هو قول الفراء، ونصره ابن قتيبة في مشكل القرآن له»(٢)، فلا تكون عبادة حقة إلا بتوحيده بها، فإن صُرف شيئًا منها لغير الله، فإنَّها عبادة باطلة.

* **الأمر الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته:** وهو الاعتقاد الجازم بأن الله له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والمثل الأعلى. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ﴾ [النحل: ٦٠]، وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]،

---

(١) صحيح البخاري (٦/ ١٣٩).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٨/ ٦٠٠).

فيثبت ما أثبته الله لنفسه من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، ولا يردَّ شيئًا منها، ولا يعطِّلها عن معانيها، ولا يمثلها بصفات المخلوقين، وسمات المحدثين.

فإذا استجمع الإنسان هذه الأمور الأربعة صار مؤمنًا بالله، وإن خرم شيئًا منها لم يكن كذلك.

قوله: «**قال الله تعالى**» هذا حديثٌ قدسي، ينميه النبي ﷺ إلى ربِّه ﷻ، فاللفظ من النبي، والمعنى من الله.

قوله: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك**» فالشركاء عادة يتشاحون، ويتنازعون، كلٌّ يريد أن يأخذ حصته وقسطه أوفى ما تكون، ولا هم عن الشراكة يستنكفون. لكن الله سبحانه، لكمال غناه، إذا أُشرك معه في العبادة ترك العبادة، والمتعبد بها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥]، فهو سبحانه، لا يستكثر بعباده من قلة، ولا يستعز بهم من ذلة، بل خلقهم لعبادته وتوحيده، كما قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨].

قوله: «**من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**» فقوله: (عملًا) نكرة في سياق الشرط، فتفيد العموم، وتتناول كل عمل؛ دقَّ أو جَلَّ، قلَّ أو كثر. وهو ـ سبحانه ـ غيور، لا يرضى أن يُشرك به، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٥ ـ ٦٦]، وقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥].

فلا بدَّ من توحيد الله تعالى بالعبادة، واستحضار هذا المعنى الجليل، والعلم بأن الشرك محبط للعمل، مانع من قبوله، فلا يقبل الله عملًا إلا أن يكون خالصًا صوابًا؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

فوائد الحديث:

١ ـ كمال غناه سبحانه، وافتقار خلقه إليه.

٢ ـ نفي مماثلة الله لخلقه، وثبوت المثل الأعلى له.

٣ ـ بطلان الشرك قليله وكثيره.

٤ ـ خسران المشركين بترك الله لهم.

٥ ـ وجوب التوحيد، وإفراد الله بالعبادة.

إن الله لا ينام

ثم قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، فقال: «**إنَّ الله تعالى لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابُهُ النور، لو كشفه لأحرقت سُبُحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصرُهُ من خلقه**»، رواه مسلم(١).

الشرح

قوله: «**إنَّ الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام**» هذا من دلائل كماله سبحانه وقيُّومِيته، فإنه لا ينام. والنوم بالنسبة لنا نحن الآدميون، وصف كمال، ومن لا ينام يُرثى لحاله، فيقال: مصاب بالأرق. أما الرب سبحانه فلا يمكن أن ينام، ولهذا قال ـ سبحانه وبحمده ـ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] لأنَّه حيٌّ قيوم، فلما كانت حياته كاملة لم يدركه نوم ولا سنة؛ لأنَّهما نقص في الحياة؛ فالنوم أخ الموت، فهو موت أصغر؛ ولما كان قيومًا؛ قائمًا بنفسه، ومقيمًا لغيره لم يكن لائقًا أن ينام، ولهذا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ﴾ [فاطر: ٤١]، وقال: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ﴾ [الروم: ٢٥]، فلا قيام لهما إلا به، فلا ينام، ولا ينبغي له أن ينام.

قوله: «**يخفض القسط ويرفعه**» القسط هو: الميزان، وقيل: القسط هو

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب في قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**إن الله لا ينام...**» برقم (١٧٩).

الرزق، ولا مانع من اجتماع المعنيين، فالله تعالى يضع ﴿ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وهو سبحانه يرفع الميزان ويخفضه بما يكون من أعمال العباد، فيرتفع ميزانك بأعمالك الصالحة، وينخفض ميزانك بأعمالك السيئة، وكذلك الرزق فإنَّ ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾ [الرعد: ٢٦] أي: ينقصه، فوزن الأمور وضبطها بيده سبحانه.

قوله: «**يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل**» هذا من دلائل علمه وإحاطته سبحانه بخلقه. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الفَجْرِ وَصَلَاةِ العَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ**»(١)، مع علمه ﷻ بما يكون من عباده وهو فوق عرشه، لكن هذا من التوثيق، كما قال الله: ﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ٨٠﴾ [الزخرف: ٨٠].

قوله: «**حجابه النور لو كشفه لأحرقت سُبُحاتُ وجهه**» أي: بهاؤه ونوره.

قوله: «**ما انتهى إليه بصره من خلقه**» وبصره تعالى نافذ في جميع خلقه. ولما سُئل النبي ﷺ: رأيتَ ربك؟ قال: «**نورٌ أنَّى أراه؟!**»(٢)، وفي رواية: «**رأيتُ نورًا**»(٣)، وذلك أنه رأى الحجاب. وهو نورٌ عظيم، فلو كشف الله الحجاب لاكتسح نوره الذاتي العوالم كلها وأحرقها، لكن الله تعالى يمكِّن العباد يوم القيامة من النظر إلى وجهه الكريم، بقدرته التي لا يعجزها شيء؛

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر برقم (٥٥٥)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر برقم (٦٣٢).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب في قوله ؈: «**نور أنَّى أراه**» وفي قوله: «**رأيت نورًا**» برقم (١٧٨).

(٣) المصدر السابق.

ولما طلب منه موسى عليه السلام أن يراه في الدنيا، لم يجبه لأنَّه لا يطيق ذلك قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف: ١٤٣].

فوائد الحديث:

١ ـ تنزيه الله تعالى عن النقائص والعيوب، ومماثلة المخلوقين، ومن ذلك النوم.

٢ ـ أن من الصفات ما يكون كمالًا في حق الخالق نقصًا في حق المخلوق، والعكس.

٣ ـ الجمع بين نفي الواقع، ونفي الإمكان.

٤ ـ كمال عدل الله، وتدبيره، وحكمته، ومشيئته.

٥ ـ إثبات الملائكة الكرام، وأعمالهم، وامتثالهم لأمره تعالى.

٦ ـ إثبات علو الله بذاته، لأن الرفع لا يكون إلا إلى أعلى.

٧ ـ إثبات الحجاب، وأنه من نور.

٨ ـ عظم نور الله وبهائه.

٩ ـ إثبات الوجه الكريم لله تعالى.

١٠ ـ إثبات بصر الله النافذ في خلقه.

إثبات أن لله يمينًا

ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

❁ وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**يمين الله ملأى، لا تغيضها نفقة سحَّاءُ الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض؟ فإنَّه لم يَغِضْ ما في يمينه، والقسط بيده الأخرى، يرفع ويخفض**»، أخرجاه(١).

الشرح

قوله: «**يمين الله ملأى**» لله تعالى يدان كريمتان مبسوطتان بالعطاء والنعم، وكلتا يديه يمين مباركة، مملوؤة بالخير. قال تعالى: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ [المائدة: ٦٤]، فيجب إثباتهما على وجه الحقيقة اللائقة به، لا تشبهان أيدي المخلوقين فقد قال لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥]. ولا يجوز تأويلهما بالنعمة أو القدرة، أو غير ذلك، فإنَّ هذا قولٌ على الله بغير علم، وتجنٍّ على النصوص. فلو كانت اليد بمعنى القدرة لقال إبليس لربه حين قال له: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾: وأنا يا رب خلقتني بيديك، أي: بقدرتك، ولا ريب أنَّ الله خلقه بقدرته، ولما كان لآدم مزية على بقية المخلوقات؛ لأنَّ الله خلق جميع المخلوقات بقدرته، لكنه خصَّ آدم بأن خلقه بيديه.

ولو كانت اليد بمعنى النعمة، لقلنا: نعم الله إن تُعد لا تحصى، كما قال: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وقال: ﴿وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾ [هود: ٧] برقم (٤٦٨٤)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف برقم (٩٩٣).

﴿نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، فكيف تحصران بنعمتين؟! لو كانت اليد بمعنى القدرة.

والأدلة السمعية والعقلية على هذا كثيرة، لكن المقدمات المنطقية والكلامية أفسدت عليهم دينهم، وحملتهم على أن يقولوا على الله بغير علم، وأن يلووا أعناق النصوص، ويصرفوها عن مراد الله، ومراد نبيه ﷺ.

قوله: «**لا تغيضها نفقة**» أي: لا تنقصها كثرة النفقات. قال ابن فارس: (الغين والياء والضاد، أصيل يدل على نقصان في شيء، وغموض وقلة. يقال: غاض الماء يغيض: خلاف فاض، وغِيض: إذا نقصه غيره، قال الله تعالى: ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾)[1].

فالله تعالى واسع العطاء، جزيل الهبات، وكثرة عطائه وهباته لا تنقص ملكه، كما في الحديث الشريف: «**يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيدٍ واحد، فسألوني، فأعطيتُ كل إنسانٍ مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المِخْيَط إذا أُدخل البحر**»[2].

قوله: «**سحَّاء الليل والنهار**» أي: أنَّها تسح الخير سحًّا، قال ابن فارس: (السين والحاء أصل واحد يدل على الصب)[3]. ولهذا ذم الله اليهود، وردَّ عليهم، حين قالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ﴾ [المائدة: ٦٤]. فلا تجد يهوديًّا إلا بخيلًا.

قوله: «**أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض**» وهو شيء لا يحيط به خيال!

قوله: «**فإنَّه لم يَغِضْ ما في يمينه**» أي: لم ينقصها.

قوله: «**والقسط بيده الأخرى**» تقدم معنى القسط. والحديث صريح في إثبات يدين اثنتين.

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٧٧٩).
(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم برقم (٢٥٧٧).
(٣) معجم مقاييس اللغة (٤٥٥).

قوله: «**يرفع ويخفض**» يدل على أنه تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٠٧﴾ [هود: ١٠٧]، وفعله سبحانه مقترن بمشيئته وحكمته، خلافًا لنفاة الصفات الفعلية.

فوائد الحديث:

١ ـ إثبات صفة اليمين لله تعالى.

٢ ـ سعة فضل الله، وكثرة عطائه.

٣ ـ إثبات اليدين لله تعالى.

٤ ـ كمال عدل الله، وحكمته، وطلاقة مشيئته.

٥ ـ الرد على المتكلمين، نفاة الصفاة الخبرية، والفعلية.

علم الله سبحانه

ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

۞ وعن أبي ذرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: رأى رسول الله ﷺ شاتين ينتطحان، فقال: «**أتدري فيم ينتطحان يا أبا ذر؟**» قلتُ: لا، قال: «**لكن الله يدري، وسيحكم بينهما**»، رواه أحمد(١).

الشرح

هذا الحديث قد رواه الإمام أحمد، ورواه البزار أيضًا(٢)، وفي إسناده مقال؛ إذ فيه ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف، لكن له شواهد تقويه. ومعناه: أنَّ النبي ﷺ أراد أن يُبيِّن لأبي ذر كمال علم الله، وكمال عدله. وقد روي عنه ﷺ أنه قال: «**لتؤدنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**»(٣)، فما بالك بمن يظلمون الناس، ويأكلون أموالهم بالباطل، وأين هم يوم القيامة من عدل الله؟! قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩].

فعلى المؤمن بلقاء ربه أن يتخلى عن المظالم، قبل ألا يكون درهم ولا دينار، فمن ظلمته مظلمة مادية، أو اعتبارية؛ بقول أو فعل، قد لا تلقاه إلا في عَرَصَات القيامة، وهناك أنَّى لك أن يعفو عنك، ويُسقِط حقه؟! يتمنى أن ينال من حسناتك، وأن يلقي عليك من سيئاته، فتخلَّص من المظالم كلها،

---

(١) أخرجه أحمد، ط. الرسالة برقم (٢١٤٣٨)، وقال محققو المسند: «حديث حسن».
(٢) مسند البزار = البحر الزخار برقم (٤٠٣٢).
(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم برقم (٢٥٨٢).

وأعط كلَّ ذي حق حقه، وتحلل منه اليوم، قبل ألا يكون درهم ولا دينار.

فوائد الحديث:

١ ـ حسن تعليم النبي ﷺ، واستثارته للأذهان.

٢ ـ كمال علم الله تعالى، وكمال عدله بين خلقه.

٣ ـ الحذر من الظلم بجميع صوره.

إثبات السمع والبصر لله

ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٥٨﴾ الآية [النساء: ٥٨]، ويضع إبهاميه على أذنيه، والتي تليها على عينيه. رواه أبو داود، وابن حبان، وابن أبي حاتم[(١)].

الشرح

ورواه أيضًا ابن خزيمة[(٢)]، والحاكم[(٣)]، وغيرهم، وهو ـ كما قال عنه الحاكم ـ: حديث صحيح[(٤)]، ووافقه على تصحيحه الإمام الذهبي[(٥)].

والمقصود من فعله ﷺ تحقيق الإثبات؛ إذ أنَّه لما تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٥٨﴾، أراد أن يحقق إثبات صفتي السمع والبصر لله، وأنَّه سمع حقيقي، وبصر حقيقي، فجعل إبهاميه في أذنيه، والتي تليها ـ وهي السبابة ـ على عينيه. فلا يتبادر إلى الذهن معنًى فاسد؛ وهو أنَّ عيني الله كعيني المخلوق، أو سمع الله كسمع المخلوق، حاشاه سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب في الجهمية برقم (٤٧٢٨)، وابن حبان في كتاب الإيمان، وباب ما جاء في الصفات برقم (٢٦٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره برقم (٥٥٢٤)، وقال الألباني: «صحيح الإسناد».

(٢) أخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد، باب ذكر إثبات وجه الله برقم (٤٦)، والحاكم في المستدرك برقم (٢٩٢٥).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين برقم (٦٣).

(٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم (١/ ٧٥).

(٥) المستدرك للحاكم مع تعليقات الذهبي في التلخيص (٢/ ٢٥٧).

شَىۡءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وإنَّما أراد النبي ﷺ تحقيق الإثبات، ولهذا شواهد أخرى من السنة.

فوائد الحديث:

١ ـ إثبات اسمي الله: (السميع)، و(البصير)، وما تضمناه من صفتي السمع والبصر.

٢ ـ تحقيق الإثبات، والرد على النفاة، معطلي، ومحرفي الصفات.

مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله

ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

❁ وعن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**مفاتيح الغيب خمسٌ، لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما في غدٍ إلا الله، ولا يعلم ما تَغِيضُ الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحدٌ إلا الله، ولا تدري نفسٌ بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله ـ تبارك وتعالى ـ**»، رواه البخاري ومسلم(١).

الشرح

في بعض سياقات هذا الحديث: أنَّ النبي ﷺ قرأ الآية من آخر سورة لقمان وهي قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ﴾ [لقمان: ٣٤](٢).

قوله: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله» مفاتيح: جمع مفتاح، ومفاتح: جمع مفتح، كما قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ [الأنعام: ٥٩]. والغيب: ما غاب عن الناس. فدلَّ هذا الحديث على كمال علم الله، وإحاطته بكل شيء، فيجب أن يثبت المؤمن لله تعالى علمًا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾ [الرعد: ٨] برقم (٤٦٩٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله برقم (٩) عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ [الأنعام: ٥٩] برقم (٤٦٢٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله برقم (٩) عن أبي هريرة.

واسعًا، محيطًا، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]. وقد يوصف المخلوق بالعلم، فقد سمّى الله بعض خلقه عليمًا، فقال: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الذاريات: ٢٨]، لكن شتان بين علم وعلم! فعلم الله تعالى غير مسبوق بجهل، ولا يلحقه نسيان، وعلم المخلوق مسبوق بجهل، كما قال الله: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٨]، فحين يخرج الإنسان من بطن أمه تكون معلوماته صفرًا، لا يعرف ولا اسمه! ثم قال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ [النحل: ٧٨]، وهذه منافذ التعلُّم، فلا يزال يقتني العلوم شيئًا فشيئًا، حتى يصبح عالمًا كبيرًا، ويبلغ أعلى الرتب العلمية، ويحمل أرفع الألقاب، ثم: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [الحج: ٥]، فإذا بهذا الكم من المعلومات يتحلل، ويضمحل، حتى يصل إلى درجة الخرف، حتى يقال له: ما اسمك؟ فلا يعرف اسمه، فعلم الآدمي مسبوق بجهل ويلحقه النسيان، أما علم الربّ تعالى فغير مسبوق بجهل، ولا يلحقه نسيان.

كما أنَّ علمه سبحانه شامل محيط، وتأمل لما خرج موسى مع الخضر عليهما السلام، ووقفا على سيف البحر «**وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة، فنقر في البحر نقرة، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر**»[(١)]، وقد قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥]. وبعض السفهاء يتباهى، ويقول: الآن العلم أحاط بكل شيء، وغطّى كل شيء، حين تبلغه معلومة، أو اكتشاف، أو مخترعات، ويُخيَّل إليه أنَّ جميع المغاليق فُتحت، وما هو إلا كما قال الخضر، عليه السلام.

فهذه مفاتح خمس، اختصَّ الله بعلمها، فمن ادعى علمها فقد كذب وكفر، وهي:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾ [الكهف: ٦٠] برقم (٤٧٢٥)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام برقم (٢٣٨٠).

الأولى: «**لا يعلم ما في غدٍ إلا الله**» قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥]، فالتوقعات، والأرصاد، واستشراف المستقبل، قد تقع، وقد لا تقع. قد تكتبُ في الليل قائمة بالأعمال التي ستؤديها في النهار، ثم تصبح طريح الفراش مريضًا، فلا تصنع شيئًا، أو تخرج فتجد سيارتك معطوبة، فلا تتمكن من قضاء حوائجك، وأنت قد تضرب المواعيد، وأعددت العدة، فحيل بينك وبينها.

الثانية: «**ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله**» وذلك يتناول كل ما احتوته الأرحام، فإذا بلغ الجنين أربعة أشهر تسوَّر عليه المَلَكُ الرحم، وكتب أربع كلمات: «**رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد**»[(١)]، وليس مجرد العلم بالذكورة والأنوثة، كما يُخيَّل لبعض الناس، فيقصرون معنى الآية والحديث عليها. قال ابن الجوزي، رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ﴾ أي: ما تنقص، ﴿وَمَا تَزۡدَادُۖ﴾ وفيه أربعة أقوال:

أحدها: ما تغيض: بالوَضع لأقل من تسعة أشهر، وما تزداد: بالوضع لأكثر من تسعة أشهر، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، والضحاك، ومقاتل، وابن قتيبة، والزجاج.

والثاني: وما تغيض: بالسِّقْطِ الناقص، وما تزداد: بالولد التامِّ، رواه العوفي عن ابن عباس، وعن الحسن كالقولين.

والثالث: وما تغيض: بإراقة الدم في الحَمْل حتى يتضاءل الولد، وما تزداد: إذا أمسكَتِ الدمَ فيعظم الولد، قاله مجاهد.

والرابع: «ما تغيض الأرحام» مَنْ ولدته من قبل، «وما تزداد» مَنْ تلده من بعد، روي عن قتادة، والسُّدِّي)[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة برقم (٣٢٠٨)، ومسلم في كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه برقم (٢٦٤٣).
(٢) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٤٨٤).

الثالثة: «لا يعلم متى يأتي المطر أحدُ إلا الله» ولطالما قيل: إن الأجواء مهيأة لنزول المطر، ثم يأتي الأمر على خلاف ذلك، فلا يعلم متى ينزل المطر، وأين، وكم، وكيف، إلا الله.

الرابعة: «ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله» وفي هذا عجب عجاب؛ تجد شيخًا طاعنًا في السن عاش في قرية من قرى البادية ثمانين سنة، أو تسعين سنة، حتى إذا لم يبق بينه وبين الآخرة إلا ليالي معدودة، نُقل إلى بلد آخر للعلاج، فمات هناك! ورجل عاش عمره في بلاده، ثم قدم إلى بلاد أخرى فمات، ودُفن فيها، ولم يخطر بباله، ولم يدر في خياله أن يموت في هذا الموضع.

الخامسة: «ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله ـ تبارك وتعالى ـ» اختص الله بعلم الساعة، فكلُّ من ادعى أنَّ الدنيا ستنتهي، وأنَّ العالم سيخرب عام كذا وكذا، فهو أفاك أثيم؛ فلا يعلم الساعة إلا الله، كما قال: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وإذا كان أشرف رسول ملكي، وأشرف رسول نبوي؛ جبريل ومحمد ـ عليهما الصلاة والسلام ـ، لا يعلمان متى الساعة، حيث يقول جبريل للنبي ﷺ: فأخبرني عن الساعة؟ فيجيبه: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**»[(١)]، فكيف بهؤلاء المتهوكين الذين يرجمون بالغيب، ويرجفون في الناس؟!

قال القسطلاني، رَحِمَهُ اللَّهُ: (والحكمة في كونها خمسًا الإشارة إلى حصر العوالم فيها:

ـ فأشار إلى ما يزيد في النفس وينقص بقوله: «**لا يعلم ما تغيض الأرحام إلَّا الله**»...

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة برقم (٥٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة برقم (٨).

ـ وأشار إلى أنواع الزمان وما فيها من الحوادث بقوله: «**ولا يعلم ما في غد إلا الله**»...

ـ وأشار إلى العالم العلوي بقوله: «**ولا يعلم متى يأتي المطر**» ليلًا أو نهارًا «أحد إلا الله».

ـ وأشار إلى العالم السفلي بقوله: «**ولا تدري نفس بأيّ أرض تموت إلا الله**».

ـ وأشار إلى علوم الآخرة بقوله: «**ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله**»)[(١)].

فوائد الحديث:

١ ـ اختصاص الله بعلم الغيب.

٢ ـ كذب وكفر من ادعى علم الغيب من الكُهّان والمنجِّمين والعرَّافين.

٣ ـ أن السنة تفسر القرآن، وتبينه، وتدل عليه.

---

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١٠/ ٣٦٤).

إثبات صفة الفرح لله

ثم قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

❁ وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**للهُ أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك، إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها فقال من شدة الفرح: اللّهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح**»، أخرجاه[(١)].

الشرح

هذا مشهد، رجل على راحلته ـ ناقته ـ، يسير في صحراء دويَّة، نزل لبعض حاجته، فندَّت ناقته وعليها طعامه وشرابه، وهربت، وأمعنت، فجرى في إثرها يتبعها، لكنها سبقته، فأيس منها، فاضطجع تحت شجرة ينتظر الموت عطشًا أو جوعًا، فغمضت عيناه، فانتبه وقد عادت أدراجها، وعلق خطامها بالشجرة، فقام وقبض خطامها، وقال: «**اللّهم أنت عبدي وأنا ربك! أخطأ من شدة الفرح**». فيالها من فرحة! كأنما ولد من جديد، ووُهب عمرًا آخر، فيقسم النبي ﷺ بأنَّ الله أشد فرحًا بتوبة عبده من ذلك الرجل.

قوله: «لله» اللام لام القسم، وقد جاء صريحًا في روايةٍ لمسلمٍ بلفظ:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب التوبة برقم (٦٣٠٩)، ومسلم في كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها برقم (٢٧٤٧).

«أَمَا واللهِ للهُ أَشَدُّ فَرَحًا»[(١)].

قوله: «**أشد فرحًا بتوبة عبده**» من ذلك الرجل، وهذا يفتح باب الرجاء والأمل بالله ﷻ، فمهما أذنبت أيها المذنب، ومهما وقع منك من كبائر، فباب التوبة مفتوح، والله يفرح بتوبة التائب. قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الزمر: ٥٣ ـ ٥٥]. ففي هذا بشارة للمذنبين اليائسين القانطين أن يبادروا إلى التوبة، فبابها مفتوح، وفوق ذلك، فالله يفرح بتوبة عبده فرحًا عظيمًا! فأيُّ إغراء أعظم من هذا الإغراء؟! فيجب على الإنسان أن يُكثِر من التوبة لله ﷻ، وقد جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد يقول: «**رب اغفر لي وتب عليّ، إنك أنت التواب الرحيم**» مائة مرة[(٢)]، ويقول عن نفسه ﷺ: «**والله إني لأستغفر الله، وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**»[(٣)]، فكيف بنا نحن المتلطخون بالذنوب والخطايا؟! ما أحوجنا إلى التوبة!

والحديث دليل على إثبات صفة الفرح لله ﷻ؛ فالله تعالى يفرح فرحًا يليق بجلاله وعظمته، لا يلزم عليه شيء من اللوازم البشرية، ولا يجوز تحريفه وتأويله إلى معانٍ مجازية، بل يجرى على ظاهره، مع اعتقاد أنَّ الله له المثل الأعلى، وأنَّه ليس كمثله شيء.

وفي الحديث: ما يدلُّ على أنَّ الإنسان لا يُؤاخذ بالخطأ، فهذا الرجل

---

(١) أخرجه مسلم في باب في الحض على التوبة والفرح بها برقم (٢٧٤٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب الأدب، باب الاستغفار برقم (٣٨١٤)، وأبو داود في باب تفريع أبواب الوتر، باب في الاستغفار برقم (١٥١٦)، والترمذي، ت: شاكر في أبواب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من مجلسه برقم (٣٤٣٤)، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة برقم (٦٣٠٧).

قال كلمة ظاهرها الكفر، حيث قال: «**اللّهم أنت عبدي، وأنا ربك**» لكنه لم يُؤاخذ لعدم القصد. قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قال الله: (قَدْ فَعَلْتُ)[١].

فوائد الحديث:

١ ـ إثبات صفة الفرح لله تعالى، على ما يليق بجلاله.

٢ ـ سعة رحمة الله وفضله.

٣ ـ حسن بيان النبي ﷺ، بضرب الأمثال المقربة.

٤ ـ العذر بالخطأ.

(١) أخرجه مسلم في باب بيان قول الله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ برقم (١٢٦).

إثبات صفة اليد لله سبحانه وتعالى

ثم قال المصنف رحمه الله:

❁ وعن أبي موسى رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها**»، رواه مسلم(١).

الشرح

هذا الحديث يدلُّ أيضًا على سعة رحمة الله تعالى، وقبوله للتوبة، حتى إنَّه يتوب على عباده بالليل والنهار. ويدل أيضًا على إثبات صفة اليدين لله سبحانه وتعالى.

قوله: «**يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل**» بسط اليد كناية عن القبول، وهو بسط حقيقي، ليد حقيقية؛ إذ البسط من صفات الأيدي، كما أضاف إليها في آيات وأحاديث أخر الطي، والقبض. قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، وفي الصحيح: «**يَطْوِي اللهُ** عز وجل **السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟**»(٢).

فإن قيل: أليست صفة اليد وردت في الكتاب والسنة تارةً بالإفراد،

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة برقم (٢٧٥٩).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار برقم (٢٧٨٨).

كقوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، وتارةً بالتثنية كقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وتارةً بالجمع، كقوله: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس: ٧١] فلم اخترنا منها صيغة التثنية؟

فالجواب: **أولًا**: أنَّ صيغة الإفراد لا تنافي التثنية ولا الجمع؛ لأنَّ المفرد المضاف يعم، كما لو قال قائل: نظرتُ إلى الحادث بعيني، فلا يعني أنه أعور، ولو قال: مشيتُ إلى فلان برجلي، لا يعني أنَّ له رجلًا واحدة، فهذا سائغ في لغة العرب. فالمفرد المضاف لا يتنافى مع التثنية والجمع.

ثانيًا: التوفيق بين التثنية الجمع، إن قلنا: إن أقل الجمع اثنان كما قال بعض النحاة، فلا تعارض، فيكون المراد بـ﴿أَيْدِينَا﴾ يدانا، فلا تعارض. وإن قلنا: أقل الجمع ثلاثة، وهو المشهور، فيقال: إنَّه لم يُقصد بالجمع هنا التكثير، وإنَّما أُريد به التعظيم والتناسب بين المضاف والمضاف إليه؛ فلما كان المضاف إليه (نا) المجعولة في أصل وضعها للفاعلين، ناسب أن يكون المضاف من جنسها؛ دالًّا على الجمع، ليكون أبلغ في التعظيم. فتعيّن أن يكون المراد التثنية، للآيات الواردة بالتثنية، كقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥]، وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وللأحاديث الكثيرة، كقوله: «**عرشه على الماء، وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع**»[(١)]، وقوله: «**وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ**»[(٢)].

وفي الحديث: ما يدلُّ على حدٍّ مؤقت لقبول التوبة؛ وذلك أنَّ التوبة من شروطها أن تقع في الزمن المتاح شرعًا، وهو خاص، وعام. فأما الخاص فهو ما يتعلق بكل إنسان بمفرده، وهو أن لا تبلغ الروح الحلقوم، فإذا بلغت الروح الحلقوم لم تنفع التوبة، كما وقع لفرعون حينما أدركه الغرق، فقال:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ برقم (٧٤١١)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف برقم (٩٩٣).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب فضيلة الإمام العادل برقم (١٨٢٧).

﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٩٠﴾ [يونس: ٩٠]، فردَّ الله عليه بقوله: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ [يونس: ٩١]؟ فلم تُقبل توبته، وكما قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ [النساء: ١٨] فهذا لا تُقبل منه توبة، هذا هو الأجل الخاص. وأما الأجل العام فهو ما دلَّ عليه الحديث، وهو «**حين تطلع الشمس من مغربها**» وهذه من علامات الساعة الكبرى، فقد ذكر النبي ﷺ علامات الساعة الكبرى، أو أشراطها الكبرى، ومنها: «**طلوع الشمس من مغربها**»(١)، وقال ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون؛ وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها**» ثم قرأ الآية(٢)، يعني قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨] ففسَّرها بطلوع الشمس من مغربها.

۞ فوائد الحديث:

١ ـ سعة فضل الله ورحمته بعباده.

٢ ـ دوام قبول الله للتوبة، حتى تطلع الشمس من مغربها.

٣ ـ إثبات صفة اليد لله تعالى، وتعلق خصائص اليد الحقيقية بها.

٤ ـ إثبات الصفات الفعلية لله تعالى.

۞ ۞ ۞

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة برقم (٢٩٠١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ برقم (٤٦٣٦).

إثبات صفة الرحمة لله سبحانه وتعالى

ثم قال المصنف رحمه الله:

ولهما: عن عمر رضي الله عنه قال: قُدم على رسول الله ﷺ بسبي هوازن، فإذا امرأةٌ من السبي تسعى؛ إذ وجدت صبيًّا في السبي، فألزقته ببطنها فأرضعته، فقال النبي ﷺ: «**أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟**» قلنا: لا، والله، فقال: «**لله أرحم بعباده من هذه بولدها**»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما خلق الله الخلق كتب في كتاب، فهو عنده فوق العرش: إنَّ رحمتي غلبت غضبي**»، رواه البخاري[(٢)].

الشرح

هذان الحديثان يدلان على إثبات صفة الرحمة لله عز وجل، وما أسعدنا وأهنأنا باتصاف ربنا سبحانه وتعالى بالرحمة، فحمدًا لك اللّهم أن كنتُ بنا رحيمًا، وإلا لهلكنا جميعًا. فمن دلائل رحمته سبحانه وتعالى: ما حدَّث به ابن عمر رضي الله عنهما أنَّه لما قُدم على النبي ﷺ بسبي هوازن، الذين قاتلوا النبي ﷺ يوم حنين، وكانوا قد

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته برقم (٥٩٩٩)، ومسلم في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه برقم (٢٧٥٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾ برقم (٣١٩٤)، ومسلم في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه برقم (٢٧٥١).

خرجوا بقضهم وقضيضهم، ونسائهم وأولادهم، وبهائمهم؛ كي يثبتوا في المعركة، فجعلها الله غنيمة للمسلمين.

قوله: «**فإذا امرأة من السبي تسعى**» امرأة ممن سُبي من نسائهم تبحث في جماعة السبي. وجاء في رواية مسلم: «**تبتغي**»، قال النووي: (هَكَذَا هُوَ فِي جَمِيعِ نُسَخِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ «**تَبْتَغِي**» مِنَ الِابْتِغَاءِ وَهُوَ الطَّلَبُ. قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ وَهَذَا وَهَمٌ وَالصَّوَابُ مَا فِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ «**تَسْعَى**» بِالسِّينِ، مِنَ السعي. قلت: كلاهما صواب لا وهم فِيهِ، فَهِيَ سَاعِيَةٌ وَطَالِبَةٌ مُبْتَغِيَةٌ لِابْنِهَا والله أَعْلَمُ)(١).

قوله: «**إذ وجدت صبيًّا في السبي، فألزقته ببطنها فأرضعته**» أي: ضمته، وألقمته ثديها، لأنها أمه. فأيُّ رحمة أعظم من رحمة الأم برضيعها الذي فقدته، وطفقت تبحث عنه بلهفة، فوجدته!

قوله: «**أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟**» هل يمكن أن يدور في البال، أو يخطر بالخيال أن تلقي هذه المرأة ولدها في النار؟! وهذا استفهام تقريري.

قوله: «**قلنا: لا والله**» أي: لا يمكن، وقد صنعت ما صنعت.

قوله: «**للهُ أرحم بعباده من هذه بولدها**» دلَّ ذلك على أنَّ لله رحمة حقيقية عظيمة، لا تشبه رحمة المخلوقين، ولا تلزمها لوازم رحمة المخلوقين؛ من الرقة، والضعف، والانكسار. فيجب إثباتها له على ما يليق به ـ سبحانه ـ. ولا يجوز تحريفها إلى الإنعام، أو إرادة الإنعام.

قوله: «**لما خلق الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش**» العرش: أعلى المخلوقات، وأعظمها، وأكبرها، وهو سقف العالم، وفوقه الرحمٰن قد استوى عليه.

قوله: «**إنَّ رحمتي غلبت غضبي**» الله تعالى متصفٌ بالرحمة، ومتصفٌ بالغضب، إلا أنَّ رحمته لها أسباب، وغضبه له أسباب، قال تعالى ـ: ﴿وَمَن

(١) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٧٠).

يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [النساء: ٩٣]، وقال: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٦]، وقال: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٦١]، فللَّه غضب يليق به، لا يشبه غضب المخلوقين، ولا يلزم عليه لوازم غضب المخلوق، ولا يجوز تفسيره بالانتقام، أو إرادة الانتقام، لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ أي: أغضبونا، ﴿ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥]، فجعل الانتقام أثرًا عن الغضب وليس هو.

كما أنَّ لله تعالى رحمة واسعة تليق به، كما تقدم. فمن واسع رحمته، أن رحمته غلبت غضبه. فيجب إثبات الرحمة والغضب لله، كما أثبتهما سبحانه لنفسه في كتابه، وكما أثبتهما النبي ﷺ لربِّه.

۞ فوائد الحديثين:

١ ـ حسن تعليمه ﷺ بالسؤال، وبيانه، بالوقائع المشاهدة.

٢ ـ عظيم رحمة الله بعباده.

٣ ـ إثبات صفتي: «الرحمة» و«الغضب»، على وجه الحقيقة اللائقة بالله.

٤ ـ سبق رحمته لغضبه، سبحانه.

۞ ۞ ۞

جعل الله الرحمة في مئة جزء

ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

۞ ولهما: عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**جعل الله الرحمة مئة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءًا، وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق، حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها؛ خشية أن تصيبه**»(١).

۞ ولمسلم: معناه من حديث سلمان، وفيه: «**كلُّ رحمة طباق ما بين السماء والأرض**».

۞ وفيه: «**فإذا كان يوم القيامة كمَّلها بهذه الرحمة**»(٢).

الشرح

الرحمة المذكورة في هذه الأحاديث هي الرحمة المخلوقة التي هي أثر الرحمة الصفة، لأنها مجعولة، منزلة.

قوله: «**جعل الله الرحمة مئة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءًا**» أي: ادخرها، وحفظها.

قوله: «**وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه**» هذا أمر قد جعله الله

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب جعل الله الرحمة مائة جزء برقم (٦٠٠٠)، ومسلم في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه برقم (٢٧٥٢).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه برقم (٢٧٥٣).

تعالى في طباع المخلوقات، حتى الدواب، والطير، والوحش، والبهائم العجماوات، فيها شيء من آثار تلك الرحمة المنزلة، قال تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٥٠].

قوله: «كلُّ رحمة طباق ما بين السماء والأرض» أي: ملأ ما بين السماء والأرض، كأنها تعمها.

قوله: «فإذا كان يوم القيامة، كمَّلها بهذه الرحمة» أي: ضم تلك الرحمة إلى التسعة والتسعين، فتصبح مئة. فهذا مما ينسِّم على القلب نسائم الرجاء، فلا يقنط من رحمة الله تعالى، ويعلم أنَّ رحمة الله واسعة. لكن الذي ينبغي للمؤمن أن يوازن بين الخوف والرجاء، فلا يغلِّب جانب الرجاء فيقع في التفريط والتساهل، ولا يغلِّب جانب الخوف فيقع في القنوط والتشدد، قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر: ٤٩ ـ ٥٠].

فزِن نفسك ـ أيها المؤمن ـ وعادل بين الكفتين، قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]، فكن بين الخوف والرجاء، فعليك أن تستمد الرجاء من نصوص الرحمة، وتستمد الخوف من نصوص الوعيد، فيحملك الرجاء على الطمع في فضل الله، ويحملك الخوف على الحذر من عذاب الله. فالخوف والرجاء كجناحي الطائر، فلو اختل أحدهما وزاد على الآخر لمال في طيرانه. فاجعلهما متوازنين، حتى تطير إلى الله سبحانه وتعالى طيرًا سويًا، وتبلغ ما ترجوه من فضله ونعمته، وتنجو من عذابه ونقمته.

فوائد الحديثين:

١ ـ أن الرحمة منها ما هي صفة لله قائمة به، ومنها ما هي مخلوقة، مجعولة، منزلة. والثانية أثر للأولى.

٢ ـ سعة رحمة الله بعباده، ولطفه بهم، وتيسيره أسباب بقائهم.

٣ ـ كمال رحمة الله بعباده المؤمنين يوم القيامة.

تعجيل حسنات الكافر في الدنيا

ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الكافر إذا عمل حسنةً أُطعم بها طعمةً في الدنيا، وأما المؤمن فإنَّ الله يدخر له حسناته في الآخرة، ويعقِبُهُ رزقًا في الدنيا على طاعته**»، رواه مسلم(١).

الشرح

هذا من كمال عدل الله؛ فإن الكافر يثيبه الله تعالى، ويجزيه على الحسنة التي عملها، والمقصود بالحسنة: العمل الحسن، فيثيبه عليه في الدنيا، وإن كان لا يثيبه عليه في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]. وعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: «**لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**»(٢).

قوله: «إنَّ الكافر إذا عمل حسنة أُطعم بها طعمةً في الدنيا» الكافر، إذا أحسن؛ بأن تصدّق، وأعان المساكين، وأغاث الملهوفين، بمقتضى إنسانيته،

(١) أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا برقم (٢٨٠٨).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل برقم (٢١٤).

كما نسمع ونشاهد من عناية بعضهم باللاجئين، والمُهجَّرين، والمنكوبين، فإنَّه يثاب عليه في الدنيا، فيعطيه الله صحة في الأبدان، وسعة في الأرزاق، وتمكينًا في الأوطان، وهذا أمرٌ مشاهد، حيث نجد من يعتنون بهذه الجوانب الإنسانية، يكافئون عليها في الدنيا، ويحصل لهم من التيسيرات المعاشية ما لا يحصل لغيرهم.

قوله: «**وأما المؤمن فإنَّ الله يدخر له حسناته في الآخرة، ويُعقِبُه رزقًا في الدنيا على طاعته**» هذا من كمال فضل الله، أي: أنَّه يكافأ عليها في الدنيا والآخرة، كما أنَّ الله ﷻ جعل الطيبات في الحياة الدنيا ينالها المؤمن وغير المؤمن، فيشاركهم في المآكل والمشارب والملابس والمناكح والمساكن، وربما زاد عليهم، لكنها في الآخرة تكون خالصة للمؤمنين، كما قال: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾ [الأعراف: ٣٢]، وقال الله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأعراف: ٥٠]. فيجمع الله للمؤمن المحسن خيري الدنيا والآخرة، كما قال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

فوائد الحديث:

١ ـ كمال عدل الله بين الخلائق، ومجازاة المحسن بإحسانه، ولو كان كافرًا في الدنيا.

٢ ـ كمال فضل الله على المؤمن في الدنيا والآخرة.

إثبات صفة الرضى لله سبحانه وتعالى

ثم قال المصنف رحمه الله:

وله عنه مرفوعًا: «إنَّ الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيَحمَدهُ عليها، ويشرب الشربة فيَحمَدَهُ عليها»(١).

الشرح

هذا الحديث يدلُّ على إثبات صفة الرضا لله تعالى، فالله تعالى يرضى رضًا يليق بجلاله وعظمته، كما أنَّه يسخط سخطًا يليق بجلاله وعظمته، قال تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فالرضا يكون من الطرفين، لكن رضاه يليق به، ورضا خلقه يليق بهم، كذلك السخط، وهو مقابل الرضا. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ﴾ [محمد: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ [المائدة: ٨٠]. وأمثال ذلك كثير.

ومن أسباب رضا الرب: حمده وشكره على نعمه، ومنها المطعومات؛ من مأكولات ومشروبات. فراجع نفسك! هل يقوم في قلبك الشعور بالحمد والامتنان والاغتباط بنعمة الله تعالى، وأنت تزدرد الطعام، وتشرب الشراب؟ فينبغي أن تحمد الله بقلبك، ولسانك، وجوارحك، كما قيل:

أَفَادَتْكُمْ النَّعْمَاء مِني ثَلَاثَة   يَدِي وَلِسَانِي وَالضَّمِير المحَجبا(٢)

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب برقم (٢٧٣٤).

(٢) البيت بلا نسبة في نهاية الأرب في فنون الأدب، ت: قمحية (٣/ ٢٣٣)، والمستطرف في كل فن مستظرف (ص٢٤٤)، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٦/ ٢٧٤).

ـ **فشكر الرب بالقلب:** الشعور بالاغتباط والامتنان لله تعالى، وعدم الشعور بالنقمة والحسرة.

ـ **وشكر الله باللسان:** اللهج بحمده والثناء عليه، ونسبة النعمة إليه، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: ١١]، فتحدث بذلك، ولا تكتمه، كما يفعل بعض الناس، المسكونون بالشح والكنود، المصابون برهاب «العين»؛ إذا قيل لأحدهم: كيف الحال؟ أجاب بجواب موهم، مشعر بالأسى، والواقع خلاف ذلك، يخشى أن تصيبه عين! والواجب أن يجهر، ويلهج بحمد الله وشكره، ويقول: أنا بخير، وعافية، ونعمة، وسعة.

ـ **والشكر بالجوارح:** تسخيرها في طاعة الله؛ بنقل الخطى إلى بيوت الله، والسعي في فعل الخيرات.

فوائد الحديث:

١ ـ إثبات صفة الرضا لله تعالى حقيقةً، على ما يليق بجلاله.

٢ ـ بطلان تأويل الرضا بالإنعام، أو إرادة الإنعام، وأن ذلك من تحريف الكلم عن مواضعه.

٣ ـ أن الله تعالى شاكرٌ عليم، ينعم، ويشكر.

عظمة الله سبحانه وتعالى

ثم قال المصنف رحمه الله:

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«أطَّت السماء وحُقَّ لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك ساجد لله تعالى، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا، ولبكيتم كثيرًا، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصُّعدات تجأرون إلى الله تعالى»**، رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن»[(١)].

قوله: **«لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا، ولبكيتم كثيرًا»**[(٢)] في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه.

الشرح

قوله: «**أطَّت السماء**» أي: سُمع لها صوت أطيط، والأطيط: هو الصوت الذي يُسمع من الرَّحِل الذي يوضع على ظهر البعير، يكون مشدودًا بالسيور والجلود، فإذا ثقل بالراكب سُمع له صوت.

قوله: «**وحُقَّ لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك ساجد لله تعالى**» وفي بعض الألفاظ: «**ساجد أو راكع أو قائم**»[(٣)]. والملائكة

---

(١) أخرجه الترمذي، ت: شاكر في أبواب الزهد، باب في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا**» برقم (٢٣١٢)، وقال الألباني: «حسن، دون قوله: **لوددت**».

(٢) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ برقم (٤٦٢١)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب توقيره صلى الله عليه وسلم وترك إكثار سؤاله... برقم (٢٣٠٩).

(٣) المعجم الكبير للطبراني برقم (١٧٥١)، والمعجم الأوسط برقم (٣٥٦٨)، وحلية =

الكرام هم عمَّار السماوات، كما وصفهم ربهم: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٨].

قوله: «**والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا**» لما سوف تعلمونه من الأمور السارة، المفروح بها.

قوله: «**ولبكيتم كثيرًا**» لما سوف تعلمونه من الأمور المخوفة، المحذور منها.

قوله: «**وما تلذذتم بالنساء على الفرش**» ذكر أعلى الملاذ عند الناس، كما قال الله: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [آل عمران: ١٤] فابتدأ بها.

قوله: «**ولخرجتم إلى الصُّعدات**» قال ابن الأثير: (هي الطرق، وهي جمع صُعُد، وصُعُد جمع صعيد، كطريق وطرق وطرقات. وقيل: هي جمع صُعْدة، كظلمة، وهي فناء باب الدار، وممر الناس بين يديه)[(١)].

قوله: «**تجأرون إلى الله تعالى**» أي: تضرعون إلى الله تعالى، وترفعون أصواتكم وتستغيثون.

وقال أبو ذر، راوي الحديث: «لوددتُ أني كنتُ شجرة تعضد» تمنى رضي الله عنه أن لو كان شجرة تُقطع وينتهي أمرها؛ لخوفه مما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم.

۞ فوائد الحديث:

١ ـ إثبات الملائكة الكرام، وفضلهم، وعبادتهم.

٢ ـ أن السجود من أجل مظاهر العبودية.

٣ ـ الخوف من عذاب الله والطمع في ثوابه.

۞ ۞ ۞

= الأولياء وطبقات الأصفياء (٦/ ٢٦٩).

(١) النهاية في غريب الحديث (٣/ ٢٩).

حرمة التألِّي على الله

ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

❁ ولمسلم: عن جندب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله** عَزَّ وَجَلَّ: **من ذا الذي يتألَّى عليَّ ألّا أغفر لفلان؟ إني قد غفرتُ له، وأحبطت عملك**»(١).

الشرح

قصة هذا الحديث ما رواه أَبُو هُرَيْرَةَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ، وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ: أَقْصِرْ، فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ، فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ: واللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللهُ الْجَنَّةَ، فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا، أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ**». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ(٢).

قوله: «**من ذا الذي يتألَّى عليَّ ألّا أغفر لفلان**» أي: يحلف، من الأليَّة،

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله تعالى برقم (٢٦٢١).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في النهي عن البغي برقم (٤٩٠١)، وصححه الألباني.

وهي الحلف واليمين، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ﴾ [النور: ٢٢].
قال الشاعر:

قليل الألايا حافظ ليمينه   وإن بدرت من الأليَّة برَّت

قوله: «إني قد غفرت له، وأحبطت عملك» لأنَّه أتى بعظيمة، وهي تجرؤه على جناب الرب ﷻ، وتضييقه لواسع رحمته. وحلفه على ذلك، فهذه أعظم من معصية صاحبه الذي كان مقيمًا عليها.

فالحديث: يدل على تعظيم جناب الرب ﷻ، والتوقي والتصون من أن يبدر من الإنسان في حال انفعال أو غضب شيء يسخط الله تعالى.

فوائد الحديث:

١ ـ خطر التألِّي على الله، والقول عليه بغير علم.

٢ ـ سعة رحمة الله.

٣ ـ الحذر من مغبة الغضب، وشؤم عاقبته.

المؤمن بين الخوف والرجاء

ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولـه: عـن أبـي هـريـرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مـرفـوعًـا: «**لـو يـعـلـم الـمـؤمـن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد**»(١).

الشرح

هذا الحديث قد رواه الشيخان، وليس مسلم فقط، ولفظ البخاري: «**فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييئس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار**». وفيه ما يبعث على الخوف والرجاء.

قوله: «**لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد**» قال تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾ [المزمل: ١٢، ١٣]، وقال: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ [الحج: ١٩ ـ ٢٢].

قوله: «**لو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد**»

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب الرجاء مع الخوف برقم (٦٤٦٩)، ومسلم في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه برقم (٢٧٥٥) واللفظ له. ولفظ البخاري: «**فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييئس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار**».

وليس في هذا تسويغ دخول الكافر الجنة، فإنَّ الله تعالى قال: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ﴾ [المائدة: ٧٢]، ولكن المقصود أنَّ رحمة الله تعالى واسعة، وأنَّ ما عنده من النعيم والفضل كبير لدرجة أنَّ الكافر، على كفره يطمع بجنته، ولا يقنط منها.

فوائد الحديث:

١ ـ عظيم عذاب الله، وعظيم عقابه.

٢ ـ وجوب الخوف والرجاء، وأنهما مع المحبة، قاعدة العبودية.

قرب الجنة والنار من الإنسان

ثم قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

ﷺ وللبخاري: عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الجنة أقرب إلى أحدكم من شِرَاك نعله، والنار مثل ذلك**»[(١)].

الشرح

قوله: «**من شِرَاك نعله**» شراك النعل: هو السير الذي على وجه النعل يدخل اللابس فيه رجله. قال ابن حجر: (السَّيْرُ الَّذِي يَدْخُلُ فِيهِ إِصْبَعُ الرَّجُلِ، وَيُطْلَقُ أَيْضًا عَلَى كُلِّ سَيْرٍ وُقِيَ بِهِ الْقَدَمُ)[(٢)] عبَّر به للدلالة على القرب، وربما على السعي. فيجب أن يكون الإنسان على حذرٍ من أن يعمل عملًا يهوي به في النار، وأن لا يستقل عملًا يمكن أن يرتقي به إلى الجنة. فهذا يدل على قرب الجنة وأنَّها قد تُنال بعملٍ من الأعمال اليسيرة، تكون عند الله عظيمة، فترجح ميزان الحسنات على السيئات، فإذا ثقلت موازينه دخل الجنة. وبالمقابل ربما بدر من الإنسان قول أو فعل، لا يأبه به، وهو عند الله عظيم، يستوجب به النار. قال ابن بطال: (دليل واضح أن الطاعات الموصلة إلى الجنة، والمعاصي المقربة من النار قد تكون في أيسر الأشياء، ألا ترى قوله ﷺ: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالًا؛ يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالًا؛ يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه**». فينبغي

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب «**الجنة أقرب إلى أحدكم من شِرَاك نعله، والنار مثل ذلك**» برقم (٦٤٨٨).

(٢) فتح الباري (١١/ ٣٢١).

للمؤمن ألا يزهد في قليل من الخير يأتيه، ولا يستقل قليلًا من الشر يجتنيه، فيحسبه هينًا، وهو عند الله عظيم، فإن المؤمن لا يعلم الحسنة التي يرحمه الله بها، ولا يعلم السيئة التي يسخط الله عليه بها)[(١)].

فوائد الحديث:

١ ـ قرب أسباب دخول الجنة إغراء بفعل الطاعات.

٢ ـ قرب أسباب دخول النار تحذير من فعل المحرمات.

٣ ـ أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان.

---

(١) شرح صحيح البخاري (١٠/١٩٨).

رحمة الله لمن في قلبه رحمة

ثم قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**أَنَّ امرأةً بغيًّا رأت كلبًا في يوم حارٍّ يُطيف ببئر، قد أدلع لسانه من العطش، فنَزعت له مُوقها فسقَته، فغفر لها به**»[(١)].

وقال: «**دخلت النار امرأة في هرة حبستها لا هي أطعمتها، ولا هي أرسلتها، تأكل من خشاش الأرض**». قال الزهري: «لئلا يتكل أحد، ولا ييأس أحد»، أخرجاه[(٢)].

الشرح

قوله: «**يُطيف ببئر**» أي: يدور حولها، لا سبيل له لبلوغ مائها.

قوله: «**قد أَدلع لسانه**» أخرجه من شدة العطش.

قوله: «**فنزعت له مُوقها**» أي: استقت له بخفها. والموق: فارسي معرب.

قوله: «**من خشاش الأرض**» أي: هوامها، وقيل: صغار الطير.

في هذا الحديث الإخبار عن امرأتين:

إحداهما: سقت كلبًا، فاستوجبت بهذا العمل رحمة الله؛ رغم أنَّها بغيٌّ

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار برقم (٣٤٦٧)، ومسلم في كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها برقم (٢٢٤٥)، وهذا لفظ مسلم.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب خمس من الدواب فواسق، يقتلن في الحرم برقم (٣٣١٨)، ومسلم في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه برقم (٢٦١٩)، وزيادة قول الزهري في مسلم.

زانية، لأنَّها رحمت مخلوقًا من مخلوقات الله، فالله أولى بالرحمة، فرحمها، وغفر لها بهذا العمل. ولا يعني ذلك أنها لم تعمل من قبل خيرًا قط.

الثانية: حبست هرة، «**لا هي أطعمتها، ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض**» فاستوجبت بهذا العمل النار، ولا يعني ذلك أنها لم تعمل من قبل سوءً قط، لكنها فعلت كبيرة لم تُغفر، فاستحقت بذلك النار.

وعلّق الإمام الزهري رَحِمَهُ اللَّهُ، فقال: «**لئلا يتكل أحد، ولا ييأس أحد**» لئلا يتكل أحد على عمله، ويسترسل في الرجاء، حتى يصل إلى الإرجاء، أو يقنط أحد بسبب شدة الخوف، فلا ينال رحمة الله.

فوائد الحديثين:

١ ـ أن الرحمة سبب لحصول الرحمة.

٢ ـ أن الغلظة سبب لحصول العقوبة.

٣ ـ أن الجزاء من جنس العمل.

٤ ـ العقوبة على إهلاك الحيوان لغير حاجة أو ضرورة.

٥ ـ أن الأمر بقتل الكلاب منسوخ، إلا في المؤذي، والأسود البهيم.

٦ ـ وجوب نفقة البهائم المملوكة على أصحابها.

إثبات صفة التعجب لله سبحانه وتعالى

ثم قال المصنف رحمه الله:

وعنه: مرفوعًا: «**عجب ربنا من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل**»، رواه أحمد والبخاري[(١)].

الشرح

وجه ذلك: أنَّ هؤلاء القوم كانوا ممن أُسر في الفتوحات، واقتيدوا بالسلاسل، فلما عاشوا بين المسلمين، ورأوا الإسلام عن كثب، اعتنقوه طواعية، فنجَّاهم الله تعالى بذلك من النار، وهذا شواهده كثيرة جدًّا؛ يُقيِّض الله للإنسان سببًا لم يكن بالحسبان، وربما كان كارهًا له أول الأمر، فيكون في ذلك نجاته وسعادته.

وصفة العجب ثابتة لله عز وجل على ما يليق به، وقد قُرئ قول الله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الصافات: ١٢] بضم التاء (بل عجبتُ)[(٢)]، فيكون في هذه القراءة إثبات صفة العجب لله من القرآن، وقد دلَّت أحاديث أخرى أيضًا على إثبات صفة العجب، كقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**يعجب ربكم من راعي غنم في رأس شظية بجبل، يؤذِّن بالصلاة ويصلي، فيقول الله** عز وجل: **انظروا إلى عبدي هذا يؤذِّن ويقيم الصلاة يخاف مني، قد غفرت لعبدي، وأدخلته**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الأسارى في السلاسل برقم (٣٠١٠)، وأبو داود في كتاب الجهاد، باب في الأسير يوثق برقم (٢٦٧٧)، وأحمد، ط. الرسالة برقم (٨٠١٣).

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي، كما في السبعة في القراءات (ص٥٤٧)، وحجة القراءات (ص٦٠٦).

الجنة»[١]؛ وذلك أنَّ العجب يكون أحيانًا بسبب اجتماع أمرين لا يجتمعان عادة، فيعجب الإنسان من ذلك، رغم علمه بهما، وليس كما توهم بعض الناس أنَّه يكون دومًا ناتجًا عن المفاجأة والجهل بالأمور. فهؤلاء القوم كانوا كارهين لهذا الأمر، حتى إنَّهم أُسروا بسبب رفضهم الإسلام، ثم كان أسرهم سببًا لنجاتهم، فهذا من دواعي العجب، ليس ناشئًا عن جهل، بل نشأ عن اجتماع أمرين متضادين.

فوائد الحديث:

١ ـ إثبات صفة العجب لله تعالى، على ما يليق بجلاله.

٢ ـ إثبات القدر السابق، والهدى والضلال.

(١) أخرجه أبو داود في تفريع صلاة السفر، باب الأذان في السفر برقم (١٢٠٣)، وصححه الألباني.

صبر الله سبحانه على الذين يدَّعون له ولدًا

ثم قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أحدٌ أصبر على أذًى سمعه من الله؛ يدَّعون له الولد، ثم يعافيهم ويرزقهم**»، رواه البخاري(١).

الشرح

قوله: «**ما أحدٌ أصبرَ على أذى سمعه من الله**» دليل على إثبات صفة الصبر لله عَزَّ وَجَلَّ، ومن صبره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنَّه يسمع الأذى من عباده، ثم لا يعاجلهم بالعقوبة، مع قدرته عليهم، فلو شاء لأهلكهم بلمح البصر، فلا أحد أصبر منه، ولا أحلم منه سبحانه. وأحدنا حين يسمع الأذى، والمسبة، يبادر بالتشفي والانتقام، والمقابلة بالمثل.

قوله: «**يدَّعون له الولد**» وهي دعوى باطلة، وبائرة، وجائرة. وقد ادعى ذلك اليهود والنصارى، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة: ٣٠] وادعاه مشركو العرب، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصافات: ١٥٨]: فزعموا أن الله اتخذ صاحبةً من الجن، فولدت له الملائكة، وقالوا: «الملائكة بنات الله»(٢)، تعالى الله عما يقول الظالمون

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ برقم (٧٣٧٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الجن وثوابهم وعقابهم (٤/١٢٦) من =

علوًّا كبيرًا. ففي هذه الدعوى تنقُّص عظيم لله؛ لأنَّ الولد يكون من جنس أبيه، والله تعالى أحد: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ٣ ـ ٤]. كما أنَّ الغرض من الاستيلاد المعونة والمساعدة في حال الكبر، والله تعالى غني بنفسه، لا يحتاج إلى غيره، ولهذا عظَّم الله تعالى دعوى اتخاذ الولد، فقال ﷻ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝٨٨ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ۝٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝٩١ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ۝٩٥﴾ [مريم: ٨٨ ـ ٩٥] فقد شنَّع الله هذه الدعوى أيما تشنيع، وانفعلت السماوات والأرض والجبال منها، فيجب أن نعظِّم ما عظَّمه القرآن، وننفعل لذلك. ومع ذلك تجد من المسلمين من يُشارك النصارى أعيادهم، وهم يدَّعون أن المسيح ابن الله، ويحيون معهم ليلة رأس السنة، وأعياد الميلاد، ويقرع سمعهم هذا الكفر الصراح، ولا يرفعون بإنكاره رأسًا، ولا يرون بسماعه بأسًا! فليس هذا من حال المؤمن الذي ينفعل، ويعظم ما عظَّم الله، وينكر ما أنكر الله؟!

ولا يلزم من حصول الأذى، حصول الضرر، فإنهم لن يبلغوا ضره، كما جاء في الحديث القدسي: «**يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضَرِّي فتضروني**»[(١)]، كما قال الله تعالى للمؤمنين: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾ [آل عمران: ١١١].

ثم قال: «**ثم يعافيهم ويرزقهم**» بمقتضى ربوبيته سبحانه، فإنَّه يجري عليهم رزقه، ويعافيهم.

۞ فوائد الحديث:

١ ـ إثبات صفة «الصبر» لله تعالى، على ما يليق بجلاله، فلا تلزمه لوازم صبر المخلوقين.

= قول مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾.

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم برقم (٢٥٧٧).

٢ ـ إثبات سمع الله تعالى.

٣ ـ أن حصول الأذى لا يلزم منه حصول الضرر.

٤ ـ إبطال عقيدة «الولد» عند اليهود، والنصارى، والمشركين، لكمال وحدانيته.

٥ ـ شناعة هذه الدعوى.

٦ ـ كمال حلم الله.

إثبات صفة الحب لله

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

❁ وله: عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله ـ تبارك وتعالى ـ إذا أحب عبدًا نادى: يا جبريل! إنَّ الله يحب فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء: إنَّ الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ويوضع له القَبُول في الأرض**»(١).

الشرح

ما أهنأه وأسعده! وهذا ينطبق على بعض أولياء الله الصالحين، فتجد أنَّ المؤمنين يحبونهم محبة عظيمة، بسبب محبة الله تعالى لهم، وطرح القَبُول لهم في الأرض.

والحديث يدل على إثبات صفة المحبة لله تعالى، وقد جاء بذلك ناطق الكتاب، فقال سبحانه: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، فالمحبة تقع من الطرفين، لكن محبة الله تليق به، ومحبة المخلوق تليق به، ولا يلزم من الاتفاق في أصل المعنى، الكلي، المطلق، المشترك في الأذهان، الاشتراك في الأعيان. فإذا أُضيف إلى الله صار لائقًا به، وإذا أُضيف إلى المخلوق صار لائقًا به، فللَّه المثل الأعلى، وللمخلوق المثل الأدنى، فبهذا يزول الاشتراك. ولا يلحقه تعالى نقصٌ من جراء الاشتراك في لفظ الاسم والصفة، وأصل المعنى. فأصل الحب معناه مشترك في الأذهان، لكنه إذا أضيف إلى

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب المِقَةُ من الله تعالى برقم (٦٠٤٠)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبدًا حببه لعباده برقم (٢٦٣٧).

الربِّ صار لائقًا به، وإذا أضيف إلى العبد صار لائقًا به. ولا يجوز تأويله وتحريفه إلى معانٍ مجازية، فالله أصدق قيلًا، وأحسن حديثًا من خلقه، فليس لأحد أن يستدرك على الله كلامه، ولا على نبيه ﷺ بيانه، ﴿فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ١٩﴾ [القيامة: ١٨ ـ ١٩]، وليس لأحدٍ أن يدعي أنَّ المراد كذا، وليس المراد كذا، فلو شاء النبي ﷺ لقال ما ادعيتم، لكنه أبقى النصوص على ظاهرها اللائق بالله، فنقبلها كما قبلها الصحابة، والتابعون، وتابعوهم.

فوائد الحديث:

١ ـ إثبات صفة المحبة لله تعالى، على وجه الحقيقة، كما يليق به سبحانه.

٢ ـ إثبات صفة الكلام له تعالى، والنداء، وهو الصوت لمن بعُد.

٣ ـ موافقة الملائكة الكرام لمحاب ربهم العلام.

٤ ـ فضيلة جبريل عليه السلام، وأنه سيد الملائكة.

٥ ـ حصول القَبُول والمحبة لأولياء الله تعالى.

إثبات رؤية الله سبحانه وتعالى يوم القيامة للمؤمنين

قال المصنف رحمه الله:

وعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: «**إنكم سترَوْنَ ربكم كما تَرَوْنَ هذا القمر، لا تُضامُّون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاةٍ قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا**» ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠]. رواه الجماعة(١).

الشرح

هذا الحديث من الأحاديث المتواترة. والحديث المتواتر: ما رواه جماعة كثيرة، يستحيل تواطؤهم على الكذب عادة، عن مثلهم، وأسندوه إلى شيءٍ محسوس. والمتواتر يفيد العلم القطعي. وقد مثَّل بعضهم للأحاديث المتواترة تواترًا لفظيًّا، ومعنويًّا، ببيتين، فقال:

مِمَا تَواتَرَ حَدِيثُ مَنْ كَذَبْ ... وَمَنْ بَنَى للهِ بيتًا واحْتَسَبْ
وَرُؤْيَةٌ شَفَاعَةٌ والْحَوضُ ... وَمَسْحُ خُفَّيْنِ وَهذي بَعْضُ(٢)

(١) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر برقم (٥٥٤)، ومسلم في كتاب المساجد، ومواضع الصلاة باب فضل صلاتي الصبح والعصر برقم (٦٣٣)، وأبو داود في كتاب السنة، باب في الرؤية برقم (٤٧٢٩)، وابن ماجه في افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فيما أنكرت الجهمية برقم (١٧٧)، والنسائي في السنن الكبرى في كتاب الصلاة، فضل صلاة الفجر برقم (٤٦٠)، والترمذي، ت: شاكر في أبواب صفة الجنة، باب ما جاء في رؤية الرب ـ تبارك وتعالى ـ برقم (٢٥٥١)، وأحمد، ط. الرسالة برقم (١٩١٩٠).

(٢) البيتان للعلامة التاودي ابن سودة، في حاشيته على صحيح البخاري، ط١، =

فأحاديث الرؤية بلغت ـ بحمد الله ـ مبلغ التواتر، فيعتقد أهل السنة والجماعة أنَّ المؤمنين يَرَوْنَ ربهم عيانًا بأبصارهم، في موضعين:

الأول: في عَرَصَات القيامة، أي: في مواقف الحساب، كما دلَّ على ذلك حديث أبي هريرة، وفيه: «**فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه. ويُضرب الصراط بين ظهري جهنم**»[(١)]، وحديث أبي سعيد، وفيه: «**حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من برٍّ أو فاجر، أتاهم ربُّ العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها**»[(٢)].

الثاني: بعد دخولهم الجنة، والدليل على إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الجنة: القرآن والسنة والإجماع[(٣)].

فمن أدلة القرآن: قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣]. و(نظر) لها أحوال:

١ ـ إذا جاءت مطلقة، فإنَّها تدلُّ على التريُّث والانتظار.

٢ ـ وإذا تعدت بـ(في) فإنَّها بمعنى: التأمل والاعتبار.

٣ ـ إذا تعدَّت بـ(إلى) فإنَّها بمعنى: النظر بالأبصار.

ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، فسَّر النبي ﷺ الزيادة بأنَّها النظر إلى وجه الله الكريم[(٤)]، وقوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣٥].

= العلمية، بيروت (١/ ١٨٦).

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] برقم (٧٤٣٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية برقم (١٨٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠] برقم (٤٥٨١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية برقم (١٨٣).

(٣) ينظر: عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي (ص٥٨)، وشرح الطحاوي (ص١٥٣)، وشرح صحيح مسلم للنووي (٣/ ١٥).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ﷻ برقم (١٨١).

وأما أدلة السنة فقد بلغت مبلغ التواتر، كما تقدم. كما انعقد الإجماع على إثبات الرؤية، خلافًا للمعتزلة، والرافضة، والزيدية، والإباضية، نفاة الرؤية.

قوله: «**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر**» هذا من تشبيه الرؤية بالرؤية، لا المرئي بالمرئي. وأوجه الشبه: عدم الضيم، وعدم الانضمام والازدحام، والعلو.

قوله: «**لا تضامون في رؤيته**» أي: لا يلحقكم ضيم ومذلة، وفي لفظ: «**لا تضامُّون**» من الانضمام، أي: لا تزدحمون.

قوله: «**فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، فافعلوا**» بيَّن لهم سببًا من أسباب حصول هذه النعمة، وهو المحافظة على صلاتي الفجر والعصر.

فوائد الحديث:

١ ـ إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة.
٢ ـ حصول الرؤية الربانية مع الكرامة والسعة.
٣ ـ إثبات علو الله تعالى.
٤ ـ فضل صلاتي الصبح والعصر.
٥ ـ تعليق الواجبات بالاستطاعة، والعذر بالعجز.
٦ ـ الاستشهاد بالقرآن للتدليل والبيان.

انتقام الله لمن عادى له وليًّا

ثم قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

ﷺ وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«إنَّ الله ـ تبارك وتعالى ـ قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرَّب إليّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليّ من أداء ما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أُحبه، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذني لأعيذنَّه، وما ترددتُ عن شيءٍ أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن؛ يكره الموت، وأكره مساءته، ولا بد له منه»**، رواه البخاري(١).

الشرح

هذا الحديث الشريف العظيم، يُسمى حديث الولي، وهو حديث قدسي.

قوله: «إنَّ الله ـ تبارك وتعالى ـ قال: من عادى لي وليًّا» الولي: مأخوذٌ من الولْي، وهو الدنو والقرب. والمراد به التقي، قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٣]. وليست الولاية بالدعاوى العريضة، أو بالوراثة والنسب، كما يوجد في بعض المجتمعات من يقول: هذا بيت أولياء، فلان ولي، وأبوه ولي، وجده ولي! بل: «من كان مؤمنًا تقيًّا كان لله وليًّا»(٢)،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب التواضع برقم (٦٥٠٢).

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (١/٢٠٦).

أيًّا كان عنصره، أو لونه، أو لغته، أو وطنه. فالتقوى هي المعيار، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقوله: «**فقد آذنته بالحرب**» أي: أعلمته، على سبيل الاستعلان. قال ابن رجب: (يَعْنِي: فَقَدْ أَعْلَمْتُهُ بِأَنِّي مُحَارِبٌ لَهُ، حَيْثُ كَانَ مُحَارِبًا لِي بِمُعَادَاةِ أَوْلِيَائِي، وَلِهَذَا جَاءَ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ: «**فَقَدِ اسْتَحَلَّ مُحَارَبَتِي**»، وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ وَغَيْرِهِ: «**فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ**»... وَاعْلَمْ أَنَّ جَمِيعَ الْمَعَاصِي مُحَارَبَةٌ للهِ ﷻ، قَالَ الْحَسَنُ: ابْنَ آدَمَ هَلْ لَكَ بِمُحَارَبَةِ اللهِ مِنْ طَاقَةٍ؟ فَإِنَّ مَنْ عَصَى اللهَ فَقَدْ حَارَبَهُ، لَكِنْ كُلَّمَا كَانَ الذَّنْبُ أَقْبَحَ، كَانَ أَشَدَّ مُحَارَبَةً للهِ، وَلِهَذَا سَمَّى اللهُ تَعَالَى أَكَلَةَ الرِّبَا، وَقُطَّاعَ الطَّرِيقِ، مُحَارِبِينَ للهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ؛ لِعِظَمِ ظُلْمِهِمْ لِعِبَادِهِ، وَسَعْيِهِمْ بِالْفَسَادِ فِي بِلَادِهِ، وَكَذَلِكَ مُعَادَاةُ أَوْلِيَائِهِ، فَإِنَّهُ تَعَالَى يَتَوَلَّى نُصْرَةَ أَوْلِيَائِهِ، وَيُحِبُّهُمْ وَيُؤَيِّدُهُمْ، فَمَنْ عَادَاهُمْ، فَقَدْ عَادَى اللهَ وَحَارَبَهُ)[1].

قوله: «**وما تقرب إليّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليّ من أداء ما افترضته عليه**» هذا يدل على ضرورة ترتيب الأولويات، والبداءة بالفرائض، قبل التشاغل بالنوافل، فإن (شيء) نكرة في سياق النفي، فأفادت العموم. فأتقن الفرائض التي أوجبها الله عليك؛ من صلاة، وزكاة، وصيام، وحج، قبل الاشتغال بالنوافل. ولا يقال: أرجئ النوافل، لكن أدِّ الفرائض أولًا، ثم أتبعها بالنوافل.

قوله: «**وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أُحبه**» أي: بعد أداء الفرائض، بهذا تنال محبته. قال ابن رجب: (فَقَسَّمَ أَوْلِيَاءَهُ الْمُقَرَّبِينَ قِسْمَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِأَدَاءِ الْفَرَائِضِ، وَيَشْمَلُ ذَلِكَ فِعْلَ الْوَاجِبَاتِ، وَتَرْكَ الْمُحَرَّمَاتِ، لِأَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ الَّتِي افْتَرَضَهَا عَلَى عِبَادِهِ.

وَالثَّانِي: مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيْهِ بَعْدَ الْفَرَائِضِ بِالنَّوَافِلِ. فَظَهَرَ بِذَلِكَ أَنَّهُ لَا طَرِيقَ

(١) جامع العلوم والحكم، ت: الأرنؤوط (٢/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥).

يُوصِّلُ إِلَى التَّقَرُّبِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَوِلَايَتِهِ، وَمَحَبَّتِهِ سِوَى طَاعَتِهِ الَّتِي شَرَعَهَا عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ، فَمَنِ ادَّعَى وِلَايَةَ اللهِ، وَمَحَبَّتَهُ بِغَيْرِ هَذَا الطَّرِيقِ، تَبَيَّنَ أَنَّهُ كَاذِبٌ فِي دَعْوَاهُ، كَمَا كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَتَقَرَّبُونَ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِعِبَادَةِ مَنْ يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِهِ، كَمَا حَكَى اللهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، وَكَمَا حَكَى عَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى أَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨]، مَعَ إِصْرَارِهِمْ عَلَى تَكْذِيبِ رُسُلِهِ، وَارْتِكَابِ نَوَاهِيهِ، وَتَرْكِ فَرَائِضِهِ»(١).

قوله: «فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها» أي: أنَّ الله تعالى يسدده في جميع أموره، فهو يرى بنور الله، ويسمع بنورٍ من الله، وهو في كل ما يأتي وما يذر على نور من الله تعالى.

قوله: «ولئن سألني لأعطينَّه» لأنه صار وليًّا، فإذا دعا الله تعالى جاءت الإجابة فورًا، حتى قال النبي ﷺ: «**كم من أشعث أغبر ذي طمرين، لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبره، منهم البراء بن مالك**»(٢)، فكان إخوانه من الصحابة، إذا كانوا في غزوة، وحمي الوطيس مع المشركين، قالوا: يا براء، ادع لنا ربك أن يمنحنا أكتافهم، فما هو إلا أن يدعو الله تعالى أن يمنحهم أكتافهم، حتى تكون الدائرة لهم(٣). وقد ذكر شراح الحديث جملة صالحة من كرامات الأولياء.

قوله: «ولئن استعاذني لأعيذنَّه» أي: طلب العوذ والعصمة من الله، فإنَّ الله تعالى يعيذه ويعصمه.

قوله: «وما ترددتُ في شيءٍ أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي

---

(١) جامع العلوم والحكم، ت: الأرنؤوط (٢/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦).

(٢) أخرجه الترمذي، ت: شاكر في أبواب المناقب، باب مناقب البراء بن مالك ﵁ برقم (٣٨٥٤)، وصححه الألباني.

(٣) سير أعلام النبلاء، ط. الرسالة (١/ ١٩٧).

المؤمن؛ يكره الموت وأكره مساءته، ولا بد له منه» هذا التردد الذي أضافه الله إلى نفسه، ليس ناشئًا عن جهل، وإنَّما لاجتماع إرادتين متضادتين، فهو سبحانه، يريد أن يقبض نفس عبده، والعبد يكره الموت، والموت حق لا بد له منه؛ وهو سبحانه لا يريد ما يسوء وليه. أما البشر فيترددون؛ لأنهم لا يعرفون عواقب الأمور، فترددهم ناشئ عن جهل، أما ما أضافه الربّ إلى نفسه فليس من هذا القبيل، حاشاه، بل بيّنه بنفسه بقوله: «**يكره الموت، وأكره مساءته، ولا بد له منه**».

وكراهة الموت أمر فطري، يقع للأنبياء، فإنَّ الله تعالى لما «**أرسل ملك الموت إلى موسى ليقبض روحه، فلطمه موسى، ففقأ عينه، فرجع إلى ربه، فقال: يا رب أرسلتني إلى عبدٍ لا يريد الموت، قال: ارجع إليه، فقل: إن شئت فضع يدك على متن ثور، فلك بكل ما غطت يدك بكل شعرة سنة، قال: فقال له: ثم ماذا؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن يا رب**»[(١)]، فلا بد من الموت طال الزمان أو قصر، وهذا لا يتعارض مع قول النبي ﷺ: «**ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه**»[(٢)]؛ لأنَّ كره الولي ليس للقاء الله، بل كره للموت. فبهذا تجتمع الأدلة.

فوائد الحديث:

١ ـ إثبات ولاية الله لأوليائه المؤمنين، ومعاداته لأعدائهم.

٢ ـ وجوب موالاة المؤمنين، ومعاداة الكافرين.

٣ ـ البداءة بالفرائض، وإتقانها، من أعظم محابِّ الله تعالى.

٤ ـ الازدياد من النوافل بعد الفرائض، سبب لمحبة الله وولايته.

(١) أخرجه ابن حبان برقم (٦٢٢٣)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين برقم (٤١٠٧)، وصححه الألباني في ظلال الجنة (١/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧)، والصحيحة (٣٢٧٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه برقم (٦٥٠٧)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه برقم (٢٦٨٣ ـ ٢٦٨٤).

٥ ـ تسديد الله لأوليائه في أسماعهم، وأبصارهم، ومساعيهم.

٦ ـ إجابة الله دعاء أوليائه، وإعاذته لهم.

٧ ـ أن «التردد» الذي أضافه الله إلى نفسه، لا يقتضي نقصًا وجهلًا.

٨ ـ كمال لطف الله بأوليائه، ورأفته بهم، ودفع ما يسوؤهم.

٩ ـ أن كراهة الموت أمر فطري، لا يؤاخذ عليه العبد.

١٠ ـ أن الموت حق لا بد منه.

نزول الله سبحانه وتعالى

ثم قال المصنف رحمه الله:

رضي الله عنه وعنه: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**ينزل ربنا ـ تبارك وتعالى ـ كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**»[١]، متفق عليه.

الشرح

هذا الحديث يدلُّ على إثبات نزول الله ـ سبحانه وبحمده ـ إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، وهو حديث صحيح، متفق عليه، رواه بضعة عشر صحابيًّا. وقد سرد الأئمة ـ ومنهم أبو عثمان الصابوني رحمه الله في كتابه (عقيدة السلف أصحاب الحديث) ـ ألفاظه المختلفة[٢].

فالنزول من صفات الله الفعلية النزول، الثابتة بصحيح وصريح السنة المتواترة، فهو ينزل نزولًا حقيقيًّا، لائقًا بجلاله وعظمته، ولا يجوز أن يُحرَّف إلى معنى من المعاني المجازية، كما فعل أهل الكلام، فقالوا في: «**ينزل ربنا**» أي: ينزل أمر ربنا، أو تنزل رحمة ربنا، أو ينزل مَلَكٌ من ملائكة ربنا.

والرد عليهم من وجوه:

(١) أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل برقم (١١٤٥)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل برقم (٧٥٨).

(٢) انظر: عقيدة السلف أصحاب الحديث، ت: د. ناصر الجديع، ط. دار العاصمة. الأولى ١٤١٥هـ، (ص١٩١ ـ ٢٣٢).

- أن النبي ﷺ أسند النزول إلى ربه. فهل هم أعلم بالله من رسول الله؟! أم هم أصدق قيلًا من رسول الله ﷺ؟! أم هم أحسن بيانًا وأفصح لسانًا منه ﷺ حتى يستدركوا عليه؟!

- أن صنيعهم يقتضي أن يكون في الكلام محذوف! والأصل عدم الحذف.

- أن الذي ينزل يقول: «**من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**» وهذا لا يمكن أن يصدر من الملَك، لا يكون إلا من الله.

- لو قُدِّر أنَّ النازل «رحمة ربنا»، فأيُّ فائدة لأهل الأرض أن يكون منتهى نزولها إلى سماء الدنيا؟!

- لو قدر أن النازل «أمر ربنا»، فلم اختص بالثلث الأخير من الليل؟! وقد قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ٢٩﴾ [الرحمٰن: ٢٩].

فتأويلات المتكلمين، ونزوعهم إلى المجاز، تكتنفه اللوازم الفاسدة التي لا انفكاك لهم عنها، ولو أنَّهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله، وقبلوه، وقروا به عينًا، وطابوا به نفسًا؛ كما قبله الصحابة الكرام، لانتفعوا من النصوص، لكنهم شُقُوا بها، وقد قال الله: ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ٢﴾ [طه: ٢]، فإذا رأيت الرجل يشقى بالقرآن، ويؤِّوله، ويحمله على محامل مجازية تعسفية، فاعلم أنَّه شقي محروم، فاتته هذه النعمة، وهي أن ينعم بالقرآن ولا يشقى به، وكذلك الحال في السنة.

ثم إنَّ في هذا الحديث إغراءً عظيمًا جدًّا، فالله سبحانه وتعالى يعرض هذا العرض لعباده كل ليلة، فينادي الرب: «**من يدعوني؟ من يسألني؟ من يستغفرني؟**» وعامة الخلق يتقلبون في فرشهم، أو يتلهون بملاذهم، أو معاصيهم، والله يناديهم بهذه النداءات! ولو قيل للناس: إنَّه ثمَّ «تخفيضات» في أحد الأسواق، لرأيتهم يذهبون إليها زرافاتٍ ووحدانًا؛ لأجل لعاعة من الدنيا، فنسأل الله المغفرة.

فوائد الحديث:

١ ـ إثبات صفة النزول لله تعالى، نزولًا حقيقيًّا، على ما يليق بجلاله وعظمته.

٢ ـ فضيلة ثلث الليل الأخير، وأنه من أوقات تحري الإجابة.

٣ ـ سعة فضل الله ورحمته.

وصف الجنان والنظر إلى الله سبحانه وتعالى

قال المصنف رحمه الله:

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»**، رواه البخاري(١).

الشرح

هذا الحديث المبهج في صفة الجنة، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمٰن: ٤٦] وذكر صفتهما، ثم قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ [الرحمٰن: ٦٢] وذكر صفتهما.

قوله: «جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما»

قال القسطلاني: (جنتان من ذهب للمقربين، ومن دونهما جنتان من ورق لأصحاب اليمين. رواه الطبري، وابن أبي حاتم، ورجاله ثقات. واستشكل ظاهره، إذ مقتضاه أن الجنتين من فضة لا ذهب فيهما، وبالعكس، بحديث أبي هريرة رضي الله عنه قلنا: يا رسول الله حدّثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال: **«لَبِنَة من ذهب، ولَبِنَة من فضة»**. رواه أحمد، والترمذي، وصححه ابن حبان. وأجيب: بأن الأوّل صفة ما في كل جنة من آنية وغيرها. والثاني صفة حوائط الجنان كلها)(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ برقم (٤٨٧٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى برقم (١٨٠).

(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١٠/٤٠٩).

قوله: «**وما بين القوم**» أي: أهل الجنان الأربع.

قوله: «**وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**)» هو حجاب النور، كما في الأحاديث السابقة، فإذا كشف الله تعالى ذلك شعروا بأعظم النعيم، حتى إنَّ ذلك يكسو وجوههم نضرة؛ ولهذا قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فَيَا نَظْرَةً أَهْدَتْ إِلَى الوَجْهِ نَضْرَةً أَمِنْ بَعْدِهَا يَسْلُو المُحِبُ المتَيَّمُ(١)

فوائد الحديث:

١ ـ إثبات الجنة، وأنها حق.

٢ ـ تفاوت الجنان، وما فيها.

٣ ـ إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الجنة.

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص١١).

باب

قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

باب: قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٣].

وعن ابن عباسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: حدّثني رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصارِ: أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسولِ الله ﷺ إذ رمي بنجم فاستنار، فقال: «**ما كنتم تقولون إذا رمي بمثلِ هذا؟**» قالوا: كنا نقول: ولِد الليلة عظيم، أو مات عظيم، فقال: «**إنها لم ترم لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا** عَزَّ وَجَلَّ **إذا قضى أمرًا سبحت حملة العرشِ حتى يسبح أهل السماءِ الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل السماءِ الدنيا، فيقول الذين يلون حملة العرشِ: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال، فيستخبر أهل السماواتِ بعضهم بعضًا حتى يبلغ الخبر أهل السماءِ الدنيا، فتخْطف الجِن السمع، فيلقونه إلى أوليائهم، فما جاؤوا به على وجهِهِ فهو الحق، ولكنهم يقْرِفون**[(١)]

(١) هذه اللفظة ـ كما قال النووي ـ ضبطوها على وجهين، أحدهما: بالراء، والثاني: بالذال، ووقع في رواية الأوزاعي وابن معقل الراء باتفاق النسخ، ومعناه: يخلطون فيه الكذب، وهو بمعنى: يقذفون، وفي رواية يونس: يرقون، بضم الياء وفتح الراء وتشديد القاف، وقيل: بفتح الياء وإسكان الراء، ومعناه معنى: يزيدون، يقال: رقي فلان إلى الباطل بكسر القاف، أي: رفعه، وأصله من الصعود، أي: يدعون فيها فوق ما سمعوا، قال القاضي: وقد يصح الرواية الأولى على تضعيف هذا الفعل =

ويزيدون»، رواه مسلم، والترمذي، والنسائي[(١)].

الشرح

هذا الحديث يبيِّن أنَّ الله ﷻ يتكلم بكلام حقيقيٍّ يليق بجلاله وعظمته، فهو إذا قضى الأمر، أي: أمر بأمر كوني، أو شرعي تسبح حملة العرش، فيسبح من يليهم من الملائكة وهكذا، حتى يبلغ التسبيح إلى ملائكة السماء الدنيا، وإنَّما سُميت دنيا لدنوها من الأرض، فحينئذٍ تخطفه الجن الذين يتخذون مقاعد للسمع، فيلقونها إلى أصحابهم من الكهان الذين يدَّعون العلم بالمغيبات. وقد وصف سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ صفة رقيهم إلى السماوات بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه[(٢)]، وهذا أمر قد أثبته الله في كتابه بقوله: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩﴾ [الجن: ٩] أي: أنَّ بعضهم يرقى فوق بعض إلى أن يبلغوا السماء الدنيا، فيسترقوا السمع، فربما أدركه الشهاب فأحرقه، وربما ألقاها في أذن الكاهن قبل أن يدركه، فيصبح الكاهن يحدِّث بها، ويخلط الكلمة المسترقة بتسع وتسعين كذبةً من سجعه، فيقول الناس: أو ليس قد قال كذا يوم كذا؟ فتكون هذه الكلمة التي استرقها فتنة للناس، فيتعلقون به ويقصدونه، ويشركون بالله. ولهذا قالت عائشة للنبي ﷺ: يا رسول الله، إنَّ الكهان كانوا يحدِّثوننا بالشيء، فنجده حقًّا، فقال: «**تلك الكلمة الحق يخطفها الجني، فيقذفها في أذن وليه، ويزيد فيها مائة كذبة**»[(٣)]، فهذه حقيقة الكهان، قديمًا وحديثًا؛ يستعينون بالشياطين في استراق السمع، ويخلطون الحق بالباطل.

= وتكثيره. شرح النووي على مسلم (١٤/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧).

(١) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان برقم (٢٢٢٩)، والترمذي، ت: شاكر في أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة سبأ برقم (٣٢٢٤)، والنسائي في السنن الكبرى في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ﴾ برقم (١١٢٠٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ برقم (٤٨٠٠).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب الكهانة برقم (٥٧٦٢)، ومسلم في كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان برقم (٢٢٢٨).

وقد كان أهل الجاهلية إذا رمي بالشِّهاب فاستنار، قالوا: ولد الليلة عظيم أو مات عظيم، فصحح لهم النبي ﷺ هذا الاعتقاد الجاهلي الفاسد، وبيَّن أنَّه لا علاقة بين الأمرين، وأنَّ هذه هي الشُّهب يرمى بها مسترقو السمع من الجن، كما قال الله ﷻ: ﴿إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ۝١٠﴾ [الصافات: ١٠]، وقال: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾ [الطارق: ١ ـ ٣].

فوائد الحديث:

١ ـ حرص النبي ﷺ على تعليم أمته ما تحتاج إليه، عند الوقائع المختلفة.

٢ ـ إبطال اعتقادات أهل الجاهلية، المبنية على الظن والخرص.

٣ ـ تعظيم الملائكة لكلام الله، وزجلهم بالتسبيح.

٤ ـ حرص الملائكة على العلم بأمر الله وقضائه.

٥ ـ إثبات الجن، وتمكنهم من الصعود إلى السماء الدنيا، واستراق السمع.

٦ ـ بيان حقيقة الكهان، وخلطهم الحق بالباطل، وتلبيسهم على الناس.

❁ ❁ ❁

ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

❁ وعن النّواس بن سمعان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أراد الله أنْ يوحِي بالأمرِ، تكلم بالوحي، أخذت السماوات منه رجفة ـ أو قال ـ: رِعْدة شديدة، خوفًا من الله ﷻ، فإذا سمع ذلك أهل السماواتِ صَعِقوا ـ أو قال ـ: خروا لله سجدًا، فيكون أول من يرفع رأسه جبرائيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فيكلِّمه الله من وحيِهِ بما أراد، ثم يمر جِبرائيل على الملائكةِ، كلما مر بسماءٍ سأله ملائكتها: ماذا قال ربّنا يا جبرائيل؟ فيقول: قال الحق وهو العلي الكبير، فيقولون كلّهم**

مثل ما قال جبرائيل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل»، رواه ابن جرير، وابن خزيمة، والطبراني، وابن أبي حاتم، واللفظ له[(١)].

الشرح

هذا الحديث قد ضعَّفه أهل العلم من جهة الإسناد، لكن يشهد له الحديث السابق، وهو يدلُّ على عظيم أمر الله سبحانه، وأنَّه إذا تكلَّم بالوحي رجفت السماوات، وأخذتها رعدة، وجاء في بعض الألفاظ: «**كأنه سلسلة على صفوان**»[(٢)]، أي: لشدة نفاذها، فتصعق الملائكة، وتخرُّ غشيًا.

قوله: «**فيكون أول من يرفع رأسه جبريل عليه السلام**» لأنَّه سيد الملائكة، الموكول بالوحي. «**فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمرُّ جبريل على الملائكة؛ كلما مر بسماء سأله ملائكتها**» وذلك أن الملائكة الكرام عمَّر السماوات، كما تقدم.

قوله: «**ماذا قال ربنا يا جبرائيل؟ فيقول: قال الحق وهو العلي الكبير، فيقولون كلهم مثلما قال جبرائيل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل**» وبهذا يتبيَّن توجيه الآية: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ أي: سُرِّي عنها بعد أن أصابها الغشي والخوف والرهب، ﴿قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾ [سبأ: ٢٣]، فتكون الجملة الأخيرة من كلامهم جميعًا.

فوائد الحديث:

١ ـ إثبات صفة الكلام لله تعالى، وتعلقه بمشيئته.

---

(١) أخرجه ابن حبان في كتاب الوحي، ذكر وصف أهل السماوات عند نزول الوحي برقم (٣٧)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، باب ذكر إثبات وجه الله برقم (٢٠٦)، وابن جرير في تفسيره جامع البيان، ت: شاكر (٢٠/٣٩٧)، والطبراني في مسند الشاميين (٥٩١)، وفي تفسير القرآن العظيم المنسوب للإمام الطبراني (٦/٣٨٧). وضعفه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ برقم (٤٨٠٠).

٢ ـ الرد على منكري صفة الكلام من الجهمية والمعتزلة، والقائلين بالكلام النفساني من الأشاعرة.

٣ ـ شدة تعظيم الملائكة لربها، وأنهم من خشيته مشفقون.

٤ ـ فضيلة جبريل عليه السلام على سائر الملائكة.

باب

قولِ الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

باب: قولِ الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**يقْبِض الله الأرض، ويطوي السماء بيمينِه، ثم يقول: أنا الملك؛ أين ملوك الأرضِ؟**»، رواه البخاري[(١)].

وله: عن ابنِ عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن رسول اللهِ ﷺ قال: «**إنَّ الله يقْبِض يوم القيامةِ الأرضِين، وتكون السماوات بيمينِه، ثم يقول: أنا الملك**»[(٢)].

وفي روايةٍ عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبرِ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ برقم (٤٨١٢)، ومسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار برقم (٢٧٨٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ برقم (٧٤١٢).

[الزمر: ٦٧] ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيدِهِ، يحركها ويُقبِل بها ويُدْبِر: «**يمجِّد الربّ نفسه، أنا الجبار، أنا المتكبِّر، أنا العزيز، أنا الكريم**»، فرجف برسولِ اللهِ ﷺ المنبر، حتى قلنا: ليخرّنّ به[(١)]، رواه أحمد.

❁ ورواه مسلم: عن عبيدِ الله بن مقسم: أنَّه نظر إلى عبد اللهِ بن عمر رضي الله عنهما كيف يحْكي عن رسولِ اللهِ ﷺ قال: «**يأخذ الله سماواتهِ وأرضِيهِ بيديهِ فيقبِضهما، فيقول: أنا الملك، ويقبض أصابِعه ويبسطها، فيقول: أنا الملك**»، حتى نظرت إلى المنبرِ يتحرك من أسفلِ شيء منه، حتى إني لأقول: أساقِط هو برسول الله ﷺ؟[(٢)].

الشرح

هذه الآية، والأحاديث المفسرة لها، تدل على إثبات حقيقة اليدين لله عز وجل، ووصفهما بأوصاف اليد الحقيقية؛ من ذكر القبضة، واليمين، والأصابع، وتصرفات اليد الحقيقية؛ من ذكر الأخذ، والقبض، والبسط، والطي، والإقبال، والإدبار. فيجب أن نثبت لله ما أثبت لنفسه، مع اعتقاد تنزيهه عن مماثلة المخلوقين، ولا يحلُّ لأحدٍ كائنًا من كان، أن يتجنى على كلام الله وكلام رسوله، بتمثيل أو تعطيل، أو تأويل، أو تجهيل، تحت أي دعوى، فالله أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلًا، وأحسن حديثًا من خلقه. ونبيِّه ﷺ أعلم النَّاس بربه، وأصدقهم كلامًا، وأحسنهم بيانًا، وأفصحهم لسانًا، فليس لأحدٍ أن يأتي في آخر الزمان ليقول: المراد بكذا كذا، من تلقاء نفسه، دون أثارة من علم، سوى الخرص والتخمين المبني على المقدمات الفاسدة، التي وضعها المتكلمون، وأفسدوا على أنفسهم وعلى غيرهم دلالة

---

(١) أخرجه أحمد، ط. الرسالة برقم (٥٤١٤)، وقال محققو المسند: «إسناده صحيح على شرط مسلم».

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار برقم (٢٧٨٨).

الكتاب والسنة. فإن هذا البيان النبوي؛ القولي والعملي، يدل دلالة قاطعة على إرادة الحقيقة، ونفي المجاز. وإثبات الحقيقة لا تستلزم التشبيه كما توهم المحرفون الذين سبق إلى أذهانهم لوثة التمثيل، ففروا منه إلى التعطيل.

فوائد الحديث:

١ ـ إثبات صفة اليدين، واليمين، والأصابع، والقبض، والبسط، والأخذ، والطي، لله تعالى، حقيقةً، على ما يليق بجلاله، وبطلان تأويلها..

٢ ـ إثبات أسماء «الملك»، «الجبار»، «المتكبر»، «العزيز»، «الكريم» لله تعالى، وما تضمنته من صفات.

٣ ـ جواز تحقيق الإثبات بفعل يدل عليه، مع أمن عدم توهم التشبيه.

٤ ـ شدة تعظيم النبي ﷺ لربه ﷻ، وانفعاله لذكره.

٥ ـ الخطبة بالقرآن وبيانه.

٦ ـ صفة الخطيب المؤثر.

ما هو أول هذا الأمر؟

ثم قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿ وفي الصّحيحين[(١)]: عن عِمران بن حصينٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اقْبلوا البشْرى يا بني تميم**»، قالوا: قد بشرتنا فأعطِنا، قال: «**اقبلوا البشرى يا أهل اليمنِ**»، قالوا: قد قبلنا، فأخبِرنا عن أول هذا الأمر، قال: «**كان الله قبل كلِّ شيءٍ، وكان عرشه على الماءِ، وكتب في اللوحِ المحفوظِ ذِكر كل شيء**». قال: فأتاني آتٍ فقال: يا عِمران! انْحلتْ ناقتك من عِقالِها، قال: فخرجت في أثرِها، لا أدري ما كان بعدي[(٢)].

الشرح

قوله: «**كان الله قبل كل شيء، وكان عرشه على الماء**» هذا يدلُّ على أولية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كما قال عن نفسه: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]، وفسَّر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «الأول» بقوله: «**اللّهم أنت الأول فليس قبلك شيء**»[(٣)]، كما يدل على أسبقية العرش والماء للقلم، فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أول ما خلق الله القلم**»[(٤)]، أي: بالنسبة لخلق السماوات والأرض، فهي أولية نسبية.

---

(١) هكذا قال في الصحيحين، وهو في البخاري فقط، كما سيأتي.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ برقم (٧٤١٨).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع برقم (٢٧١٣).

(٤) أخرجه الترمذي، ت: شاكر في أبواب القدر برقم (٢١٥٥)، وأبو داود في كتاب =

والحديث لا يدل على خلو الله تعالى من الخلق والفعل، فإنه لم يزل خلاقًا، ولم يزل فعالًا، وربما استدل به من يمنع تسلسل الحوادث في الماضي. وقد حرر ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللَّهُ، هذه المسألة، تحريرًا حسنًا، ننقله بطوله: (وَالنَّاسُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ عَلَى قَوْلَيْنِ:

- مِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْمَقْصُودَ إِخْبَارُهُ بِأَنَّ اللهَ كَانَ مَوْجُودًا وَحْدَهُ، وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ دَائِمًا، ثُمَّ ابْتَدَأَ إِحْدَاثَ جَمِيعِ الْحَوَادِثِ، فَجِنْسُهَا، وَأَعْيَانُهَا مَسْبُوقَةٌ بِالْعَدَمِ، وَأَنَّ جِنْسَ الزَّمَانِ حَادِثٌ لَا فِي زَمَانٍ، وَأَنَّ اللهَ صَارَ فَاعِلًا بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ يَفْعَلُ شَيْئًا، مِنَ الْأَزَلِ إِلَى حِينِ ابْتِدَاءِ الْفِعْلِ، ولا كَانَ الْفِعْلُ مُمْكِنًا.

- وَالْقَوْلُ الثَّانِي: الْمُرَادُ إِخْبَارُهُ عَنْ مَبْدَأِ خَلْقِ هَذَا الْعَالَمِ المشهود الَّذِي خَلَقَهُ اللهُ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، كَمَا أَخْبَرَ الْقُرْآنُ بِذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ. وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**قَدَّرَ اللهُ تَعَالَى مَقَادِيرَ الْخَلْقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**». فَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّ تَقْدِيرَ هَذَا الْعَالَمِ الْمَخْلُوقِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ كَانَ قَبْلَ خَلْقِهِ السَّمَاوَاتِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَأَنَّ عَرْشَ الرَّبِّ تَعَالَى كَانَ حِينَئِذٍ عَلَى الْمَاءِ.

دَلِيلُ صِحَّةِ هَذَا الْقَوْلِ الثَّانِي مِنْ وُجُوهٍ:

- أَحَدُهَا: أَنَّ قَوْلَ أهل اليمن: «**جِئْنَاكَ لِنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ**»، وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى حَاضِرٍ مَشْهُودٍ مَوْجُودٍ، وَالْأَمْرُ هُنَا بِمَعْنَى الْمَأْمُورِ، أَي: الَّذِي كَوَّنَهُ اللهُ بِأَمْرِهِ، وَقَدْ أَجَابَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ بَدْءِ هَذَا الْعَالَمِ الْمَوْجُودِ، لَا عَنْ جِنْسِ الْمَخْلُوقَاتِ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَسْأَلُوهُ عَنْهُ، وَقَدْ أَخْبَرَهُمْ عَنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَالَ كَوْنِ عَرْشِهِ عَلَى الْمَاءِ، وَلَمْ يُخْبِرْهُمْ عَنْ خَلْقِ الْعَرْشِ، وَهُوَ مَخْلُوقٌ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

= السنة، باب في القدر برقم (٤٧٠٠)، وأحمد، ط. الرسالة برقم (٢٢٧٠٧)، وصححه الألباني.

- وَأَيْضًا فَإِنَّهُ قَالَ: «**كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ**»، وَقَدْ رُوِيَ «**مَعَهُ**»، وَرُوِيَ «**غَيْرُهُ**»، وَالْمَجْلِسُ كَانَ وَاحِدًا، فَعُلِمَ أَنَّهُ قَالَ أَحَدَ الألفاظ، والآخران رويا بِالْمَعْنَى، وَلَفْظُ «**الْقَبْلِ**» ثَبَتَ عَنْهُ فِي غَيْرِ هذا الحديث، ففي حديث مُسْلِم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ**»، الْحَدِيثَ. وَاللَّفْظَانِ الْآخَرَانِ لَمْ يَثْبُتْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، وَلِهَذَا كَانَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ إِنَّمَا يَرْوِيهِ بِلَفْظِ الْقَبْلِ، كَالْحُمَيْدِيِّ، وَالْبَغَوِيِّ، وَابْنِ الْأَثِيرِ. وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ فِي هَذَا اللَّفْظِ تَعَرُّضٌ لِابْتِدَاءِ الْحَوَادِثِ، وَلَا لِأَوَّلِ مَخْلُوقٍ.

- وَأَيْضًا فَإِنَّهُ يُقَالُ: «**كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ أَوْ مَعَهُ أَوْ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ**». فَأَخْبَرَ عَنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ بِالْوَاوِ، وَ«**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**» رُوِيَ بِالْوَاوِ، وَبِثُمَّ، فَظَهَرَ أَنَّ مَقْصُودَهُ إِخْبَارُهُ إِيَّاهُمْ بِبَدْءِ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَهِيَ الْمَخْلُوقَاتُ الَّتِي خُلِقَتْ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، لَا ابْتِدَاءِ خَلْقِ مَا خَلَقَهُ اللهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَذَكَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِمَا يَدُلُّ عَلَى خَلْقِهِمَا، وَذَكَرَ مَا قَبْلَهُمَا بِمَا يَدُلُّ عَلَى كَوْنِهِ وَوُجُودِهِ، وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لِابْتِدَاءِ خَلْقِهِ لَهُ.

- وَأَيْضًا فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ الْحَدِيثُ قَدْ وَرَدَ بِهَذَا وَهَذَا، فَلَا يُجْزَمُ بِأَحَدِهِمَا إِلَّا بِدَلِيلٍ، فَإِذَا رَجَحَ أَحَدُهُمَا فَمَنْ جَزَمَ بِأَنَّ الرَّسُولَ أَرَادَ الْمَعْنَى الْآخَرَ فَهُوَ مُخْطِئٌ قَطْعًا، وَلَمْ يَأْتِ فِي الْكِتَابِ وَلَا فِي السُّنَّةِ مَا يَدُلُّ عَلَى الْمَعْنَى الْآخَرِ، فَلَا يَجُوزُ إِثْبَاتُهُ بِمَا يُظَنُّ أَنَّهُ مَعْنَى الْحَدِيثِ، وَلَمْ يَرِدْ: كَانَ اللهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ مُجَرَّدًا، وَإِنَّمَا وَرَدَ عَلَى السِّيَاقِ الْمَذْكُورِ، فَلَا يُظَنُّ أَنَّ مَعْنَاهُ الْإِخْبَارُ بِتَعْطِيلِ الرَّبِّ تَعَالَى دَائِمًا عَنِ الْفِعْلِ حَتَّى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَأَيْضًا فَقَوْلُهُ ﷺ: «**كَانَ اللهُ وَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ - أَوْ مَعَهُ، أَوْ غيره - وكان عرشه على الْمَاءِ**»، لَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَنَّهُ تَعَالَى مَوْجُودٌ وَحْدَهُ لَا مَخْلُوقَ مَعَهُ أَصْلًا؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: «**وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**». يَرُدُّ ذَلِكَ، فَإِنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةَ وَهِيَ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى

الْمَاءِ إِمَّا حَالِيَّةٌ، أَوْ مَعْطُوفَةٌ، وَعَلَى كلا التقديرين هو مَخْلُوقٌ مَوْجُودٌ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، فَعُلِمَ أَنَّ الْمُرَادَ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ الْمَشْهُودِ)[(١)]. فالصحيح في مسألة تسلسل الحوادث، ما عليه السلف الصالح، من تسلسلها في الماضي والمستقبل؛ باعتبار جنسها، لا أعيانها، لأنه سبحانه لم يزل فعالًا لما يريد.

قوله: «وكتب في اللوح المحفوظ ذكر كل شيء» قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿١٢﴾﴾ [يس: ١٢]، وقال: ﴿فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۢ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج: ٢٢].

۞ فوائد الحديث:

١ ـ كونه ﷺ بشيرًا، كسائر إخوانه من النبِّيين؛ مبشرين ومنذرين.

٢ ـ فضل أهل اليمن، لقَبُولهم البشرى، وسؤالهم العلم.

٣ ـ إثبات أوَّليته سبحانه، وحدوث ما سواه.

٤ ـ أن خلق العرش، والماء، سابق لخلق القلم، والسماوات والأرضين.

٥ ـ إثبات الكتابة الربانية.

٦ ـ إثبات اللوح المحفوظ، واشتماله على ذكر كل شيء.

۞ ۞ ۞

(١) شرح الطحاوية، ط. دار السلام (ص١٣٤).

لا يُستشفع بالله على أحد

ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ﷺ وعن جبيرِ بنِ محمّد بن جبير بن مطْعِم عن أبيه عن جدِّه، قال: جاء أعرابي إلى رسولِ الله ﷺ فقال: ياً رسول اللهِ جهِدتِ الأنفس، وضاعت العيال، ونهِكتِ الأموال، وهلكتِ الأنعام، فاسْتسقِ لنا ربك، فإنّا نستشْفِع بك على اللهِ، وباللهِ عليك، فقال رسول اللهِ ﷺ: «**ويْحك أتدري ما تقول؟**» وسبّح رسول اللهِ، فما زال يسبح حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: «**ويحك إنه لا يُستشفع بالله على أحدٍ من خلْقِهِ، شأْن اللهِ أعظم من ذلك، ويحك أتدري ما الله؟ إنَّ عرشه على سماواتِهِ لهكذا**»، وقال بأصابِعِهِ مثل القبةِ عليه، «**وإنه ليئِطّ به أطِيط الرحلِ بالراكبِ**»، رواه أحمد(١)، وأبو داود(٢).

الشرح

هذا الحديث رواه أبو داود، كما ذكر المصنف، وابن خزيمة(٣)، والآجري(٤)، وابن أبي عاصم(٥)، وهو يدلُّ أيضًا، على تعظيم النبي ﷺ لربِّه.

(١) هكذا قال! ولم نجده في المسند.
(٢) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب في الجهمية برقم (٤٧٢٦)، وضعفه الألباني.
(٣) التوحيد وإثبات صفات الرب عَزَّ وَجَلَّ لابن خزيمة برقم (١٤٨).
(٤) الشريعة للآجري برقم (٦٦٧).
(٥) السنة لابن أبي عاصم برقم (٥٧٥).

قوله: «**فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بك على الله**» الشفاعة لغةً: مشتقة من الشفع، ضد الوتر. واصطلاحًا: سؤال الخير للغير. فكأن الشافع انضم إلى المستشفع فصارا شفعًا بعد أن كان وترًا. فقد طلب من النبي ﷺ أن يدعو ربه أن يغيثهم ويسقيهم، وهذا طلب مشروع.

قوله: «**وبالله عليك**» أي: نستشفع بالله عليك! فجعل الله تعالى شافعًا إلى النبي ﷺ، ومعلوم أن المشفوع عنده، أعظم مقامًا من الشافع، فلهذا تأثر النبي ﷺ قوله: «**ويحك! أتدري ما تقول؟**» وسبح رسول الله ﷺ أنكر عليه مقالته، وطفق يسبِّح ربه، ويكرر التسبيح، لعظيم تأثره.

قوله: «**حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه**» أي: تأثروا لتأثره ﷺ، وعلموا أن الأمر جلل.

قوله: «**ويحك! إنَّه لا يُستشفع بالله على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك**» كرر النكير عليه، وعلمَّه أن شأن الله أعظم مما توهمه، فلا يصلح أن يستشفع به على أحد، لأنه أعظم من كل أحد.

قوله: «**ويحك! أتدري ما الله؟ إنَّ عرشه على سماواته لهكذا**» وقال بأصابعه مثل القبة عليه، ثلَّث بالنكير عليه، واستثار عقله بسؤال تقريري عن صفة الله، وبيَّن له جانبًا من عظمته؛ أنَّ عرشه الذي استوى عليه، كالسقف للعالم، وهو سبحانه فوق عرشه، كما قال في ستة مواضع في القرآن: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣]، وفي سابع: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥].

قوله: «**وإنَّه ليئط به أطيط الرحل بالراكب**» تقدم معنى الأطيط. وهذا يدل على عظمة الربّ ﷻ، ومن النَّاس من يتخوَّض في جناب الله، بكلامٍ تقشعر له الأبدان، لا يلقي له بالًا، ومن الناس من يسمع ذلك ولا يتأثر من جرائه! فربِّ نفسك ـ أيها المؤمن ـ على تعظيم الله ﷻ وإجلاله، والتأدب معه، وخشيته.

فوائد الحديث:

١ ـ جواز الاستشفاع بالنبي ﷺ، والتوسل به في حياته.

٢ ـ تحريم الاستشفاع بالله تعالى على أحد من خلقه، وأن ذلك غاية الجهل والجفاء.

٣ ـ إظهار الإنكار عند وجود سببه، وقرنه بالتعليم.

٤ ـ إثبات العرش، وأنه سقف المخلوقات.

٥ ـ إثبات علو الله تعالى.

صبر الله عز وجل على تكذيب ابن آدم له

ثم قال المصنف رحمه الله:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«قال الله عز وجل: كذّبني ابن آدم ولم يكنْ له ذلك، وشتمني ولم يكنْ له ذلك؛ أما تكْذِيبه إياي فقوله: لنْ يعيدني كما بدأني، وليس أوّل الخلْقِ بِأهون عليّ منْ إعادتِهِ، وأما شتْمه إِياي، فقوله: اتخذ الله ولدًا، وأنا الأحد الصمد الذي لم يلدْ ولم يولدْ، ولم يكنْ له كفوًا أحد»**[(١)]. وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما: **«وأمَّا شتمه إِيَّاي فقوله: لي ولدٌ، وسبحاني أنْ أتخِذ صاحِبة أو ولدًا»**، رواه البخاري[(٢)].

الشرح

هذا الحديث يدلُّ على وجوب تنزيه الرب سبحانه وتعالى عن النقائص والعيوب ومماثلة المخلوقين، وعن قالات السوء التي تصدر من الناس؛ كإنكار البعث، فإنَّ هذا تكذيب للرب، وكذلك وصفه باتخاذ الولد، فهذا تنقُّص له، ويدلُّ أيضًا ـ كما تقدم ـ على صبر الله تعالى على أذى عباده.

فوائد الحديث:

١ ـ حصول الأذى من بني آدم في حق الله تعالى؛ بالتكذيب، والمسبة، دون أن يبلغوا ضره، سبحانه.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ برقم (٤٩٧٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ﴾ برقم (٤٤٨٢).

٢ ـ الرد على منكري البعث بمقتضى العقل.

٣ ـ الرد على مدعي الولد، والصاحبة، بمقتضى السمع المتضمن للعقل.

٤ ـ تسبيح الرب نفسه، وتنزيهه عن النقص والعيب ومماثلة المخلوق، ووصفه نفسه بصفات الكمال.

٥ ـ البيان باستعمال أسلوب الطي والنشر المرتب.

٦ ـ إثبات اسمي «الأحد» و«الصمد» لله تعالى، وما تضمناه من وصف.

تحريم سبّ الدهر

ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

❁ ولهما: عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال الله تعالى: يؤذْيني ابن آدم يسبّ الدهر وأنا الدهر، بِيدِي الأمر، أقلِّب الليل والنهار»**(١).

الشرح

قوله: «يؤذيني ابن آدم» لا يلزم من الأذى حصول الضر، قال تعالى في ثلاثة مواضع من كتابه: ﴿لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ﴾ [آل عمران: ١٧٦، ١٧٧]،[محمد: ٣٢]. ومنه ما يقع من بعض الناس من سب الدهر، مع أنَّ الدهر مجرد ظرف زمان، يجري الله تعالى فيه أقداره.

قوله: «يسب الدهر وأنا الدهر» جملة بيانية لما تقدمها؛ أي: أنا مصرِّف الدهر، فمن سب الدهر فقد سب الله عَزَّ وَجَلَّ، لأنه خالقه وجاعله ظرفًا لأقداره وقضائه. وليس المقصود أنَّ الله بذاته هو الدهر؛ لأنَّ الدهر اسم جامد بمعنى الزمن، وأسماء الله حسنى، دالة بذاتها على الكمال. والدليل على أنَّ الدهر ليس من أسمائه سبحانه:

قوله: «بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار» والليل والنهار هما الدهر، فلا يمكن أن يكون المقلِّب، هو المقلَّب. لكن المقصود تحريم سبِّ الزمان، كما يقول بعض الناس: هذا زمان سوء، أو هذا يوم نحس، أو يتشاءم من شهر

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ﴾ الآية برقم (٤٨٢٦)، ومسلم في كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر برقم (٢٢٤٦).

صفر، فإنَّ هذا من أذية الله تعالى؛ لأنَّ الله تعالى هو الذي قدَّر الأقدار، ونزَّلها منازلها من الليل والنهار.

فوائد الحديث:

١ ـ حصول الأذى من الآدميين في حق الله تعالى بسب الدهر، لكونه مجري أقداره فيه.

٢ ـ أن «الدهر» ليس من الأسماء الحسنى، لأنه اسم جامد، لا يدل على الكمال.

٣ ـ أن النصوص الشرعية تدفع عن نفسها بنفسها التشابه والزيغ.

٤ ـ تحريم سب الدهر بجميع صوره.

٥ ـ أن الله تعالى هو المدبر لجميع الكائنات.

بـــاب

الإيمان بالقدر

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

باب: الإيمان بالقدر:

وقـول الله تـعـالـى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ۝١٠١﴾ [الأنبياء: ١٠١].

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ۝٣٨﴾ [الأحزاب: ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات: ٩٦].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ۝٤٩﴾ [القمر: ٤٩].

الشرح

الإيمان بالقدر هو: الإيمان بتقدير الله تعالى للكائنات قبل حصولها، ويشمل: علمه بها، وكتابته لها، ومشيئته إياها، وخلْقه لها. فلا يتم الإيمان بالقدر إلا بالإيمان بهذه المراتب الأربع:

المرتبة الأولى: الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيء؛ جملةً وتفصيلًا، كليًّا وجزئيًّا، ما يتعلق بأفعاله سبحانه، كالخلق والرزق، وما يتعلق بأفعال عباده، كالطاعات والمعاصي، فقد علم ما كان، وما يكون، وما سوف يكون، وما لم يكن كيف لو كان يكون. وأدلة علم الله تعالى كثيرة وفيرة في كتاب الله، وسنة نبيه الثابتة المحفوظة، يطول المقام بذكرها، وهي من المعلوم من الدين بالضرورة.

المرتبة الثانية: الإيمان بكتابة الله تعالى للأشياء قبل حصولها، فقد

كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنَّ النبي ﷺ قال: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء**»[(١)]، وقال: «**كل شيء بقدر حتى العجز والكيس، أو الكيس والعجز**»[(٢)]، العجز: التهاون، والكيس: الحذق، أي: حتى صفات الناس الخُلُقية، والكسبية، قد كتبها الله. ويجمع هاتين المرتبتين قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ﴾ [الحج: ٧٠].

المرتبة الثالثة: الإيمان بمشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة؛ فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا رادَّ لما قضى، ولا يكون في ملكه ما لا يريد. قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩].

المرتبة الرابعة: الإيمان بخلق الله لجميع الأشياء؛ ذواتها، وصفاتها، وحركاتها، فالله الخالق، وما سواه مخلوق، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان: ٢].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ فدلَّ هذا على أنَّ تعالى قد قضى وقدَّر في الأزل أنَّ من عباده من يكون من أهل الجنة، ومفهوم ذلك أنَّ منهم من يكون من أهل النار في سابق علمه وتقديره. قال السعدي: (أي: سبقت لهم سابقة السعادة في علم الله، وفي اللوح المحفوظ، وفي تيسيرهم في الدنيا لليسرى، والأعمال الصالحة)[(٣)].

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ فلا يتحرك متحرك، ولا يسكن ساكن، إلا والله قد قدَّره وقضاه منذ الأزل، فهو حتم لازم.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ فدلَّ على أن الله خلق ذوات

(١) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام برقم (٢٦٥٣).
(٢) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب كل شيء بقدر برقم (٢٦٥٥).
(٣) تيسير الكريم الرحمٰن (ص٥٣١).

الأشياء، وخلق أيضًا أفعال العباد؛ قال المفسرون: إن (ما) تحتمل المصدرية، فيكون التقدير: خلقكم وخلق عملكم، وتحتمل أن تكون بمعنى «الذي» أي: خلقكم وخلق الذي تعملونه من الأصنام. والآية تشمل المعنيين[(١)].

قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ (كُلَّ) من ألفاظ العموم، فلا يخرج عن ذلك شيء من الأشياء، هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة: أنَّ كل شيء بقدر. وذهب قوم إلى أنَّ الله تعالى لم يقدِّر الطاعات والمعاصي، وأنَّ الأمر أُنُف، أي: مستأنف على الله! زعموا أنَّ الله أمر ونهى، ثم هو لا يعلم من سيطيعه ومن سيعصيه! وهؤلاء هم القدرية الأولى، الذين ظهروا في أواخر عهد الصحابة، وكان أول من قال بالقدر بهذا المعنى رجل يقال له: معبد الجهني، وكان في البصرة. وقد صدَّر الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ صحيحه بحديث حُميد بن عبد الرحمٰن، ويحيى بن يعمر، حيث قدما، وقالا: «لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ، فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب، داخلًا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه، والآخر عن شماله، فظننتُ أن صاحبي سيكل الكلام إليّ، فقلتُ: أبا عبد الرحمٰن إنه قد ظهر قِبَلَنا ناس يقرؤون القرآن، ويتقفَّرون العلم، أي: أنهم على حظٍّ من القرآن والعلم، لكنهم على هذه الضلالة، وذكر من شأنهم أنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أُنُف». فحدَّث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا بحديث أبيه، وهو حديث جبريل الطويل المشهور، وفيه: «**وتؤمن بالقدر خيره وشره**»، ثم قال: «فإذا لقيتَ أولئك، فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني»[(٢)]، وقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «لو رأيت أحدهم لعضضت أنفه»[(٣)]، وذلك لشدة تغيظه

(١) تفسير الطبري = جامع البيان، ت: شاكر (٢١/ ٧٠).
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة برقم (٨).
(٣) القدر للفريابي برقم (٨١)، والإبانة لابن بطة برقم (١٦١٣)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنه والجماعة (٤/ ٦٤٤).

عليهم. وهكذا شنَّع عليهم صغار الصحابة الكرام ـ رضوان الله عليهم ـ، الذين أدركوهم، قال عبد القاهر البغدادي: (وتبرأ منهم المتأخرون من الصحابة، كعبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله، وأبي هريرة، وابن عباس، وأنس بن مالك، وعبد الله بن أبي أوفى، وعقبة بن عامر الجهني، وأقرانهم، وأوصوا أخلافهم: بأن لا يسلموا على القدرية، ولا يصلوا على جنائزهم، ولا يعودوا مرضاهم)[١].

ومقابل هؤلاء، ظهرت الجبرية نقيضًا لهم، وهم الذين يزعمون أنَّ العبد مجبور على فعله، وأنَّه مسيَّر لا اختيار له، ولا إرادة ولا فعل.

والحق، دومًا، وسط بين طرفين، وعدل بين عوجين، وهُدى بين ضلالتين، فهدى الله أهل السنة لما اختُلف فيه من الحق بإذنه، فأثبتوا قدر الله السابق، الذي نطقت به النصوص، وأثبتوا للعبد فعلًا واختيارًا حقيقيًّا، به يأتي وبه يذر، وعليه يترتب الثواب والعقاب، وليس بين الأمرين، بحمد الله، تعارض، فإنَّ الله تعالى بحكم ربوبيته قد فرغ من العباد، وقضى في الأزل: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝٧﴾ [الشورى: ٧]، ولكنه أخفى قدره عنهم، وأظهر لهم شرعه. فلا حجة لأحدٍ على الله تعالى بالقدر السابق؛ لسببٍ واضح؛ وهو أنَّه لا يعلم ماذا قدَّر الله له في الأزل، وهو حينما يأتي ما يأتي، ويذر ما يذر، يفعل ذلك بمحض اختيار، وسبق إصرار، ولا يجد نفسه مُجبرًا على فعل أو ترك، بل يفعله بكامل إرادته واختياره، وعليه، فهو حقيق بالثواب أو العقاب.

فللَّه تعالى كتابان: كتاب ظاهر، وكتاب مكنون. أما كتابه الظاهر: فهو الشرع الذي فيه الحلال والحرام. وأما كتابه المكنون: فهو القدر، فهو سرٌّ مصون، وغيبٌ مستور، لا يعلمه أحد. وبناءً عليه: فلا يمكن لأحدٍ أن يحتج على ربه بالقدر السابق؛ لأنَّه لا يعلم بقدره إلا بعد صدور الفعل منه، وهو قبل أن يفعل الفعل قد قيل له: إن فعلت كذا دخلت الجنة، وإن فعلت كذا

(١) الفرق بين الفرق (ص١٥).

دخلت النار، ثم هو بمحض اختيار، وسبق إصرار، يسلك أحد السبيلين، فيكون حقيقًا بالثواب والعقاب، فيرتفع الإشكال. ولما احتج المشركون بالقدر فقالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨] وحقًّا، لو شاء الله ما أشركوا ولا آباؤهم، ولا حرَّموا ما أحل الله، لكن لا حجة لهم في ذلك على الله، ولهذا قال الله رادًّا عليهم من ثلاثة أوجه:

أحدها: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، فسمى مقالتهم كذبًا، والكذب هو مخالفة الخبر للواقع.

الثاني: ﴿حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا﴾ ولو كان لهم في القدر حجة ما أذاقهم الله بأسه فإنه حكم عدل مقسط.

الثالث: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾ أي: هل اطلعتم على كتابكم في اللوح المحفوظ، فوجدتم أنَّكم تشركون، وتحرِّمون ما أحلَّ الله، ففعلتم ما فعلتم بناءً على اطلاع سابق؟ قطعًا لا يستطيعوا أن يقولوا: نعم! إذًا حقيقة الأمر: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾.

وهكذا يقال لكل مبطل يحتج بالقدر، كما نسمع، ونشاهد من بعض البطَّالين العطَّالين؛ يقال له: يا فلان صلِّ! فيقول: لو كتب الله لي صلاة لصليت، ويقال: يا فلان اتقِّ الله! ولا تشرب الخمر، فيقول: الله كتب عليَّ ذلك، لو لم يكتبه الله عليَّ ما شربته. ويقال له: لا تأكل الربا، فيقول: هذا شيءٌ مكتوبٌ عليّ، ولو شاء الله ما فعلته. فلا حجة لهم بذلك؛ لأنَّهم لم يعلموا بأنَّ هذا هو قدر الله عليهم إلا بعد اقترافهم إياه، وهم قد علموا بأنَّ هذا مما حرم الله، أو مما أوجب الله، وآتاهم الله من الآلات والأدوات ما يتمكنون به من الفعل أو الترك. وعذرهم فيما خرج عن طوقهم؛ بجهل، أو خطأ، أو نسيان، أو إكراه، وتنكَّبوا الطريق وعصوا ربهم، فكانوا حقيقين بالعقاب. فلا تضيِّع عمرك بالتفكير في القدر، فالقدر سرٌّ مكنون، واشتغل بالشرع، وافعل ما أمر الله، واجتنب ما نهى الله، وثق بأنَّ الله تعالى حكم عدل، لا يظلم مثقال ذرة.

❁ فوائد الآيات:

١ ـ إثبات القدر السابق.

٢ ـ أن القدر حتم لازم، لا سبيل لتغييره.

٣ ـ إثبات خلق الله للعباد، وأفعال العباد.

٤ ـ عموم تقدير الله للكائنات.

❁ ❁ ❁

ثم قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

❁ وفي صحيح مسلم: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله قدَّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء**»(١).

الشرح

دلَّ هذا الحديث على سبق تقدير الله تعالى للآجال والأرزاق، والطاعات والمعاصي، وسائر الحوادث قبل خلق العالم العلوي والسفلي بخمسين ألف سنة، فكل شيء عنده بمقدار.

❁ فوائد الحديث:

١ ـ إثبات القدر السابق.

٢ ـ أن العرش والماء مخلوقان قبل القلم الذي جرى بمقادير الخلائق.

٣ ـ الرد على القدرية النفاة.

٤ ـ التسلي عند المكاره، وعدم الأشر والبطر عند المحاب، كما قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ برقم (٢٦٥٣).

وجوب العمل وعدم التوكل

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

❁ وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما منكم من أحد إلا وقد كُتب مقعده من النار ومقعده من الجنة»** قالوا: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال: **«اعملوا، فكلٌّ ميسرٌ لما خُلق له، أما من كان من أهل السعادة، فييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فييسر لعمل أهل الشقاوة»** ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل: ٥ ـ ٧][(١)]. متفق عليه.

الشرح

قوله: «أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل» وهذه الشبهة التي طرأت على الجبرية، ولا تزال تطرأ على العقول؛ لأنَّه إشكال ذهني يُتصور وروده على الذهن في أي لحظة، حتى إنَّها طرأت على الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ومفادها: ما دام أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد قضى وقدَّر منذ الأزل، على كل أحد أنه في الجنة، أو في النار، فلنتكل على قدرنا المبرم، وندع العمل، ولا نتكلف!

قوله: «اعملوا، فكلٌّ ميسرٌ لما خُلق له» لم يقرهم على اقتراحهم المبني على خطأ فَهْمِهِم، بل أمرهم بالعمل، وبيَّن لهم أن كل عبدٍ ميسرٌ لما

(١) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ برقم (٤٩٤٩)، ومسلم في كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة ورزقة... برقم (٢٦٤٧).

قد قدره الله له، بعمله الذي يأتيه بمحض إرادته، واكتسابه.

وبهذا يتبيَّن لنا أنَّ السؤال الذي يطرحه بعض الناس: هل العبد مسيَّر أو مخيَّر؟ سؤال فاسد، فلا يصح أن يقال: إنَّ الإنسان مسيَّرٌ بإطلاق؛ لأنَّ هذا قول الجبرية، ولا يصح أن يقال: مخيَّرٌ بإطلاق؛ لأنَّ هذا هو قول القدرية، والجواب الصحيح الذي لا بديل عنه، ولا يسدُّ مسدَّه غيره أن يقال: العبد ميسَّر، كما قال: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل: ٧]، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل: ١٠] وكما قال نبيه ﷺ: «**فكلٌّ ميسرٌ لما خُلق له**». فلفظ «التيسير»: يحافظ على حقيقتين:

إحداهما: إثبات القدر، الذي هو مقتضى الربوبية.

الأخرى: إثبات أفعال العباد، وترتب الثواب والعقاب عليها، كما قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

ثم بسط ﷺ بيان ذلك، واستدل بالآيات، حيث أسند الله لصاحب السعادة: الإعطاء، والتقوى، والتصديق، وذلك فعل العبد، وأثبت لنفسه تيسيره لليسرى، وذلك فعل الربّ. كما أسند لصاحب الشقاوة: البخل، والاستغناء، والتكذيب، وذلك فعل العبد، وأثبت لنفسه تيسيره للعسرى، وذلك فعل الربّ. ولا تعارض بين القضيتين.

فوائد الحديث:

١ ـ إثبات القدر السابق، والكتابة، والرد على القدرية.

٢ ـ بطلان الاتكال على القدر والاحتجاج به.

٣ ـ وجوب السعي والعمل، وفعل الأسباب.

٤ ـ سؤال الله التيسير لليسرى، وتجنب العسرى.

٥ ـ عدم النكير على السائل المسترشد، ووجوب البيان.

٦ ـ الاستدلال بالقرآن على المطالب الإيمانية.

أخذ الله الميثاق علينا ونحن في ظهر آدم عليه السلام

ثم قال رحمه الله:

❁ وعن مسلم بن يسار الجهني قال: سُئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فقال عمر رضي الله عنه: سمعتُ رسول الله ﷺ سُئل عنها، فقال: «**إنَّ الله خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقتُ هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره، فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقتُ هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون**» فقال رجل: يا رسول الله، ففيمَ العمل؟ فقال: «**إنَّ الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة، حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة، فيدخله به الجنة، وإذا خلق العبد للنار، استعمله بعمل أهل النار، حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار، فيدخله النار**»، رواه مالك والحاكم، وقال: على شرط مسلم(١)، ورواه أبو داود من وجهٍ آخر عن مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة عن عمر(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي، ت: شاكر في أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأعراف برقم (٣٠٧٥)، وأبو داود في كتاب السنة، باب في القدر برقم (٤٧٠٣)، وابن حبان في كتاب التاريخ، باب بدء الخلق، ذكر إخراج الله ـ جل وعلا ـ من ظهر آدم ذريته، وإعلامه إياه أنه خالقها للجنة والنار برقم (٦١٦٦)، ومالك في الموطأ رواية أبي مصعب الزهري برقم (١٨٧٣)، وأحمد، ط. الرسالة برقم (٣١١)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين برقم (٧٤)، وقال الذهبي: فيه إرسال، وضعفه الألباني.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب في القدر برقم (٤٧٠٤)، وقال الألباني: «صحيح، إلا مسح الظهر».

الشرح

هذا الحديث ـ كما قال ـ رواه مالك في الموطأ، ورواه أبو داود، والترمذي، ورواه ابن حبان، والبغوي[(١)]، وقال الترمذي: «حسن». قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال الحاكم: هذا الحديث على شرط مسلم، وليس كما قاله، بل هو حديث منقطع. قال أبو عمر: هو حديث منقطع، فإن مسلم ابن يسار هذا لم يلق عمر بن الخطاب، بينهما نعيم بن ربيعة، هذا إن صح، لأن الذي رواه عن زيد ابن أبي أنيسة، فذكر فيه نعيم بن ربيعة، ليس هو بأحفظ من مالك، ولا ممن يحتج به إذا خالفه مالك، ومع ذلك، فإن نعيم بن ربيعة، ومسلم بن يسار جميعًا مجهولان، غير معروفين بحمل العلم، ونقل الحديث. وليس هو مسلم بن يسار، العابد البصري، وإنما هو رجل مدني مجهول . . . قال أبو عمر: هذا الحديث، وإن كان عليل الإسناد فإن معناه عن النبي ﷺ قد روي من وجوه كثيرة، من حديث عمر بن الخطاب وغيره، وممن روى عن النبي ﷺ معناه في القدر: علي بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وابن عباس، وابن عمر، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وأبو سَريحة الغفاري، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وذو اللحية الكلابي، وعمران بن حصين، وعائشة، وأنس بن مالك، وسراقة بن جعشم، وأبو موسى الأشعري، وعبادة بن الصامت. قلت: وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت، وجابر بن عبد الله، وحذيفة بن أسيد، وأبو ذر، ومعاذ بن جبل، وهشام بن حكيم، وأبو عبد الله، رجل من الصحابة، روى عنه أبو نضرة، وعبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، وأبو الدرداء، وعمرو بن العاص، وعائشة أم المؤمنين، وعبد الله بن الزبير، وأبو أمامة الباهلي، وأبو الطفيل، وعبد الرحمٰن بن عوف، وبعض أحاديثهم موقوفة)[(٢)]، فهؤلاء ثلاثة وثلاثون صحابيًّا، غير أن أبا عمر كرر ذكر عائشة.

---

(١) تفسير البغوي، إحياء التراث (٢/ ٢٤٦).

(٢) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ت: د. أحمد الصمعاني، د. علي العجلان. ط. دار الصميعي. الأولى ١٤٢٩هـ. (١/ ١٧٣ ـ ١٧٨).

ويرى ابن القيم أن حديث عمر، وأمثاله من الآثار، لا تصلح تفسيرًا للآية، فقال: (فهذه الآثار وغيرها تدل على أن الله ﷻ قدَّر أعمال بني آدم، وأرزاقهم، وآجالهم، وسعادتهم، وشقاوتهم، عقيب خلق أبيهم، وأراهم لأبيهم آدم، وصورهم، وأشكالهم، وحلاهم، وهذا ـ والله أعلم ـ أمثالهم، وصورهم.

وأما تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ الآية [الأعراف: ١٧٢]، به، ففيه ما فيه، وحديث عمر، لو صح، لم يكن تفسيرًا للآية، وبيان إن ذلك هو المراد بها. فلا يدل الحديث عليه، ولكن الآية دلت على أن هذا الأخذ من بني آدم، لا من آدم، وأنه من ظهورهم، لا من ظهره، وأنهم ذرياتهم؛ أمة بعد أمة، وأنه إشهاد تقوم به عليهم الحجة له سبحانه، فلا يقول الكافر يوم القيامة: كنت غافلًا عن هذا، ولا يقول الولد المشرك: أشرك أبي وتبعته، فإن ما فطرهم الله عليه من الإقرار بربوبيته، وأنه ربهم، وخالقهم، وفاطرهم، حجة عليهم. ثم دل حديث عمر وغيره على أمرٍ آخر لم تدل عليه الآية، وهو القدر السابق، والميثاق الأول، وهو سبحانه لا يحتج عليهم بذلك، وإنما يحتج عليهم برسله، وهو الذي دلت عليه الآية. فتضمنت الآية، والأحاديث إثبات القدر، والشرع، وإقامة الحجة، والإيمان بالقدر، فأخبر النبي ﷺ لما سئل عنها بما يحتاج العبد إلى معرفته والإقرار به معها. وبالله التوفيق)(١). وهذا تحرير بليغ للمقام.

وقد دل الحديث على ما دل عليه حديث علي السابق، أن الله يستعمل أهل الجنة بعمل أهل الجنة، وييسرهم لها، ويستعمل أهل النار بعمل أهل النار، وييسرهم لها، وهم إبان ذلك ليسوا مقسورين ومقهورين ومجبورين، بل كلُّ ما يأتونه أو يذرونه فإنَّه يقع بمحض اختيارهم، وسبق إصرارهم، من ذوات أنفسهم، فلا تعارض بين الشرع والقدر، فالشرع مقتضى العبودية، والقدر مقتضى الربوبية، كما جاء في الحديث أنَّه قال: «**إِنَّ اللهَ قَبَضَ قَبْضَةً**

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (١/ ٢٠٠ ـ ٢٠١).

بِمِينِيهِ، وَقَالَ: هَذِهِ لِهَذِهِ، وَلَا أُبَالِي. وَقَبَضَ قَبْضَةً أُخْرَى بِيَدِهِ الْأُخْرَى، فَقَالَ: هَذِهِ لِهَذِهِ، وَلَا أُبَالِي» فكان الراوي إذا حدَّث بهذا الحديث، يبكي ويقول: «فلا أدري في أي القبضتين أنا»(١)، وما منَّا أحد يعلم في أي القبضتين هو، لكننا نرجو رحمته، ونخشى عذابه، ونُحِسنُ الظن به، فلا تتم العبادة لله تعالى إلا بحال بين الخوف والرجاء، كما قال تعالى عن خُلَّص المؤمنين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۝٥٧﴾ [الإسراء: ٥٧]. ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: «القدر نظام التوحيد»(٢)، أي: أن الإيمان بالقدر يحقق توحيد العبادة؛ فلو كان كلُّ امرئ يعلم مآله، ما تحقق خوف ولا رجاء، لكن الله تعالى جعلنا نراوح بين الأمرين؛ الخوف والرجاء، فيحفزنا ذلك على التعرض لمرضاته بفعل الطاعات، والفرار من عقابه باجتناب المحرمات.

فوائد الحديث:

١ ـ إثبات القدر السابق.

٢ ـ إثبات اليمين لله تعالى.

٣ ـ رفع الحرج عن السؤال عما أشكل، وعدم اتهام المسترشد أو تعنيفه.

٤ ـ كلٌّ ميسرٌ لما خُلِق له.

٥ ـ لا تعارض بين الشرع والقدر، لأن القدر سرٌّ مكنون، والشرع منوطٌ بالاستطاعة.

* * *

(١) أخرجه أحمد، ط. الرسالة برقم (١٧٥٩٤)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٨٥): رجاله رجال الصحيح. وصححه ابن حجر، والألباني.

(٢) الشريعة للآجري برقم (٤٦٢)، والسنة لعبد الله بن أحمد برقم (٩٢٥)، والقدر للفريابي برقم (٢٠٥)، والإبانة لابن بطة برقم (١٦٢٤).

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

❁ وقال إسحاق بن راهويه: حدَّثنا بقية بن الوليد، قال: أخبرني الزبيدي محمد بن الوليد، عن راشد بن سعد، عن عبد الرحمٰن بن أبي قتادة عن أبيه، عن هشام بن حكيم بن حزام، أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله، أتُبتدأ الأعمال أم قد قضي القضاء؟ فقال: «**إنَّ الله لما أخرج ذرية آدم من ظهره، أشهدهم على أنفسهم، ثم أفاض بهم في كفيه، فقال: هؤلاء للجنة، وهؤلاء للنار، فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة، وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار**»(١).

الشرح

هذا الحديث يدل على ما دلت عليه الأحاديث التي سبقته من الإيمان بسبق تقدير الله تعالى للكائنات قبل وجودها، وقضائه لذرية آدم بالجنة أو النار، كما قال في كتابه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]، وقال: ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ۝٧﴾ [الشورى: ٧]. فلا بدَّ لك - يا عبد الله - أن تعتقد أنَّ الله تعالى قد فرغ من العباد، ثم لا تُشغل نفسك بالبحث عن ذلك؛ لأنَّ هذا لا سبيل إليه، فالقدر مكنون، وغيب مستور، وإنَّما اشتغل بالشرع؛ فاعمل بطاعة الله، واحذر من معصيته، وثق بوعده، وأحسن الظن به. هكذا تكون الحياة الصالحة، أما التشاغل بالتفكير، والتعلُّل بالأوهام الباطلة، فلا يُغني عنك شيئًا.

(١) رواه البخاري في التاريخ الكبير (٨/ ١٩١ - ١٩٢)، والفريابي في القدر (١٣٣ - ١٣٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٤٢)، والبزار في كشف الأستار (٣/ ٢٠)، وابن جرير في التفسير (٩/ ١١٧)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٧٤)، وأخرجه الطبراني بسنده في المعجم الكبير برقم (١٧٨٩٠)، وذكره ابن حجر في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية برقم (٢٩٦٢). وصححه الألباني. ودفع الشيخ محمود شاكر علة الاضطراب في تعليقه على تفسير الطبري (١٣/ ٢٤٥ - ٢٤٨).

إنَّنا في أمورنا الدنيوية لا نعتمد القدر، فلو قيل لأحدنا: اقعد في بيتك، ولا تطلب رزقك، فالرزق مكتوب، ولو شاء الله تعالى لساق لك رزقك، وأنت في قعر بيتك، لم يقبل بهذا، بل يقول: إليك عني! ثم يذهب يزاحم الناس بمنكبيه، وينافسهم على الدنيا، مع إقراره أنَّ الله قدَّر المقادير. ولو أصيب بمرض، فقيل له: لا تتداوى، فإن كان الله كتب لك عافية فستشفى، ولو لم تذهب لطبيب، ولو لم تتجرع الدواء، لقال: لا بدَّ من الأخذ بالأسباب؛ لأنَّ الأسباب من قدر الله. وهذا حق. فكذلك في الأمور الدينية؛ فكما أنَّ الله أقام أسبابًا حِسِّية كالدواء، فقد أقام أسبابًا دينية كالدعاء، فينبغي للإنسان أن يبذل السبب في جميع أموره الدينية والدنيوية.

فوائد الحديث:

١ ـ مشروعية السؤال في المسائل العقدية، والمطالب الإيمانية.

٢ ـ إثبات القضاء المبرم، والقدر السابق.

٣ ـ أن مشيئة الله مقترنة بحكمته، فلا يهلك على الله إلا هالك.

٤ ـ عدم التعارض بين الشرع الظاهر، والقدر الباطن.

٥ ـ إثبات الكفين لله تعالى، حقيقةً، على ما يليق بجلاله.

٦ ـ إثبات التيسير، وأفعال العباد.

كتابة العمل والأجل والرزق وشقي أو سعيد ونحن في بطون أمهاتنا

ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

❁ وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: حدَّثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «**إنَّ أحدكم يُجمع خَلْقَهُ في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقةً مثل ذلك، ثم يكون مضغةً مثل ذلك، ثم يبعث اللهُ إليه ملكًا بأربع كلمات: فيكتب عمله، وأجله، ورزقه، وشقيٌّ أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فوالذي لا إلٰه غيره إنَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها؛ وإنَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**»(١)، متفق عليه.

الشرح

هذا الحديث يُسمى حديث «الصادق المصدوق»؛ لأنَّ ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: حدَّثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق، أي: الصادق فيما يخبر به، والمصدوق فيما أُخبر به. فبيَّن فيه النبي ﷺ ما يقع للجنين من مراحل التخليق، فيُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾ برقم (٧٤٥٤)، ومسلم في كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته برقم (٢٦٤٣).

ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، فهذه أربعة أشهر، مائة وعشرين يومًا، ثم بعد مضي هذه الأشهر الأربعة يُرسل إليه الملك، فيؤمر بأربع كلمات: بكتب عمله، وأجله، ورزقه، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح.

والتقديرات الربانية أنواع:

أحدها: التقدير الكوني العام: وهو ما كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السماوات بخمسين ألف سنة، كما تقدم، ومنه يستنزل ويستنسخ بقية التقديرات.

الثاني: التقدير العمري الجنيني: وهو ما دل عليه حديث الصادق المصدوق، فهو تقدير خاص.

الثالث: التقدير السنوي: وهو ما يكون ليلة القدر من تقدير ما يكون في العام من حياة وموت، وصحة ومرض، وغنى وفقر، إلخ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدخان: ٣، ٤].

الرابع: التقدير اليومي: وهو ما يقع كل يوم، قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ۝٢٩﴾ [الرحمٰن: ٢٩].

قوله: «**فوالذي لا إله غيره**» إنَّما يحلف النبي ﷺ على أمرٍ عظيم.

قوله: «**إنَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها**» وهذا جارٍ واقع، نسأل الله تعالى أن يثبتنا بالقول الثابت، فمن الناس من يعيش مسلمًا، ثم تطرأ عليه فتنة في آخر عمره فيُفتتن، وتزل به قدم، فيرتد ويُلحِد. وقد جاء في رواية: «**ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس**»(١)، وقد يكون ما سبق به الكتاب من باب الردة الكاملة ـ والعياذ بالله ـ، وقد يكون عملًا يوجب النار،

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب لا يقول فلان شهيد برقم (٢٨٩٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، وفي القدر باب كيفية خلق الآدمي برقم (١١٢).

دون التخليد فيها. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لِرَجُلٍ مِمَّنْ يَدَّعِي الإِسْلَامَ: «**هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ**»، فَلَمَّا حَضَرَ القِتَالُ قَاتَلَ الرَّجُلُ قِتَالًا شَدِيدًا فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، الَّذِي قُلْتَ لَهُ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَإِنَّهُ قَدْ قَاتَلَ اليَوْمَ قِتَالًا شَدِيدًا وَقَدْ مَاتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِلَى النَّارِ**»، قَالَ: فَكَادَ بَعْضُ النَّاسِ أَنْ يَرْتَابَ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ، إِذْ قِيلَ: إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ، وَلَكِنَّ بِهِ جِرَاحًا شَدِيدًا، فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الجِرَاحِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ، فَقَالَ: «**اللهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»، ثُمَّ أَمَرَ بِلَالًا فَنَادَى بِالنَّاسِ: «**إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَإِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ**»[(١)].

وقد يقع العكس، كما وقع لأصيرم بني عبد الأشهل، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ يَقُولُ: حَدِّثُونِي عَنْ رَجُلٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ لَمْ يُصَلِّ قَطُّ فَإِذَا لَمْ يَعْرِفْهُ النَّاسُ سَأَلُوهُ: مَنْ هُوَ؟ فَيَقُولُ: أُصَيْرِمُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ عَمْرُو بْنُ ثَابِتِ بْنِ وَقْشٍ، قَالَ الْحُصَيْنُ: فَقُلْتُ لِمَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ: كَيْفَ كَانَ شَأْنُ الْأُصَيْرِمِ؟ قَالَ: كَانَ يَأْبَى الْإِسْلَامَ عَلَى قَوْمِهِ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى أُحُدٍ بَدَا لَهُ الْإِسْلَامُ فَأَسْلَمَ، فَأَخَذَ سَيْفَهُ فَغَدَا حَتَّى أَتَى الْقَوْمَ فَدَخَلَ فِي عُرْضِ النَّاسِ، فَقَاتَلَ حَتَّى أَثْبَتَتْهُ الْجِرَاحَةُ، قَالَ: فَبَيْنَمَا رِجَالُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ يَلْتَمِسُونَ قَتْلَاهُمْ فِي الْمَعْرَكَةِ إِذَا هُمْ بِهِ، فَقَالُوا: واللهِ إِنَّ هَذَا لَلْأُصَيْرِمُ، وَمَا جَاءَ؟ لَقَدْ تَرَكْنَاهُ وَإِنَّهُ لَمُنْكِرٌ لِهَذَا الْحَدِيثَ، فَسَأَلُوهُ مَا جَاءَ بِهِ؟ قَالُوا: مَا جَاءَ بِكَ يَا عَمْرُو، أَحَدَبًا عَلَى قَوْمِكَ، أَوْ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ؟ قَالَ: بَلْ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ، آمَنْتُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَأَسْلَمْتُ، ثُمَّ أَخَذْتُ سَيْفِي فَغَدَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ فَقَاتَلْتُ حَتَّى أَصَابَنِي مَا أَصَابَنِي، قَالَ: ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ فِي أَيْدِيهِمْ،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر برقم (٣٠٦٢)، ومسلم في الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه... برقم (١١١).

فَذَكَرُوهُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»[(١)].

فالواجب الإيمان بقدر الله ﷻ، وعدم الاغترار بالعمل، فمن الناس من يُخيَّل إليه أنَّه ضمن الجنة! ومن الناس من يستبعد رحمة الله على بعض العصاة! فليحذر المرء هذه المزالق، وليكن قلبه بين الخوف والرجاء، فإنه لن يطمئن حتى يضع قدمه في الجنة، نسأل الله الثبات.

فوائد الحديث:

١ ـ حسن الاستهلال، بذكر ما يناسب الحال من التذكير بالتصديق والقبول.

٢ ـ بديع خلق الله للإنسان، وترقيه في النمو حتى يخرج في أحسن تقويم.

٣ ـ إثبات الملائكة الكرام، وتنوع وظائفهم وأعمالهم.

٤ ـ إثبات القدر السابق، المتعلق بالمعاش، والمعاد.

٥ ـ جواز الحلف لتأكيد المطالب المهمة.

٦ ـ نفاذ قدر الله في عباده، بأسبابه.

٧ ـ التوقي والحذر من أسباب الفتن، والاغترار بالحال.

٨ ـ إدراك رحمة الله من سبقت له من الله الحسنى.

٩ ـ أن المؤمن بين الخوف والرجاء.

١٠ ـ عدم التعارض بين الشرع والقدر.

---

(١) أخرجه أحمد، ط. الرسالة برقم (٢٣٦٣٤)، وقال محقق المسند: «إسناده حسن».

دخول المَلَك على النطفة بعدما تستقر في الرحم

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

❁ وعن حذيفة بن أسيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَبلُغُ به النبي ﷺ قال: «**يدخل المَلَكُ على النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين، أو خمسة وأربعين ليلة، فيقول: يا رب أشقيٌّ أو سعيد؟ فيُكْتَبَان، فيقول: أي رب أذكر أو أنثى؟ فيُكتَبَان، ويُكتب عمله وأثره وأجله ورزقه، ثم تطوى الصحف، فلا يُزاد فيها ولا يُنقص**»(١)، رواه مسلم.

الشرح

هذا الحديث لا يعارض ما تقدم من الكتابة بعد مائة وعشرين يومًا؛ بل قد جاءت روايات أخرى، بألفاظٍ وتقديرات متنوعة، ووفَّق العلماء بينها، فقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ، بعد حديث الصادق المصدوق: («**ثم يرسل الملك**»: ظاهره أن إرساله يكون بعد مائة وعشرين يومًا، وفي الرواية التي بعد هذه «**يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين أو خمسة وأربعين ليلة**»، وفي الرواية الثالثة: «**إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكًا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها**»، قال العلماء: طريق الجمع بين هذه الروايات: أن للملك ملازمة ومراعاة لحال النطفة، وأنه يقول: يا رب هذه علقة، هذه مضغة في أوقاتها، فكل وقت يقول فيه ما صارت إليه، بأمر الله تعالى، وهو أعلم سبحانه، ولكلام الملك، وتصرفه أوقات: أحدها: حين

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته برقم (٢٦٤٤).

يخلقها الله تعالى نطفة، ثم ينقلها علقة، وهو أول علم الملك بأنه ولد؛ لأنه ليس كل نطفة تصير ولدًا؛ وذلك عقب الأربعين الأولى، وحينئذٍ يكتب رزقه وأجله وعمله وشقاوته أو سعادته، ثم للملك فيه تصرف آخر في وقت آخر، وهو تصويره وخلق سمعه وبصره وجلده ولحمه وعظمه وكونه ذكرًا أم أنثى وذلك إنما يكون في الأربعين الثالثة...، وأما قوله في إحدى الروايات: «**فإذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكًا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال: يا رب أذكر أم أنثى، فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب أجله، فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك**» وذكر رزقه، فقال القاضي وغيره: ليس هو على ظاهره، ولا يصح حمله على ظاهره؛ بل المراد بتصويرها، وخلق سمعها، إلى آخره أنه يكتب ذلك ثم يفعله في وقت آخر؛ لأن التصوير عقب الأربعين الأولى غير موجود في العادة، وإنما يقع في الأربعين الثالثة، وهي مدة المضغة[(١)].

وقال ابن القيم رحمه الله، بعد أن ساق مختلف الروايات في تخليق الجنين: (فاجتمعت هذه الأحاديث والآثار، على تقدير رزق العبد، وأجله، وشقاوته، وسعادته، وهو في بطن أمه، واختلفت في وقت هذا التقدير، وهذا تقدير بعد التقدير الأول السابق على خلق السماوات والأرض، وبعد التقدير الذي وقع يوم استخراج الذرية بعد خلق أبيهم آدم، ففي حديث ابن مسعود أن هذا التقدير يقع بعد مائة وعشرين يومًا من حصول النطفة في الرحم، وحديث أنس غير مؤقت، وأما حديث حذيفة بن أسيد فقد وقَّت فيه التقدير بأربعين يومًا، وفي لفظ بأربعين ليلة، وفي لفظ ثنتين وأربعين ليلة، وفي لفظ بثلاث وأربعين ليلة، وهو حديث تفرد به مسلم، ولم يروه البخاري، وكثير من الناس يظن التعارض بين الحديثين، ولا تعارض بينهما بحمد الله؛ فإن الملك الموكل بالنطفة يكتب ما يقدره الله سبحانه على رأس الأربعين الأولى، حتى يأخذ في الطور الثاني وهو العلقة. وأما الملك الذي ينفخ فيه الروح، فإنما ينفخها بعد

(١) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٩٠ ـ ١٩١).

الأربعين الثالثة، فيؤمر عند نفخ الروح فيه بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقاوته، وسعادته. وهذا تقدير آخر غير التقدير الذي كتبه الملك الموكل بالنطفة، ولهذا قال في حديث ابن مسعود: «**ثم يرسل إليه المَلَك، فيؤمر بأربع كلمات**»، وأما الملك الموكل بالنطفة، فذاك راتب معها، ينقلها بإذن الله، من حالٍ إلى حال. فتقدير الله سبحانه شأن النطفة حتى تأخذ في مبدأ التخليق، وهو العلق، وتقدير شأن الروح حين تتعلق بالجسد بعد مائة وعشرين يومًا فهو تقدير بعد تقدير. فاتفقت أحاديث رسول الله ﷺ، وصدَّق بعضها بعضًا، ودلت كلها على إثبات القدر السابق، ومراتب القدر. وما يؤتى أحد إلا من غلط في الفهم، أو غلط في الرواية. ومتى صحت الرواية، وفهمت كما ينبغي، تبين أن الأمر كله من مشكاةٍ واحدة، صادقة، متضمنة لنفس الحق وبالله التوفيق)[١].

فوائد الحديث:

١ ـ إثبات الملائكة الكرام، وتنوع وظائفهم.

٢ ـ تعدد الكتابة الجنينية في مراحل التخليق.

٣ ـ إثبات القدر السابق.

٤ ـ نفاذ القدر المكتوب، وعدم تغييره.

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: (١/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣).

إن الله خلق للجنة أهلًا وهم في أصلاب آبائهم وخلق للنار أهلًا وهم في أصلاب أبائهم

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

❁ وفي صحيح مسلم: عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: دُعي رسول الله ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار، فقلتُ: طوبى له عصفور من عصافير الجنة، لم يعمل سوءًا ولم يدركه، فقال: «**أو غير ذلك يا عائشة! إنَّ الله خلق للجنة أهلًا خلقهم لها، وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلًا خلقهم لها، وهم في أصلاب آبائهم**»(١).

الشرح

استدرك النبي ﷺ في هذا الحديث على عائشة جزمها، حيث قالت: «عصفور من عصافير الجنة»، فالأمور الخفية، والغيبية، ليس لأحدٍ أن يقطع بها لمعين، بل يجب أن يردَّ علمها إلى الله ﷻ. وبه يتبيَّن خطأ تعبير بعض الناس، بتسمية الأطفال «عصافير الجنة»! قال النووي، رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أَجْمَعَ مَنْ يُعْتَدُّ بِهِ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ مَنْ مَاتَ مِنْ أَطْفَالِ الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ مُكَلَّفًا، وَتَوَقَّفَ فِيهِ بَعْضُ مَنْ لَا يُعْتَدُّ بِهِ، لِحَدِيثِ عَائِشَةَ هَذَا، وَأَجَابَ الْعُلَمَاءُ بِأَنَّهُ لَعَلَّهُ نَهَاهَا عَنِ الْمُسَارَعَةِ إِلَى الْقَطْعِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين برقم (٢٦٦٢).

عِنْدَهَا دَلِيلٌ قَاطِعٌ، كَمَا أَنْكَرَ عَلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ فِي قَوْلِهِ: أَعْطِهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا، قَالَ: «**أَوْ مُسْلِمًا**» الْحَدِيثَ. وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ ﷺ قَالَ هَذَا قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ أَطْفَالَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْجَنَّةِ، فَلَمَّا عَلِمَ قَالَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «**ما من مُسْلِمٍ يَمُوتُ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ**» وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا أَطْفَالُ الْمُشْرِكِينَ فَفِيهِمْ ثَلَاثَةُ مَذَاهِبَ، الْأَكْثَرُونَ: هُمْ فِي النَّارِ تَبعًا لِآبَائِهِمْ، وَتَوَقَّفَتْ طَائِفَةٌ فِيهِمْ، وَالثَّالِثُ، وَهُوَ الصَّحِيحُ الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ: أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَيُسْتَدَلُّ لَهُ بِأَشْيَاءَ مِنْهَا حَدِيثُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ ﷺ حِينَ رَآهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْجَنَّةِ وَحَوْلَهُ أَوْلَادُ النَّاسِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ قَالَ: «**وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: ١٥](١).

وقد بسط ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ، في طبقات المكلفين، القول في أولاد المشركين، ضمن الطبقة الرابعة عشرة، وحكى ثمانية أقوال، ورجح الثامن، فقال: (المذهب الثامن: أنهم يمتحنون في عرصة القيامة، ويرسل إليهم هناك رسول، وإلى كل من لم تبلغه الدعوة، فمن أطاع الرسول دخل الجنة، ومن عصاه أدخله النار. وعلى هذا فيكون بعضهم في الجنة، وبعضهم في النار. وبهذا يتألف شمل الأدلة كلها، وتتوافق الأحاديث، ويكون معلوم الله عَزَّ وَجَلَّ الذى أحال عليه النبي ﷺ، حيث يقول: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»، يظهر حينئذ، ويقع الثواب والعقاب عليه، حال كونه معلومًا خارجيًّا، لا علمًا مجردًا، ويكون النبي ﷺ قد رد جوابهم إلى علم الله فيهم، والله تعالى يرد ثوابهم وعقابهم إلى معلومه منهم، فالخبر عنهم مردود إلى علمه، ومصيرهم مردود إلى معلومه. وقد جاءت بذلك آثار كثيرة يؤيد بعضها بعضًا: فمنها ما رواه أحمد في مسنده، والبزار أيضًا، بإسنادٍ صحيح، فقال أحمد: (حدثنا

(١) شرح النووي على مسلم (١٦/ ٢٠٨).

معاذ بن هشام، عن أبيه، عن قتادة، عن الأحنف بن قيس، عن الأسود بن سريع أن النبي ﷺ قال: «**أربعة يحتجون يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع، ورجل هرِم، ورجل أحمق، ورجل مات في الفترة، أما الأصم فيقول: رب لقد جاءَ الإسلام وأنا ما أسمع شيئًا، وأما الأحمق فيقول: رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبعر، وأما الهرم فيقول: لقد جاء الإسلام وما أعقل، وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب ما أتاني رسول. فيأخذ مواثيقهم ليطيعُنَّه. فيرسل إليهم رسولًا أن ادخلوا النار، فوالذي نفسي بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردًا وسلامًا**»، قال معاذ: وحدثني أبي عن الحسن عن أبي رافع، عن أبي هريرة، بمثل هذا الحديث وقال في آخره: «**فمن دخلها كانت عليه بردًا وسلامًا، ومن لم يدخلها رد إليها**»[١].

فوائد الحديث:

١ ـ رأفة النبي ﷺ ورحمته بالمؤمنين، حتى إنهم يدعونه إلى جنائز صبيانهم.

٢ ـ تلطف النبي ﷺ في الاستدراك والتعليم.

٣ ـ إثبات القدر السابق، ومضيه في العباد.

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ت: محمد أجمل الإصلاحي، وزائد أحمد النشيري، بإشراف الشيخ: بكر بن عبد الله أبو زيد. ط. دار عالم الفوائد، الأولى ١٤٢٩هـ (٢/ ٨٦٤ ـ ٨٦٥).

كل شيء بقدر

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل شيء بقدر حتى العجز والكيس**»(١)، رواه مسلم.

الشرح

نقل النووي عن القاضي عياض ـ رحمهما الله ـ قوله: (يُحْتَمَلُ أَنَّ الْعَجْزَ هُنَا عَلَى ظَاهِرِهِ، وَهُوَ عَدَمُ الْقُدْرَةِ، وَقِيلَ: هُوَ تَرْكُ مَا يَجِبُ فِعْلُهُ، وَالتَّسْوِيفُ بِهِ، وَتَأْخِيرُهُ عَنْ وَقْتِهِ. قَالَ: وَيُحْتَمَلُ الْعَجْزُ عَنِ الطَّاعَاتِ، وَيُحْتَمَلُ الْعُمُومُ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَالْكَيْسُ: ضِدُّ الْعَجْزِ، وَهُوَ النَّشَاطُ وَالْحِذْقُ بالأمور وَمَعْنَاهُ: أَنَّ الْعَاجِزَ قَدْ قَدَّرَ عَجْزَهُ، وَالْكَيِّسُ قَدْ قَدَّرَ كَيْسَهُ)(٢).

والحديث يفيد العموم، حتى إنه يتناول الصفات الخُلُقية الطبعية، ككون الإنسان حازمًا، أو متهاونًا، حليمًا أو غضوبًا، كلُّ ذلك بقدر، لكن هذا لا يتنافى مع التهذيب، والتزكية، ومجاهدة النفس، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فوائد الحديث:

١ ـ شمول القدر لجميع الكائنات، حتى الطباع، الصفات.

٢ ـ لا تعارض بين الشرع والقدر، فله الخلق والأمر.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب كل شيء بقدر برقم (٢٦٥٥).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٦/ ٢٠٥).

معنى قول الله: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعن قتادة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤﴾ [القدر: ٤]، قال: يُقضى فيها ما يكون في السنة إلى مثلها[١]. رواه عبد الرزاق وابن جرير.

وقد روي معنى ذلك عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا[٢]، والحسن[٣]، وأبي عبد الرحمٰن السلمي[٤]، وسعيد بن جبير[٥]، ومقاتل[٦].

الشرح

أراد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسياق هذا الأثر عن قتادة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بيان التقدير السنوي، والكتابة الحولية، وهي التي تقع ليلة القدر، حيث قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدخان: ٤]، وإنَّما سميت ليلة القدر، لأنَّ الله تعالى يقدِّر ما يكون في ذلك العام من حياةٍ وموت، وصحةٍ ومرض، وعزٍّ وذلّ، وعطاءٍ ومنع. فهذا تقدير أيضًا لا يتعارض مع التقديرات السابقة، بل هو نوع تفصيل بعد إجمال.

---

(١) تفسير عبد الرزاق برقم (٣٦٦٦)، وجامع البيان، ت: شاكر (٢٤/ ٥٣٤).
(٢) زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٨٧). (٣) جامع البيان، ت: شاكر (٢٢/ ٨).
(٤) تفسير مجاهد (ص٥٩٧).
(٥) جامع البيان (٢٥/ ١٠٩)، السنة لعبدالله بن أحمد (٢/ ٤٠٧)، المستدرك للحاكم (٢/ ٤٤٩)، وصححه ووافقه الذهبي.
(٦) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص٢٣). وقد رواه الواحدي في تفسيره البسيط (مخطوط).

وعبارة ابن عباس: «يُكتَب من أُمِّ الكتاب في ليلة القدر ما هو كائن في السنة؛ من الخير والشرِّ، والأرزاق والآجال، حتى الحاج، وإِنك لترى الرجل يمشي في الأسواق وقد وقع اسمه في الموتى».

وعبارة الحسن: «إنها الليلة التي يُفرق فيها كل أمر حكيم، فيها يقضي الله كلّ أجل وأمل ورزق إلى مثلها». وعبارة أبي عبد الرحمٰن السلمي: «يفرق في ليلة القدر أمر السنة إلى مثلها من قابل». وعبارة سعيد بن جبير: «أنك لترى الرجل يمشي في الأسواق وقد وقع اسمه في الموتى». وعبارة مقاتل: «يقدِّر الله في ليلة القدر أمر السنة في بلاده وعباده إلى السنة القابلة». وتقدم تخريجها.

فوائد الحديث:

١ ـ إثبات التقدير السنوي في ليلة القدر.

٢ ـ اتفاق السلف على ذلك، وبطلان من جعلها ليلة النصف من شعبان.

اللوح المحفوظ من درّة بيضاء

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: إنَّ الله خلق لوحًا محفوظًا من درةٍ بيضاء، دفتاه من ياقوتةٍ حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، عرضه ما بين السماء والأرض، ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة، ففي كل نظرة منها يخلق ويرزق، ويحيي ويميت، ويعزُّ ويذل، ويفعل ما يشاء، فذلك قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ٢٩﴾ [الرحمٰن: ٢٩]. رواه عبد الرزاق وابن المنذر والطبراني والحاكم[(١)].

الشرح

هذا الحديث فيه ضعف، فإنَّ فيه ليث بن أبي سليم، وهو ثقة، لكنه يُدلِّس، ولكن الآية التي ذكرها وهي قول الله تعالى: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ٢٩﴾ [الرحمٰن: ٢٩] تدل على مقصوده، وهو إثبات التقدير اليومي، فكما أنَّ له تعالى تقديرًا كونيًّا، وحوليًّا، وجنينيًّا، فله أيضًا تقدير يومي، ولا تعارض بين هذه التقديرات، فإنها مستنسخة، مستنزلة من اللوح المحفوظ.

فوائد الحديث والآية:

١ ـ إثبات التقدير اليومي

٢ ـ كمال ربوبيته سبحانه، وتدبيره لخلقه.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك برقم (٣٩١٧)، وعبد الرزاق في تفسيره برقم (٣٠٨٨)، والطبراني في المعجم الكبير برقم (١٢٣٤٨)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٤/ ١٢١) لابن المنذر.

ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

❁ قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ لما ذكر هذه الأحاديث وما في معناها: فهذا تقدير يومي، والذي قبله تقدير حولي، والذي قبله تقدير عمري، عند تعلق النفس به، والذي قبله كذلك عند أول تخليقه، وكونه مضغة، والذي قبله تقدير سابق على وجوده، لكن بعد خلق السماوات والأرض، والذي قبله تقدير سابق على خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكلٌّ واحد من هذه التقادير كالتفصيل من التقدير السابق[(١)].

الشرح

تتمة كلام ابن القيم، رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وفي ذلك دليل على كمال علم الرب، وقدرته، وحكمته، وزيادة تعريف لملائكته، وعباده المؤمنين، بنفسه، وأسمائه، وصفاته، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٢٩﴾)[(٢)].

❁ ❁ ❁

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

❁ فاتفقت هذه الأحاديث ونظائرها على أنَّ القدر السابق لا يمنع العمل، ولا يوجب الاتكال عليه، بل يوجب الجد والاجتهاد؛ ولهذا لما سمع بعض الصحابة ذلك قال: ما كنتُ أشد اجتهادًا مني الآن[(٣)].

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص٢٣ ـ ٢٤).
(٢) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص٢٣).
(٣) كذا في شفاء العليل (١/ ٢٩٥)، ولم يذكر الصحابي القائل. وفي إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤/ ٢٧٦) أنه من قول سراقة بن جعشم، وقد رواه ابن حبان في صحيحه، انظر: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٢/ ٤٩).

وقال أبو عثمان النهدي لسلمان: لأنا بأول هذا الأمر أشد فرحًا مني بآخره[١]. وذلك لأنَّه إذا كان قد سبق له من الله سابقة، وهيأه ويسره للوصول إليها، كان فرحه بالسابقة التي سبقت له من الله أعظم من فرحه بالأسباب التي تأتي بعدها.

الشرح

هذا من كلام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ وقال بعده كلامًا حسنًا. وهكذا ينبغي أن نفهم أمر القدر؛ لأنَّ بعض الناس يخلط في موضوع العلاقة بين الشرع والقدر، فيجعل إيمانه بالقدر حاملًا له على التقاعس والكسل، وترك العمل، وقد أصاب بأن كل شيء لا بدَّ أن يقع كما كُتب، لكنه أخطأ في ترك العمل؛ فإنَّ الإيمان بالقدر يحفز العبد على العمل لما فيه نفعه الديني والدنيوي، فيدافع القدر بالقدر، وإذا وقع عليه أمر مستكره، لم يقل: هذا أمر قدري، ثم يستسلم! بل عليه أن يدفعه بما استطاع. ومن شواهد ذلك: لما ذهب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الشام، لفتح بيت المقدس، ووقع طاعون عمواس في الشام، امتنع عن دخولها، فكتب له أبو عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أفرارًا من قدر الله؟»، فقال عمر: «لو غيرك قالها يا أبا عبيدة؟ نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله»[٢]. فإذا وقع على الإنسان بلاء أو مرض، أو توقع حصوله، فاتخذ الأسباب لدفعه أو رفعه، فإنَّ هذا ليس اعتراضًا على القدر؛ بل هذا من مدافعة القدر بالقدر، ولن يقع إلا ما قضى الله في الأزل، وبذلك تنتظم الأدلة، ويزول التعارض، ومن أمثلة ذلك:

- قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يردُّ القضاء إلا الدعاء**»[٣]، قد يقول قائل: هل

(١) القدر للفريابي برقم (٥١)، والإبانة ـ لابن بطة برقم (١٣٤٢)، والشريعة للآجري برقم (٤٣٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون برقم (٥٧٢٩)، ومسلم في كتاب السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها برقم (٢٢١٩).

(٣) أخرجه الترمذي، ت: شاكر في أبواب القدر، باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء =

يتغير القدر المكتوب بالدعاء؟ القدر لا يتغير، فالمراد بالقضاء هنا: ما انعقدت أسبابه، وتوافرت دواعيه، وفق سنن الله الكونية؛ من مرض، أو فقر، أو هزيمة، فليس المردود القدر المكتوب في اللوح المحفوظ، بل يكون الله تعالى قضى على عبد مثلًا بفقرٍ أو مرض، أو استحقه، فيضرع إليه بالدعاء، فيدفعه، أو يرفعه، بتيسير الدواء، والغنى، وهو المثبت في اللوح المحفوظ. فإذا نزل القضاء، أو انعقدت أسبابه ودواعيه، قابله الإنسان بالدعاء، والدعاء سبب شرعي، كما أنَّ الدواء سبب حسي، فيكون له أثر في رفع القضاء ودفعه أو تخفيفه، فلا يقع إلا ما كان مسطورًا في اللوح المحفوظ، ويكون الله قد كتب الأثر والمؤثر معًا، والسبب والنتيجة معًا، فليس في ذلك شيء من التعارض.

- قول النبي ﷺ: «**من أحبَّ أن يُبسط له في رزقه، ويُنسأ له في أثره، فليصل رحمه**»(١)، قد يقول قائل: أليس الله قد فرغ من العباد، وكتب أعمارهم وأرزاقهم؟ فكيف يبسط الرزق، وينسأ الأثر للواصل بعد ذلك؟! والجواب: أن النبي ﷺ أراد أن ينبِّه على سنةٍ من سنن الله الكونية، التي جرى بها القلم في اللوح المحفوظ، وهي أن صلة الرحم سبب لطول العمر، وزيادة الرزق، كما لو قال طبيب مثلًا: من أحبَّ أن يعيش معافى، فليجتنب الإكثار من السكريات، والدهون، والمواد الحارة، ونحوها، فهو إنَّما يُنبِّه على سنن الله الكونية، التي دلت عليها التجارب الطبية البشرية، فهكذا النبي ﷺ ينبِّه على سنةٍ من سنن الله الكونية؛ أنَّ صلة الرحم سبب لطول العمر، وزيادة الرزق، سواءً بسواء.

- قول الله تعالى: ﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ٩٨﴾ [يونس: ٩٨]،

= برقم (٢١٣٩)، وحسنه الألباني.

(١) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب من أحب البسط في الرزق برقم (٢٠٦٧)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها برقم (٢٥٥٧).

قد يقول قائل: أليس قوم يونس قد كتب عليهم العذاب في سابق القدر، فكيف تغير؟! والجواب: أنَّ قرية يونس عليه السلام وهي نينوى، كانت قد استوجبت العذاب، وانعقدت أسبابه، وتهيأت الملائكة للنزول به؛ لأنَّهم كذَّبوا نبيهم حتى خرج مغاضبًا، لكن بَدَرَ منهم سبب دفع عنهم هذا العذاب المتوقع، فآمنوا، وخرجوا يطلبون نبيهم، فرُفع عنها العذاب. فسبب العذاب، ومنعه، كلاهما مسطور في اللوح المحفوظ، لم يتغير.

- قول الله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩]، قد يقول قائل: هل القدر المكتوب يمحى ويتغير؟ والجواب: أن المحو والإثبات في الآية يتعلق بالحسنات والسيئات؛ فقد تثبت السيئة بالإصرار، وقد تمحى بالتوبة والاستغفار، أما القدر السابق فكما قال الله: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد: ٣٩] وهو اللوح المحفوظ، والمحفوظ لا يتغير.

الإيمان بالقدر يوجد طعم الإيمان

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

ﷺ وعن الوليد بن عبادة قال: دخلتُ على أبي وهو مريض أتخايل فيه الموت، فقلتُ: يا أبتاه أوصني واجتهد لي، فقال: أجلسوني، فلما أجلسوه قال: يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان، ولن تبلغ حقيقة العلم بالله ـ تبارك وتعالى ـ حتى تؤمن بالقدر خيره وشره، قلتُ: يا أبتاه وكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره؟ قال: تعلم أنَّ ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، يا بني إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**أول ما خلق الله القلم، قال: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة...**» إلى آخر الحديث، «يا بني إن مت ولست على ذلك دخلت النار»، رواه أحمد[(١)].

الشرح

هذه وصية أبّ فقيه مشفق، على فراش الموت، لابنه الذي يستوصيه، ويسأله أن يجتهد له في الوصية، فلا ريب أنه محضه خالص نصحه، واجتهد له غاية وسعه، فيما ينفعه في دينه ودنياه، حتى أنه طلب أن يجلسوه؛ لأنه كان طريح الفراش، اهتمامًا بالأمر، وحرصًا على البيان.

قوله: «**يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان**» هذا يدل على أنَّ للإيمان طعمًا حقيقيًّا، وحلاوة، وبشاشة.

قوله: «**ولن تبلغ حقيقة العلم بالله ـ تبارك وتعالى ـ حتى تؤمن بالقدر**

---

(١) أخرجه أحمد، ط. الرسالة برقم (٢٢٧٠٥)، وقال محققو المسند: «حديث صحيح».

خيره وشره» لا يتم العلم بالله إلا بالإيمان بالقدر خيره وشره، لأن القدر علمه، وحكمته، وكتابته، ومشيئته، وخلقه، وابتلاؤه.

قوله: «**قلت: يا أبتاه وكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره؟**» أي: كيف لي أن أحقق ذلك الإيمان؟

قوله: «**قال: تعلم أنَّ ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك**» أي: تقطع وتستيقن أنَّ ما صُرِف عنك لم يكن لينالك، وما حصل لك لم يكن ليصرف عنك.

قوله: «**يا بني إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «أول ما خلق الله القلم قال: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة»**» أجرى الله القلم حين خلقه، فخط في اللوح المحفوظ جميع المقدورات والكائنات إلى يوم القيامة، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ﴾ [الحج: ٧٠]. و(أولَ) منصوبة على الظرفية، أي: حين خلق الله القلم، وليس المقصود أن القلم أول المخلوقات، فإن العرش والماء سابقان له قطعًا.

قوله: «**يا بني إن مت ولست على ذلك، دخلت النار**» فدلَّ على أنَّ إنكار القدر من موجبات النار، وأنه لا يتم الإيمان إلا به.

۞ فوائد الحديث:

١ ـ أن للموت علامات يدركها ذوو المحتضر.

٢ ـ طلب الوصية من أهل العلم والفضل.

٣ ـ إجابة طلب المستوصي، والمسترشد.

٤ ـ أن حال الجلوس ـ إن أمكن ـ أبلغ في التأثير من الاستلقاء.

٥ ـ التلطف في وصية الابن، بقول: (يا بني) وتكراره، كما فعل لقمان، وعبادة، رضي الله عنهما.

٦ ـ أن للإيمان طعمًا، وللعلم حقيقة.

٧ ـ التقديم بين يدي الموعظة والنصيحة والتعليم بما يحمل على الاهتمام بها.

٨ ـ وجوب الإيمان بالقدر؛ خيره وشره.

٩ ـ الاستيضاح عما أشكل.

١٠ ـ نفاذ القدر، وعدم تخلف المقدور.

١١ ـ إثبات القلم، وانصياعه لأمر الله.

١٢ ـ إثبات مرتبة الكتابة من مراتب القدر، بعد مرتبة العلم، وقبل المشيئة والخلق.

١٣ ـ أن الأعمال بالخواتيم، والعبرة بما يموت عليه الإنسان.

١٤ ـ وجوب النار لمنكري الأقدار.

الأمر بالتداوي وأخذ الأسباب

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

۞ وعن أبي خِزامة عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلتُ: يا رسول الله، أرأيت رُقًى نسترقيها، ودواء نتداوى به، وتقاةً نتقيها، هل تردُّ من قدر الله شيئًا؟ قال: «**هي من قدر الله**»، رواه أحمد، والترمذي وحسنه[(١)].

الشرح

قوله: «**وعن أبي خِزامة عن أبيه**» قال ابن حجر: (أبو خِزامة، بزاي قبلها كسرة، ابن يَعمَر، بفتح التحتانية وسكون المهملة، السعدي، أحد بني الحارث بن سعد بن هذيم، ... وهو صحابي)[(٢)]، وقال: (يَعمَر السعدي، صحابي، له حديث، وهو والد أبي خِزامة). وقد قال الترمذي: (وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ كِلْتَا الرِّوَايَتَيْنِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: عَنْ أَبِي خِزَامَةَ، عَنْ أَبِيهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: عَنِ ابْنِ أَبِي خِزَامَةَ، عَنْ أَبِيهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: عَنْ أَبِي خِزَامَةَ، وَقَدْ رَوَى غَيْرُ ابْنِ عُيَيْنَةَ هَذَا الحَدِيثَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي خِزَامَةَ، عَنْ أَبِيهِ وَهَذَا أَصَحُّ وَلَا نَعْرِفُ لأَبِي خِزَامَةَ عَنْ أَبِيهِ غَيْرَ هَذَا الْحَدِيثِ)[(٣)].

قوله: «**أرأيت رُقًى نسترقيها**» جمع رقية، وهي ما يقرأ من العوذ والأدعية، بغرض الاستشفاء.

---

(١) أخرجه الترمذي، ت: شاكر في أبواب الطب، باب ما جاء في الرقى والأدوية برقم (٢٠٦٥)، وأحمد، ط. الرسالة برقم (١٥٤٧٤).
(٢) تقريب التهذيب (١١٤٠).
(٣) سنن الترمذي، ت: بشار (٣/ ٤٦٨).

قوله: «**وتقاةً نتقيها**» (أَيْ: نلتجىء بِهَا أَوْ نَحْذَرُ بِسَبَبِهَا، وَأَصْلُ تُقَاةً وُقَاةً من وقى وهي اسم ما يلتجىء بِهِ النَّاسُ مِنْ خَوْفِ الأعداء كالترس، وهو ما يقي من العدد أَيْ: يَحْفَظُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا بِمَعْنَى الِاتِّقَاءِ، فَالضَّمِيرُ فِي نَتَّقِيهَا لِلْمَصْدَرِ)[1].

قوله: «**هي من قدر الله**» ما أحسن هذا الجواب وأخصره! فالدواء من قدر الله، وطلب الرزق، والضرب في الأرض من قدر الله، ولو أنَّ إنسانًا متقاعسًا أخذ يتعلل بالقدر، ويقول: الرزق مقسوم، لا يكون إلا ما كتب الله! لكان ذلك توظيفًا للأدلة في غير محلها؛ بل هو عجز، والواجب عليه أن يُعْمِل الأدلة كلها، وأن يسعى فيما أمره الله تعالى به، ونبيه ﷺ، ويحرص على ما ينفعه، فالأسباب أيضًا من قدر الله تعالى، ثم لا يكون إلا ما يشاء الله.

۞ فوائد الحديث:

١ ـ كل شيء بقدر؛ الأسباب والنتائج.

٢ ـ الإيمان بالقدر لا يقتضي نفي الأسباب.

۞ ۞ ۞

(١) تحفة الأحوذي (٦/ ٣٠٠).

المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

۞ وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، وإنّ أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل، فإنَّ (لو) تفتح عمل الشيطان**»[(١)]، رواه مسلم.

الشرح

هذا الحديث من مفاتيح السعادة لمن تأمله، بيَّن فيه النبي ﷺ فضل المؤمن القوي الحازم، على المؤمن الكسول المتهاون، وإن كان في كلٍّ خير، وبيَّن خطة المستقبل، وخطة الماضي.

قوله: «**احرص على ما ينفعك**» أي: في دينك ودنياك. والحرص: جمع الهمم على تحصيل شيء معين.

قوله: «**واستعن بالله ولا تعجز**» فهذه ثلاث كلمات تحفيزية على الحرص على ما يعود بالنفع في الدين والدنيا.، ويأمرهم بالاستعانة بالله، والاستعانة بالمعبود للوصول إلى المقصود، وعدم الاعتماد على كدِّ اليمين، وعرق الجبين، كما يفعل بعض المغرورين، المتكايسين. فهذه خطة المستقبل.

قوله: «**وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن**

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله برقم (٢٦٦٤).

قل: **قدر الله وما شاء فعل**» نهي عن العجز، والكسل، والتهاون، والتثبيط، كقول بعض الناس: (ربما) و(يمكن) و(لعل) و(قد) فهذه كلمات مثبطة مقعدة. وهذه خطة الماضي.

قوله: «**فإنَّ لو تفتح عمل الشيطان**» إذا تبيَّن قدر الله في أمر من الأمور، فإياك والتحسر، فإن التحسر بضاعة الشيطان، والمؤمن منهي عن التحسر والأسف؛ لأن هذا يُضعف قلبه، ويوهن عزمه. فلا تعض أصابعك ندمًا، ولا تقل: لو أني تريثت قليلًا لما وقع كذا، لو أني تقدمت قليلًا لأدركت كذا، لو أني ذهبتُ من هذا الطريق لما حصل كذا، إلخ، فهذا غير مجدٍ ولا مفيد، أغلق هذا الباب، وقل بحزم: قَدَر الله وما شاء فعل، أو: قدَّر الله وما شاء فعل، «**فإنَّ (لو) تفتح عمل الشيطان**».

فوائد الحديث:

١ ـ تفاوت المؤمنين في صفاتهم الخُلُقية، وتفاضلهم.

٢ ـ إثبات المحبة لله تعالى، وتفاوت المؤمنين في نيلها.

٣ ـ فضيلة القوة والحزم، وذم العجز والوهن.

٤ ـ الأمر بالحرص، والاستعانة، وإطراح العجز، فيما يستقبل.

٥ ـ النهي عن التحسر والأسف، واستعمال (لو) فيما فات.

٦ ـ إثبات القدر، والتسليم له.

٧ ـ إثبات مشيئة الله النافذة، وقدرته التامة.

٨ ـ أن التحسر والندم من عمل الشيطان ووسواسه.

باب

ذكر الملائكة عليهم السلام والإيمان بهم

قال المصنف رحمه الله:

باب: ذكر الملائكة عليهم السلام والإيمان بهم:

وقول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٩ ـ ٢٠].

وقوله تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [فاطر: ١].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآية [غافر: ٧].

الشرح

الإيمان بالملائكة أصل عظيم من أصول الإيمان، وكثير من الناس لا يولي هذا الأصل ما يستحق من الاهتمام، حتى إنَّ كثيرًا من الناس ليشعر بالجن أعظم من شعوره بالملائكة، فيشعر بالخوف من الجن، ولا يشعر بالأُنس بالملائكة، مع أنَّ صلة الملائكة ببني آدم صلة وثيقة:

- فقبل خلق آدم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، وبعد خلقه قال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ﴾ [البقرة: ٣٤].

- وقبل إهباطه من الجنة أمره بالسلام عليهم، وردهم عليه بأحسن منه، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**خَلَقَ اللهُ آدَمَ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ مِنَ المَلَائِكَةِ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ، تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللهِ**»(١).

- وبعد إهباطه إلى الأرض وموته، غسلوه، ودفنوه، كما في حديث أُبَيِّ ابْنِ كَعْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**لمّا تُوُفِّيَ آدَمُ غَسَّلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ بِالْمَاءِ وِتْرًا وَأَلْحَدُوا لَهُ وَقَالُوا: هَذِهِ سُنَّةُ آدَمَ فِي وَلَدِهِ**»(٢). وقد غسلت الملائكة حنظلة بن أبي عامر رضي الله عنه لما استشهد في أحد جُنُبًا، كما في حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما مرفوعًا: «**إِنَّ صَاحِبَكُمْ تُغَسِّلُهُ الْمَلَائِكَةُ**»، فَسَأَلُوا صَاحِبَتَهُ فَقَالَتْ: إِنَّهُ خَرَجَ لَمَّا سَمِعَ الْهَائِعَةَ، وَهُوَ جُنُبٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لِذَلِكَ غَسَّلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، برقم (٣٣٢٦)، ومسلم في باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير، برقم (٢٨٤١).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٩٥)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، ووافقه الذهبي، وأخرجه الطبراني في الأوسط، برقم (٨٢٦١). وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٢٥)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ =

- ويرسل المَلَك إلى الجنين، وهو في بطن أمه، فيكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد.

- والملائكة «المعقِّبات» يحفظون ابن آدم من الآفات، قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد: ١١].

- والملائكة «المتعاقبات» يتعاهدون بني آدم، ويتناوبون على ذلك، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الفَجْرِ وَصَلَاةِ العَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ**»[(١)].

- والملائكة «الحفظة» يكتبون أعمال بني آدم، قال تعالى: ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ١٧﴾ [ق: ١٧].

- والملائكة ينصرون المؤمنين، ويثبتونهم في القتال، كما قال تعالى: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾ [الأنفال: ١٢].

- والملائكة يقبضون روح الميت، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ٦١﴾ [الأنعام: ٦١].

- والملائكة تبشِّر المؤمنين، قال تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ [فصلت: ٣٠].

- والملائكة تحيي المؤمنين في الجنة، قال تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤﴾ [الرعد: ٢٣ ـ ٢٤].

- كما أنَّهم قيِّمون على النار، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗ﴾ [المدثر: ٣١].

= مُسْلِم، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وسكت عنه الذهبي، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى برقم (٦٨١٤). وإسناده حسن. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، برقم (٣٢٦).

(١) أخرجه البخاري في باب فضل صلاة العصر رقم (٥٥٥)، ومسلم في باب فضل صلاتي الصبح والعصر، برقم (٦٣٢).

فصحبة الملائكة لبني آدم دائمة، وصلتهم بهم وثيقة جدًا، لهذا وجب الإيمان بهم. ولا يتم الإيمان بالملائكة إلا بتحقيق أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجودهم حقًّا، وأنَّهم خلقٌ حقيقي، خلقهم الله من نور، فمن زعم بأنَّ هذه أوهام أو خيالات، أو خرافات، فهو كافرٌ بالله العظيم؛ لأنَّه كذَّب الله في كتابه، وكذب نبيه ﷺ بقوله: «**خُلقت الملائكة من نور**»(١)، رواه مسلم.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه، ومن لم نعلم اسمه فإننا نؤمن به إجمالًا، ولا شك أننا لا نعلم من أسماء الملائكة إلا قدرًا يسيرًا؛ لأنَّهم كُثر، كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ﴾ [المدثر: ٣١]، وفي الحديث: «**إن السماء أطَّت، وحُقَّ لها أن تئِط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدًا لله**»(٢)، وذكر النبي ﷺ البيت المعمور في السماء السابعة، وهو كعبة سماوية حيال الكعبة الأرضية، لو خرَّ لخرَّ على الكعبة، فقال: «**هذا البيت المعمور، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم**»(٣)، أي: لا تأتيهم النوبة مرة أخرى؛ لكثرتهم. ولا نكاد نعرف من أسماء الملائكة إلا نحو عشرة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، ومالك خازن النار، ومنكر، ونكير، ورضوان، وهاروت، وماروت. وأما عزرائيل فإنَّه لم يثبت في حديثٍ صحيح، وإنما سماه الله تعالى ملك الموت، فقال: ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ﴾ [السجدة: ١١]، فمن سوى هؤلاء نؤمن به إجمالًا.

الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم، ولما كانوا عالمًا غيبيًّا لم يجز

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة برقم (٢٩٩٦).
(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب الحزن والبكاء برقم (٤١٩٠)، والترمذي، ت: شاكر في أبواب الزهد، باب في قول النبي ﷺ: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا**» برقم (٢٣١٢)، وحسنه الألباني.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة برقم (٣٢٠٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ... برقم (١٦٤).

لنا أن نتخيل صفاتهم وكيفياتهم من عند أنفسنا، بل نؤمن بما أخبرنا الله تعالى منها، كما قال تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُۚ﴾ [فاطر: ١]، حتى إنَّ النبي ﷺ رأى جبريل على خلقته التي خلقه الله تعالى عليها، له ستمائة جناح، قد سدَّ الأفق[١]، وقال: «**أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام**»[٢]، فتبارك الله الخالق العظيم!

الرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم، والعمل المشترك لجميع ملائكة الرحمٰن، أنَّهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وأنَّهم لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ـ عليهم صلوات الله وسلامه ـ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ١٦٥ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ١٦٦﴾ [الصافات: ١٦٥ ـ ١٦٦]. فهذه وظيفة الملائكة عمومًا، ولبعض الملائكة وظائف خاصة؛ فوظيفة جبرائيل النزول بالوحي الذي به حياة القلوب، ووظيفة ميكائيل النزول بالقطر والمطر الذي به حياة النبات، ووظيفة إسرافيل النفخ بالصور الذي به حياة الأبدان؛ ولهذا كان هؤلاء الثلاثة هم سادة الملائكة؛ لأنَّ وظائفهم تتعلق بالروح، وهناك وظائف أخر أشرنا إليها آنفًا.

فوائد الآيات:

١ ـ أن «البر» وسائر المطالب الشرعية، يعيِّنها الشارع، لا الذوق والرأي والاستحسان.

٢ ـ بيان أصول الإيمان الخمسة مجتمعة، ومنها الإيمان بالملائكة.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء، آمين فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه برقم (٣٢٣٢)، ومسلم في الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهى برقم (١٧٤)، زيادة: «**قد سد الأفق**»، في الترمذي، ت: شاكر في أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة والنجم برقم (٣٢٧٨)، وأحمد، ط. الرسالة برقم (٣٧٤٨).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب في الجهمية برقم (٤٧٢٧)، وصححه الألباني.

٣ ـ إثبات تنزل الملائكة، وبشارتهم للمؤمنين.

٤ ـ اتضاع الملائكة الكرام، وخضوعهم لربهم، واجتهادهم في عبادته.

٥ ـ قرب الملائكة الكرام من ربهم، وكونهم عنده سبحانه.

٦ ـ عظم خلق الملائكة، وتفاوتهم في الخلقة، وقدرتهم على النزول والعروج.

٧ ـ تنوع وظائفهم وأعمالهم، ومن أشرفها النزول بالوحي، وحمل العرش.

٨ ـ تنزيه الملائكة لربهم، واستغفارهم لعباده المؤمنين.

خُلقت الملائكة من نور

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «**خُلقت الملائكة من نور، وخُلق الجان من مارجٍ من نار، وخُلق آدم مما وُصف لكم**»، رواه مسلم(١).

الشرح

قوله: «من مارجٍ من نار» المارج: اللهب الأصفر، الذي يكون في أعلى شعلة النار، مختلطًا بسواد.

قوله: «وخلق آدم مما وُصف لكم» أي: من طين. قال تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧﴾ [السجدة: ٧]. فالملائكة عالم نوراني، وخلق حقيقي، لا يجوز أن يقال في حقهم: إنَّهم قوى الخير.

فوائد الحديث:

١ ـ بيان مادة خلق الملائكة الكرام، وهي النور، فهم أجسام نورانية.

٢ ـ بيان مادة خلق الجن، وهي النار، فهم أجسام نارية.

٣ ـ بيان مادة خلق آدم، وهي الطين الذي نفخ فيه الروح.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة برقم (٢٩٩٦).

يدخل البيت المعمور كل يوم سبعون ألف ملك

ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وثبت في بعض أحاديث المعراج: أنَّه ﷺ رُفع له البيت المعمور الذي هو في السماء السابعة، وقيل: في السادسة، بمنزلة الكعبة في الأرض، وهو بحيال الكعبة، حرمته في السماء كحرمة الكعبة في الأرض، وإذا هو «**يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم**»(١).

الشرح

البيت المعمور هو الكعبة السماوية، حيال الكعبة الأرضية، لو خرَّ لخرَّ عليها، سمي معمورًا لكثرة من يغشاه. يطَّوَّف به ملائكة السماء، كما يطَّوَّف المؤمنون بالكعبة في المسجد الحرام. قال تعالى: ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤﴾ [الطور: ٤].

فوائد الحديث:

١ ـ إثبات البيت المعمور، وفضله، وحرمته، وسعته.

٢ ـ عبادة الملائكة لربهم بالطواف.

٣ ـ كثرة الملائكة الكرام، فلا يحصيهم إلا خالقهم.

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة برقم (٣٢٠٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ برقم (١٦٤).

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ما في السماء موضع قدم إلا عليه ملك ساجد، أو ملك قائم، فذلك قول الملائكة**: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّآفُّونَ ۝١٦٥ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ۝١٦٦﴾ [الصافات: ١٦٥ ـ ١٦٦]»، رواه محمد بن نصر، وابن أبي حاتم، وابن جرير، وأبو الشيخ(١).

وروى الطبراني: عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما في السماوات السبع موضع قدم، ولا شبر، ولا كف، إلا وفيه ملك قائم، أو ملك ساجد، أو ملك راكع، فإذا كان يوم القيامة، قالوا جميعًا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك! إلا أنا لم نشرك بك شيئًا**»(٢).

الشرح

السماوات معمورة بعباد مكرمين، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، ولا يسأمون، ولا يستحسرون، دون إدلال ولا مِنَّة، فهم في عبادة متصلة، قد ملئوا أرجاء السماوات وأقطارها. وهذا يثمر لدى المؤمن: محبة هؤلاء العباد الصالحين الذين نصبهم الله تعالى لعبادته، ويحبهم أيضًا، لدعائهم للمؤمنين، كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝٧﴾ [غافر: ٧]. ولو قيل لك: إنَّ رجلًا صالحًا

---

(١) تعظيم قدر الصلاة برقم (٢٥٣)، وتفسير ابن أبي حاتم برقم (١٨٣٠٩)، وجامع البيان، ت: شاكر (٢١/١٢٦)، والعظمة لأبي الشيخ برقم (٤٩٧). والحديث صحيح بشواهده. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة: برقم (١٠٥٩).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم (١٧٣٠)، وفيه من تكلم فيه، ويشهد له ما قبله.

يقوم الليل يتهجد ويدعو لك بظهر الغيب ألا تحبه؟! بلى والله تحبه، وتشعر بالامتنان له، فكذلك ملائكة الرحمٰن، عليهم سلام الله.

ومما يثمره الإيمان بالملائكة: أن الشعور بالأنس في هذا الكون، فيحس أنَّه معمور بعباد الله الصالحين، ولا يشعر بأنَّه محشور بالشياطين فيستوحش، ومن الملائكة «سياحون» يسيرون في الأرض، وينصرون المؤمنين، ويحفظونهم من بين أيديهم ومن خلفهم.

فوائد الحديث:

١ ـ تسخير الملائكة في عبادة الله وتسبيحه، ودأبهم في ذلك.

٢ ـ عمارة السماوات بهم، واستيعابهم لجميع نواحيها.

٣ ـ فضيلة التوحيد والخلوص من الشرك.

وصف حملة العرش

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُذن لي أن أُحدِّث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش، ما بين شحمة أُذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام**»، رواه أبو داود، والبيهقي في الأسماء والصفات، والضياء في المختارة[1].

فمن سادتهم جبرائيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقد وصفه الله تعالى بالأمانة، وحسن الخَلق، والقوة، فقال تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦﴾ [النجم: ٥، ٦]. ومن شدة قوته: أنَّه رفع مدائن قوم لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكنَّ سبعًا بمن فيهنَّ من الأمم، وكانوا قريبًا من أربعمائة ألف، وما معهم من الدواب والحيوانات، وما لتلك المدائن من الأراضي والعمارات على طرف جناحه حتى بلغ بهنَّ عنان السماء، حتى سمعت الملائكة نباح كلابهم، وصياح ديكتهم، ثم قلبها، فجعل عالِيَها سافلها، فهذا هو ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النجم: ٥][2].

وقوله: ﴿ذُو مِرَّةٍ ۝٦﴾ [النجم: ٦] أي: ذو خَلق حسن، وبهاء وسناء، وقوة شديدة، قال معناها ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا[3]، وقال

---

(١) أخرجه أبي داود في كتاب السنة، باب في الجهمية برقم (٤٧٢٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات برقم (٨٤٦)، ولم نجده في المختارة كما قال. كما رواه أبو نعيم (٣/١٥٨) عن جابر، وابن عباس. وصححه ابن حجر في الفتح (٨/ ٦٦٥)، والألباني.

(٢) بنحوه في جامع البيان، ت: شاكر برقم (١٨٤٦٤).

(٣) بنحوه في جامع البيان، ت: شاكر (٢٢/ ٤٩٩).

غيره: ذو مرة، أي: ذو قوة[١].

وقال تعالى في صفته: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۝٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ۝٢١﴾ [التكوير: ١٩ ـ ٢١]، أي: له قوة وبأس شديد، وله مكانة ومنزلة عالية رفيعة عند ذي العرش. ﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ﴾ أي: مطاع في الملأ الأعلى[٢]. وقوله: ﴿أَمِينٖ ۝٢١﴾ ذي أمانة عظيمة؛ ولهذا كان هو السفير بين الله وبين رسله[٣].

الشرح

هذا الحديث في بيان عظم خلق أحد حملة العرش. والآية في بيان عظم خلق جبريل عليه السلام، وشدة قوته؛ بأنَّ اقتلع سلسلة قرى سدوم، بطرف جناحه من تخوم الأرض، ورفعها إلى السماء ثم قلبها عليهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ ۝٥٣ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ۝٥٤﴾ [النجم: ٥٣، ٥٤].

فجبريل عليه السلام أعظم ملائكة الرحمٰن، وهو سيد الملائكة، وفي الآيات تزكية عظيمة له من ربه، وثناء بليغ عليه، بالكرامة، والقوة، والمكانة، والسيادة، والأمانة. ومع ذلك فإنَّ اليهود تعاديه، وتعده عدوهم من الملائكة؛ ولهذا أنزل الله قوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧]، فانتصر الله له ولميكائيل، فقال: ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ۝٩٨﴾ [البقرة: ٩٨].

قال ابن جرير: «أجمع أهل العلم بالتأويل جميعًا على أن هذه الآية ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ نزلت جوابًا لليهود من بني إسرائيل، إذ زعموا أن جبريل عدوٌّ لهم، وأن ميكائيل وليٌّ لهم، ثم

(١) جامع البيان، ت: شاكر (٤٩٩/٢٢)، وفي صحيح البخاري (١٤٠/٦) من قول مجاهد.
(٢) بنحوه في تفسير ابن كثير (٣٣٩/٨).
(٣) المصدر نفسه (٣٣٩/٨).

اختلفوا في السبب الذي من أجله قالوا ذلك» ـ ثم أورد أكثر من أربعة عشر سببًا من أسباب النزول لهاتين الآيتين ـ منها: أن عداوتهم لأنه ينزل عليهم بالعذاب، وهو قول الجمهور، كما في المناظرة التي جرت بين اليهود وبين رسول الله ﷺ في أمر نبوته(١). ومن الأسباب: أنهم يرون أن جبريل عليه السلام عدل بالنبوة عن بني إسرائيل إلى بني إسماعيل، كما قال مقاتل: قالت اليهود: إن جبريل عدونا؛ لأنه أمر أن يجعل النبوة فينا، فجعلها في غيرنا(٢).

❁ فوائد الحديث:

١ ـ أن النبي ﷺ لا يُحدِّث بأمور الغيب إلا بما أُذن الله.

٢ ـ عظم خلق الملائكة، وأن للملك المذكور أذن، وعاتق، على الصفة التي يعلمها الله.

٣ ـ فضل جبريل عليه السلام وتزكية الله له، ووصفه بالكرامة، والقوة، والمكانة، والسيادة، والأمانة، والبهاء وحسن المنظر.

٤ ـ أنَّ الملائكة، من حيث الجملة، خلقٌ جميل، ولهذا قالت النسوة لما رأين يوسف: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [يوسف: ٣١]، مع أنَّهنَّ لم يرين الملائكة، فقد استقر في الفِطَر أنَّ الملائكة خلقٌ جميل، كما استقر في الفِطَر أنَّ الشياطين خلقٌ بشع، قال الله تعالى: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾ [الصافات: ٦٥]، مع أننا لم نرَ الشياطين، ولا رؤوسهم.

٥ ـ حفظ الله لوحيه، حيث أوكل البلاغ إلى من يتصف بالقوة والأمانة.

٦ ـ الرد على اليهود.

❁ ❁ ❁

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان، ت: شاكر (٢/٣٧٧).

(٢) تفسير البغوي (١/٩٦).

أجنحة جبريل عليه السلام

ثم قال المصنف رحمه الله:

وقد كان يأتي إلى رسول الله ﷺ في صفات متعددة، وقد رآه على صفته التي خلقه الله عليها مرتين، وله ستمائة جناح. روى ذلك البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه [(١)].

وروى الإمام أحمد: عن عبد الله قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته وله ستمائة جناح، كلُّ جناح منها سدَّ الأفق، يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم [(٢)]، إسناده قوي.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل في حُلَّةٍ خضراء، قد ملأ ما بين السماء والأرض. رواه مسلم [(٣)].

وعن عائشة رضي الله عنها أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«رأيتُ جبريل**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء برقم (٣٢٣٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهى برقم (١٧٤).

(٢) أخرجه أحمد، ط. الرسالة برقم (٣٧٤٨)، وقال محققو المسند: «إسناده ضعيف لضعف شريك ـ وهو ابن عبد الله النخعي ـ».

(٣) أخرجه الترمذي، ت: شاكر في أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة والنجم برقم (٣٢٨٣)، وأحمد، ط. الرسالة برقم (٣٧٤٠) بلفظ: «رأى رسول الله ﷺ جبريل في حلة من رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض» ولم نجده في مسلم، كما أشار المصنف.

منهبطًا قد ملأ ما بين الخافقين، عليه ثياب سندس، معلق بها اللؤلؤ والياقوت»، رواه أبو الشيخ[(١)].

الشرح

هذه القطعة في بيان رؤية النبي ﷺ لجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ. قال ابن كثير في «البداية والنهاية»: «هذه أسانيد جيدة، قوية، انفرد بها أحمد»[(٢)]، أما الحديث الذي قال عنه: «رواه مسلم» فإنه ليس في صحيح مسلم، وإنما أخرجه الترمذي، وأحمد، وغيرهما.

فقد رأى النبي ﷺ جبريل مرتين؛ مرةً في أجياد، ومرةً في السماوات العلى. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [النجم: ١٣، ١٤].

وفي الحديثين أن النبي ﷺ رأى جبريل في حلة خضراء، أو عليه ثياب سندس، معلق بها اللؤلؤ والياقوت، وهذا دليل على أن الملائكة قد تتشكل، وقد تلبس الثياب، والله أعلم بكيفية ذلك، ويُؤيد ذلك ما جاء في صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال: رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بياض، ما رأيتهما قبل ولا بعد، يعني جبريل وميكائيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ[(٣)]، قال النووي: وفيه: فضيلة الثياب البيض، وأن رؤية الملائكة لا تختص بالأنبياء، بل يراهم الصحابة والأولياء، وفيه منقبة لسعد بن أبي وقاص الذي رأى الملائكة[(٤)].

فوائد الأحاديث:

١ ـ ثبوت رؤية النبي ﷺ جبريل على الصورة التي خلقه الله عليها، مرتين.

---

(١) العظمة لأبي الشيخ برقم (٣٣٦).
(٢) البداية والنهاية (١/١٠٠).
(٣) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب في قتال جبريل وميكائيل عن النبي ﷺ يوم أحد برقم (٢٣٠٦).
(٤) شرح النووي على مسلم (١٥/٦٦).

٢ ـ عظم خلقه عليه السلام، وحسن منظره.

٣ ـ لباس الملائكة للحلل والحلي.

❁ ❁ ❁

ثم قال رحمه الله:

ولابن جرير: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جبرائيل عبد الله، وميكائيل عبيد الله، وكل اسم فيه إيل فهو عبد الله[(١)].

وله: عن علي بن الحسين مثله، وزاد: وإسرافيل عبد الرحمٰن[(٢)].

الشرح

أي: قد يدخل على بعض الأسماء في أولها أو آخرها بعض الحروف الدالة على التعبيد، وهذا موجود في مختلف اللغات، وتتوارد عليه الأسماء، كقولنا: عبد الله، وعبد الرحمٰن، وعبد العزيز، فنجعل لفظة (عبد) قبل الاسم، وبنو إسرائيل يجعلونها في آخرها، فيقولون: ميكائيل، وإسرافيل، وإسرائيل، وهكذا.

❁ ❁ ❁

(١) جامع البيان (١/ ٤٣٧).

(٢) جامع البيان (١/ ٤٣٧).

جبريل أفضل الملائكة

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

❁ وروى الطبراني: عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أخبركم بأفضل الملائكة؟ جبرائيل»**(١).

الشرح

هذا الحديث ضعيف، ولكن دلَّت أدلة أخرى على أنَّ جبرائيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أفضل الملائكة، قال الله تعالى: ﴿نَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ [القدر: ٤]، وقال: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل: ١٠٢] فسماه روح القدس، وقال: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣] فسماه الروح الأمين، وقد سماه الله في كتابه بأسماء شريفة، ووصفه بأوصاف كريمة: فهو رسول كريم، وذو قوة، وهو مكين المنزلة عند ذي العرش، ومطاع في السماوات، تطيعه الملائكة، وأمين على وحي الله ورسالاته، كل هذا يقتضي تفضيله على سائر الملائكة.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم (١١١٩٨). قال الهيثمي في مجمع الزوائد: وفيه نافع بن هرمز، متروك. (٨/١٩٨).

خوف الملائكة من النار

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

ﷺ وعن أبي عمران الجوني: أنَّه بلغه أنَّ جبرائيل أتى النبي ﷺ وهو يبكي، فقال له رسول الله ﷺ: «**ما يبكيك؟**» قال: وما لي ألا أبكي، فوالله ما جفت لي عين منذ خلق الله النار، مخافة أن أعصيه، فيقذفني فيها. رواه الإمام أحمد في «الزهد»(١).

الشرح

هذا الحديث مرسل، والمرسل من أنواع المنقطع. وقد وصف الله ملائكته بخشيته، فقال: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء: ٢٨]. وتقدم في أول الكتاب وصف حالهم إذا تكلم الله بالوحي.

(١) أخرجه السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (١/ ٢٢٩) وعزاه لأحمد في الزهد، ولم نجده في الزهد.

الملائكة لا تنزل إلا بإذن الله

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

❁ وللبخاري: عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ لجبرائيل: «**ألا تزورنا أكثر مما تزورنا؟**» فنزلت: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ [مريم: ٦٤] إلى آخر الآية(١).

❁ ومن سادتهم ميكائيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهو موكل بالقطر والنبات، وروى الإمام أحمد عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال لجبرائيل: «**ما لي لم أرَ ميكائيل ضاحكًا قط؟**» قال: ما ضحك ميكائيل منذ خُلقت النار(٢).

❁ ومن سادتهم إسرافيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهو أحد حملة العرش، وهو الذي ينفخ في الصور.

الشرح

هؤلاء الثلاثة هم سادة الملائكة، وإنَّما استحقوا السيادة؛ لأنَّهم موكلون بأمر الحياة:

ـ **فجبرائيل**: موكول بحياة القلوب، وهو الوحي، كما قال الله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة برقم (٣٢١٨).

(٢) أخرجه أحمد، ط. الرسالة برقم (١٣٣٤٣)، وقال محققو المسند: «إسناده ضعيف».

ـ **وميكائيل**: موكل بالقطر والنبات، الذي به حياة الأرض والنبات.

ـ **وإسرافيل**: موكل بالنفخ في الصور الذي تحصل به حياة الأبدان.

وقد كان النبي ﷺ يجمع بينهم في مناجاته لربه، فيقول: «**اللّهم ربَّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلِف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراطٍ مستقيم**»(١).

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه برقم (٧٧٠).

صاحب القرن قد التقم القرن للنفخ في الصور

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

روى الترمذي وحسَّنه، والحاكم عن أبي سعيدٍ الخدري ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنعم، وصاحب القرن قد التقم القرن، وحنى جبهته، وأصغى سمعه ينتظر متى يُؤمر، فينفخ؟**» قالوا: فما نقول يا رسول الله؟ قال: «**قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا**»(١).

الشرح

قوله: «كيف أنعم؟» أي: كيف أفرح وأتنعم، وتطيب نفسي بالعيش؟

قوله: «وصاحب القرن» القرن هو الصور الذي يُنفخ فيه، فتقوم الساعة، وصاحبه هو إسرافيل، وهو من مشاهير الملائكة، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد روى النقاش أنه أول من سجد من الملائكة، فجوزي بولاية اللوح المحفوظ»(٢)، وقد صح عن النبي ﷺ: «**إن طرف صاحب الصور مذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش؛ مخافة أن يُؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه، كأن عينيه كوكبان دريان**»(٣).

قوله: «قد التقم القرن» أي: وضع طرف القرن في فيه.

---

(١) أخرجه الترمذي، ت: شاكر في أبواب تفسير القرآن باب ومن سورة الزمر برقم (٣٢٤٣)، والحاكم في المستدرك برقم (٨٦٧٨)، وصححه الألباني.

(٢) فتح الباري (٦/٣٠٨).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك برقم (٨٨٢٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة مختصرة برقم (١٠٧٨).

قوله: «**وحنى جبهته، وأصغى سمعه**»: أي أمال جبهته، وأذنه ترقبًا للأمر بالنفخ في الصور.

قوله: «**حسبنا الله ونعم الوكيل**» الحسب: هو الكفاية. أي: كافينا الله. والوكيل: من يُعتمد عليه في جلب النفع، ودفع الضر. والمخصوص بالمدح محذوف، يفهم من سابقه، وتقديره: نعم الوكيل الله.

فوائد الحديث:

١ ـ شدة خشية النبي ﷺ لربه، وإشفاقه من الساعة.

٢ ـ إثبات الساعة، والنفخ في الصور، والنافخ فيه.

٣ ـ فضيلة التوكل، والدعاء بذلك.

صفة إسرافيل وهو من حملة العرش

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ ملكًا من حملة العرش يقال له: إسرافيل، زاوية من زوايا العرش على كاهله، قد مرقت قدماه في الأرض السابعة السفلى، ومرق رأسه من السماء السابعة العليا**»، رواه أبو الشيخ، وأبو نعيم في الحلية[1].

وروى أبو الشيخ عن الأوزاعي قال: ليس أحد من خلق الله أحسن صوتًا من إسرافيل، فإذا أخذ في التسبيح قطع على أهل سبع سماوات صلاتهم وتسبيحهم[2].

الشرح

هذان حديثان ضعيفان. وقد ثبت أن إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ هو صاحب القرن.

❁ ❁ ❁

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومن سادتهم ملك الموت عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولم يجئ مصرحًا باسمه في القرآن، ولا في الأحاديث الصحيحة، وقد جاء في بعض الآثار تسميته بعزرائيل، فالله أعلم، قاله الحافظ ابن كثير[3].

(١) العظمة برقم (٢٨٣)، وحلية الأولياء (٦/ ٦٦).
(٢) العظمة برقم (٣٩٠).
(٣) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٣٦١).

وقال: إنَّهم بالنسبة إلى ما هيأهم له أقسام:

فمنهم: حملة العرش.

ومنهم: الكروبيون[(١)] الذين هم حول العرش، وهم مع حملة العرش أشرف الملائكة، وهم الملائكة المقربون، كما قال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢] الآية.

ومنهم: سكان السماوات السبع يعمرونها عبادة دائمة ليلًا ونهارًا، صباحًا ومساءً، كما قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ٢٠].

ومنهم: الذين يتعاقبون إلى البيت المعمور[(٢)]. قلتُ: الظاهر أنَّ الذين يتعاقبون إلى البيت المعمور سكان السماوات.

ومنهم: موكلون بالجنان، وإعداد الكرامات لأهلها، وتهيئة الضيافة لساكنيها؛ من ملابس، ومآكل، ومشارب، ومصاغ، ومساكن، وغير ذلك، مما لا عين رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

ومنهم: الموكلون بالنار ـ أعاذنا الله منها ـ وهم الزبانية، ومقدموهم تسعة عشر، وخازنها مالك، وهو مقدم على الخزنة، وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾ [غافر: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦]، وقال تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

---

(١) البداية والنهاية (١/ ٥٢).

(٢) البداية والنهاية (١/ ٥٢ ـ ٥٣).

❁ ومنهم: الموكلون بحفظ بني آدم، كما قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد: ١١]، قال ابن عباس: ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء أمر الله خلوا عنه. وقال مجاهد: ما من عبدٍ إلا وملك موكل بحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما منها شيء يأتيه يريده إلا قال له: وراءك إلا شيء يأذن الله تعالى فيه فيصيبه[(١)].

❁ ومنهم: الموكلون بحفظ أعمال العباد، كما قال تعالى: ﴿إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ﴿١٧﴾ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٧ ـ ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢][(٢)].

الشرح

هذا النقل عن ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تضمن ذكر ثمانية أصناف من الملائكة، وأعمالهم، ووظائفهم، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك أول الباب. ولم يستوعب جميع أعمالهم، بل ذكر بعضها، ولهم أعمال سوى ذلك، منها: ما ذكره الله تعالى في قوله: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ﴿٤﴾﴾ [النازعات: ١ ـ ٤]، فهؤلاء طوائف من الملائكة. وأما لفظ «عزرائيل» و«الكروبيين» فلم يثبتا في حديثٍ صحيح، والغالب ورودهما في الروايات الإسرائيلية.

❁ ❁ ❁

(١) البداية والنهاية (١/ ٥٣).

(٢) المصدر السابق (١/ ٥٤).

وجوب الاستحياء من ملائكة الله والنهي عن التعرّي

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

❁ وروى البزار عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول ﷺ: **«إنَّ الله ينهاكم عن التعري، فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم؛ الكرام الكاتبين، الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى ثلاث حالات: الغائط، والجنابة، والغسل، فإذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه، أو بجذم[(١)] حائط، أو بغيره[(٢)]»**[(٣)].

❁ قال الحافظ ابن كثير: «ومعنى إكرامهم: أن يستحيَ منهم، فلا يملي عليهم الأعمال القبيحة التي يكتبونها، فإنَّ الله خلقهم كرامًا في خلقهم وأخلاقهم»[(٤)]. ثم قال ما معناه: إنَّ من كرمهم أنَّهم لا يدخلون بيتًا فيه كلب، ولا صورة، ولا جنب، ولا تمثال، ولا يصحبون رفقة معهم كلب أو جرس[(٥)].

---

(١) الجذم: الأصل، أراد بقية حائط أو قطعة من حائط. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٢٥٢).

(٢) قوله: «بغيره» بالغين المعجمة، كذا في جميع نسخ (أصول الإيمان) لكنه في مسند البزار وهو الأصل الذي نقل منه المصنف: «أو ببعيره» بالعين المهملة. ينظر: مسند البزار (٢/ ١٦٧) (٤٧٩٩)، وكذا في البداية والنهاية، ط. الفكر (١/ ٥١)، وتفسير ابن كثير، ت: سلامة (٨/ ٣٤٤)، فلعل المرجع أن يكون بالعين المهملة.

(٣) مسند البزار برقم (٤٧٩٩).

(٤) البداية والنهاية (١/ ٥٤).

(٥) المصدر السابق (١/ ٥٤).

الشرح

تقدم أن من ثمرة الإيمان بالملائكة: محبتهم، والأنس بهم، وذكر ها هنا أن من ثمرة الإيمان بالملائكة: الحياء منهم، فنستحي أن نملي عليهم أعمالًا سيئة؛ لأنَّهم ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ١٧﴾ [ق: ١٧]، أو يتعرى الإنسان في غير موضع مخصوص.

وفي حديث الباب ضعف، ويغني عنه حديث يَعْلَى، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأَى رَجُلًا يَغْتَسِلُ بِالْبَرَازِ بِلَا إِزَارٍ، فَصَعَدَ الْمِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ**»[(١)].

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «يجوز كشف العورة في موضع الحاجة في الخلوة؛ وذلك كحالة الاغتسال، وحال البول، ومعاشرة الزوجة، ونحو ذلك، فهذا كله جائز فيه التكشف في الخلوة، وأما بحضرة الناس فيحرم كشف العورة في كل ذلك، قال العلماء: والتستر بمئزر ونحوه في حال الاغتسال في الخلوة أفضل من التكشف، والتكشف جائز مدة الحاجة في الغسل ونحوه، والزيادة على قدر الحاجة حرام على الأصح، ... أن ستر العورة في الخلوة واجب على الأصح، إلا في قدر الحاجة»[(٢)].

فوائد الحديث:

١ ـ النهي عن التعري في الفضاء، والأمر بالاستتار.

٢ ـ أن الملائكة أهلٌ لأن يستحي منهم لأنهم كرام.

٣ ـ أن من الحياء من الملائكة عدم اقتراف المعاصي، وما يَخِلّ بالمروءات.

---

(١) أخرجه أبو داود في باب النهي عن التعري برقم (٤٠١٢).

(٢) شرح النووي على مسلم (٤/ ٣٢).

تعاقب الملائكة فينا بالليل والنهار

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

۞ وروى مالك والبخاري ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج إليه الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون**»[(١)].

۞ وفي رواية: أنَّ أبا هريرة قال: «اقرءوا إن شئتم: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨﴾ [الإسراء: ٧٨]»[(٢)].

۞ وروى الإمام أحمد ومسلم حديث قول النبي ﷺ: «**ما اجتمع قوم في بيتٍ من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطّأ به عمله لم يسرع به نسبه**»[(٣)].

(١) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر برقم (٥٥٥)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر برقم (٦٣٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨﴾ برقم (٤٧١٧)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة، وبيان التشديد في التخلف عنها برقم (٦٤٩).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر برقم (٢٦٩٩)، ومسند أحمد، ط. الرسالة برقم (٧٤٢٧)، وقال محققو المسند: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

❁ وفي المسند والسنن حديث قول النبي ﷺ: **«إنَّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع»**[(١)].

❁ والأحاديث في ذكرهم عليهم السلام كثيرة جدًّا.

الشرح

أسعد الناس بالملائكة هم المؤمنون، فيشهدون لهم عند ربهم بالصلاة، ويستغفرون لهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: ٧]، ومن أخصِّ المؤمنين بهم، وأكثرهم بهم سعادة صنفان:

- أهل القرآن: الذين يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم.
- أهل العلم: الذين يشتغلون بطلبه، والتفقه في الدين.

قوله: «**يتعاقبون فيكم**» قال ابن رجب: (جمع فيه الفعل مع إسناده إلى ظاهر، وهو مخرج على اللغة المعروفة بلغة «أكلوني البراغيث»، وقد عرفها بعض متأخري النحاة بهذا الحديث، فقال: «هي لغة يتعاقبون فيكم ملائكة». والتعاقب: التناوب والتداول، والمعنى: أن كل ملائكة تأتي تعقب الأخرى. وقد دل الحديث على أن ملائكة الليل غير ملائكة النهار)[(٢)].

قوله: «**وما اجتمع قوم في بيتٍ من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم**» قال النووي: (وَفِي هَذَا دَلِيلٌ لِفَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فِي الْمَسْجِدِ، وَهُوَ مَذْهَبُنَا وَمَذْهَبُ الْجُمْهُورِ. وَقَالَ مَالِكٌ: يُكْرَهُ! وَتَأَوَّلَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ. وَيُلْحَقُ بِالْمَسْجِدِ فِي تَحْصِيلِ هذه الفضيلة الاجتماع في مدرسة، وَرِبَاطٍ وَنَحْوِهِمَا، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى)[(٣)].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم برقم (٢٢٦)، والترمذي في أبواب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده برقم (٣٥٣٥)، وأحمد، ط. الرسالة برقم (١٨١٠٠)، وصححه الألباني.

(٢) فتح الباري لابن رجب (٤/٣٢٦).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٧/٢١).

قوله: «**نزلت عليهم السكينة**» أي: الطمأنينة والوقار والسمت الحسن.

قوله: «**وغشيتهم الرحمة**» أي: عمَّتهم وعلتهم وسترتهم. وهي رحمة الله تعالى.

قوله: «**وحفَّتهم الملائكة**» أي: أحاطت وأحدقت بهم، إكرامًا لهم واحتفاءً بصنيعهم، وشهودًا للخير.

قوله: «**وذكرهم الله فيمن عنده**» أي: أثنى عليهم في الملأ الأعلى من الملائكة المقربين.

قوله: «**ومن بطَّأ به عمله لم يسرع به نسبه**» أي: قصَّر في العمل، فالعبرة بالتقوى والعمل الصالح، لا بالحسب وعلوّ النسب.

فوائد الحديث:

١ ـ إثبات «المتعاقبات» من الملائكة.

٢ ـ أن ملائكة الليل غير ملائكة النهار.

٣ ـ شهادة الملائكة للمؤمنين عند ربهم.

٤ ـ فضل صلاتي الفجر والعصر.

٥ ـ الاستشهاد بالقرآن.

٦ ـ فضيلة الاجتماع على تلاوة القرآن ومدارسته في المساجد.

٧ ـ حصول المناقب الأربع لهم.

٨ ـ العبرة بالعمل والتقوى، لا بالحسب والنسب.

٩ ـ تكريم الملائكة لأهل القرآن، وشهودها مجامعهم.

١٠ ـ تكريم الملائكة لطلاب العلم، ورضاها لصنيعهم.

بــــاب

الوصية بكتاب الله عز وجل

قال المصنف رحمه الله:

❁ باب: الوصية بكتاب الله عز وجل:

❁ وقول الله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأعراف: ٣].

❁ وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: «**أما بعدُ: ألا أيها الناس فإنَّما أنا بشرٌ، يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقَلين، أولهما: كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به**» فحث على كتاب الله، ورغَّب فيه، ثم قال: «**وأهل بيتي**»(١).

❁ وفي لفظ: «**كتاب الله هو حبل الله المتين؛ من اتَّبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة**»، رواه مسلم(٢).

الشرح

ذكر المصنف في هذا الباب الوصية بكتاب الله عز وجل، وفي هذا إشارة إلى الأصل الثالث من أصول الإيمان التي نصَّ عليها قول الله تعالى: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، هو الإيمان بالكتب. فالإيمان بالكتب أصل

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ـ رضي الله تعالى عنهم ـ، باب من فضائل علي بن أبي طالب برقم (٢٤٠٨).

(٢) المصدر السابق.

أصيل من أصول الإيمان، وهو الإيمان أن الله تعالى أنزل كتبًا تأييدًا لرسله، وحجة لله على خلقه، ورحمة بهم، وبيانًا لما أشكل عليهم. قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]. فالبينات: دلائل النبوة، كالمعجزات، والكتاب: اسم جنس لكل كتاب أنزله الله، والميزان: العدل الذي دل عليه العقل السليم، والفطرة السوية.

ولا يتم الإيمان بالكتب إلا بتحقيق أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأنَّها منزَّلة من عند الله حقًّا: فمصدرها رباني، ليست من كلام الملَك، ولا من كلام النبي، بل هي كلام ربّ العالمين، قال الله تعالى: ﴿الم ۝١ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ١ ـ ٤]. وهذه الثلاثة: التوراة والإنجيل والقرآن، أعظم كتب الله. وأعظمها القرآن. وقد ذكرها الله تعالى على نسق، في سورة المائدة [٤٤]، فقال: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾، ثم ثنى بالإنجيل، فقال: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝٤٦﴾ [المائدة: ٤٦]، ثم ثلّث بالقرآن، فقال: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، أي: مصدقًا لأخباره، ومهيمنًا على أحكامه، ومعنى: ﴿مهيمنا﴾ أي: حاكمًا ومؤتمنًا وشاهدًا وناسخًا.

الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه، وما لم نعلم اسمه فإنَّنا نؤمن به إجمالًا: ولا نعلم من أسماء كتب الله إلا التوراة والإنجيل والزبور والقرآن، وصحف إبراهيم، وصحف موسى، إن كانت قدرًا زائدًا عن التوراة. ولكن لا ريب أنَّ الله تعالى أنزل كتبًا على أنبيائه لا نعلم أسماءها، كما يوجد بأيدي بني إسرائيل من الأسفار مثل: سفر (يشوع) و(أشعياء) و(أرميا) و(حزقيال) وغيرها. قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

الثالث: تصديق ما صحَّ من أخبارها: فأما القرآن العظيم فهو كتاب الله المحفوظ من التغيير والتبديل، أما الكتب السابقة فقد دخلها التحريف والتغيير بنصِّ كتاب الله، قال الله عز وجل: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦]، وقال: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ٤١]، وقال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٧٩]. فما صدقه كتابنا قبلناه، وما كذبه كتابنا رددناه، وما لم يشهد كتابنا بصدقه أو كذبه لم نصدقه ولم نكذبه، ونقول كما أمرنا ربنا: ﴿وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [العنكبوت: ٤٦]. فهذا هو الموقف العدل من «الإسرائيليات».

الرابع: العمل بشريعة ما أُنزل إلينا منها، وهو القرآن العظيم: كما في آية الباب: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٤٨ ـ ٥٠].

ثم ذكر المصنف حديث «غدير خم»، وفيه:

قوله: «**إنما أنا بشرٌ يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب**» أي: يدركني ما يدرك البشر من الموت، على يد ملك الموت المرسل، فأموت. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١]. وهذا تلطف منه ﷺ في الإخبار.

قوله: «**وإني تارك فيكم ثَقَلين**» قال القاري: (بِفَتْحَتَيْنِ أَي: الْأَمْرَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ، سَمَّى كِتَابَ اللهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ بِهِمَا لِعِظَمِ قَدْرِهِمَا، وَلِأَنَّ الْعَمَلَ بِهِمَا

ثَقِيلٌ عَلَى تَابِعِهِمَا. قَالَ صَاحِبُ «الْفَائِقِ»: الثَّقَلُ الْمَتَاعُ الْمَحْمُولُ عَلَى الدَّابَّةِ، وَإِنَّمَا قِيلَ لِلْجِنِّ وَالْإِنْسِ: الثَّقَلَانِ لِأَنَّهُمَا ثِقَالُ الْأَرْضِ فَكَأَنَّهُمَا ثَقَلَاهَا، وَقَدْ شَبَّهَ بِهِمَا الْكِتَابَ وَالْعِتْرَةَ فِي أَنَّ الدِّينَ يُسْتَصْلَحُ بِهِمَا وَيَعْمُرُ كَمَا عَمُرَتِ الدُّنْيَا بِالثَّقَلَيْنِ)[1].

«**أولهما: كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، وتمسكوا به**» قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢]، فهو حجة الله على خلقه، إلى قيام الساعة، تكفَّل الله بحفظه، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩].

قوله: «**وأهل بيتي**» جاء في آخر حديث زيد بن أرقم، عند مسلم: (فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟ يَا زَيْدُ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ) فالوصية بهم تقتضي محبتهم، وموالاتهم، وإكرامهم، والذب عنهم.

قوله: «**كتاب الله، هو حبل الله المتين، من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة**» وصف القرآن بالحبل المتين إشارة إلى أن حبل الدين لن ينقطع، وسيستمر إلى قيام الساعة، وإنما شُبه بالحبل؛ لأنه وسيلة الخلق إلى الله؛ إذ بالعمل به يصلون إلى الله وحبه وكرامته وجنته، فكأنه حبل ممدود بين الله وبين خلقه. قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فوائد الآية الحديث:

١ ـ وجوب اتباع القرآن.

٢ ـ إثبات تنزيل القرآن من عند الله.

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٣٩٦٧).

٣ ـ النهي عن اتباع سوى القرآن.

٤ ـ الخطبة عند النوازل المهمة.

٥ ـ الاستهلال بحمد الله والثناء عليه في الخطب، وقول أما بعد.

٦ ـ بشرية النبي ﷺ وعروض المرض والموت عليه.

٧ ـ تلطف النبي ﷺ في سوق الأخبار المؤلمة.

٨ ـ الوصية بكتاب الله، وتعظيمه، والحث على الأخذ به، والتمسك به.

٩ ـ الوصية بأهل البيت، ووجوب محبتهم، وموالاتهم.

١٠ ـ أن العصمة والهدى بلزوم كتاب الله، وأن الزلل والضلال بتركه.

من الضلال ترك الكتاب وسنة النبي ﷺ

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

❁ وله في حديث جابر الطويل: أنَّ النبي ﷺ قال في خطبة يوم عرفة: «**وقد تركتُ فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به؛ كتاب الله، وأنتم تُسألون عني، فما أنتم قائلون؟**» قالوا: نشهد أنَّك قد بلغت وأديت ونصحت، قال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: «**اللّهم اشهد**» قالها ثلاث مرات[(١)].

الشرح

المقصود بحديث جابر الطويل حديثه في سياق حجة النبي ﷺ، وهو من أتم السياقات في وصفها، رواه الإمام مسلم وغيره، وفي أثنائه ذكر خطبة يوم عرفة، وهي خطبة عصماء، قال في آخرها: «**وقد تركت فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به كتاب الله**» وهذا أسلوب تشويق وإغراء، يتضمن الوصية بكتاب الله والاعتصام به.

قوله: «**وأنتم تُسألون عني فما أنتم قائلون؟**» استنطاق للناس، بغية الطمأنينة، بأبي هو وأمي.

قوله: «**فقالوا: نشهد أنَّك قد بلغت، وأديت، ونصحت**» وصدقوا ـ رضوان الله عليهم ـ، ونحن ـ والله ـ نشهد بما شهد به أصحاب نبينا ﷺ أنَّه قد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فلم يدع شاذة ولا فاذة إلا وبيَّنها لأمته.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ برقم (١٢١٨).

قوله: «**اللّهم فاشهد**» **(ثلاث مرات)** فرح النبي ﷺ بهذه الشهادة، فجعل يرفع أصبعه إلى السماء يشير إلى ربه؛ لأنَّه فوق سماواته، وينكتها إلى الناس، ثلاث مرات.

فوائد الحديث:

١ ـ مشروعية الخطبة في المجامع الكبار، وتعليم الناس ما يحتاجون إليه.

٢ ـ الوصية بكتاب الله، وأن التمسك به عصمة من الضلال.

٣ ـ جواز سؤال المرء عن أدائه بقصد الاطمئنان، لا المباهاة.

٤ ـ شهادة المؤمنين لنبيهم ﷺ بالبلاغ المبين.

٥ ـ إثبات علوّ الله فوق سماواته، والرد على نفاة العلو.

٦ ـ جواز إشهاد الله على الأمور المهمة، مع العلم بشهادته وعلمه.

٧ ـ التكرار ثلاثًا لإثبات الأمر المهم.

من ترك الحكم بكتاب الله قصمه الله

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿ وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**ألا إنَّها ستكون فتنة**» قلتُ: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «**كتاب الله، فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشبع منه العلماء، ولا يَخْلَق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا:** ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ [الجن: ١ ـ ٢]، **من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراطٍ مستقيم**»[(١)]، رواه الترمذي وقال: غريب.

الشرح

هذا الحديث في سنده الحارث الأعور، وقد ضعَّفه أهل العلم، وقد قال عنه الترمذي: (هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ حَمْزَةَ الزَّيَّاتِ، وَإِسْنَادُهُ مَجْهُولٌ وَفِي حَدِيثِ الْحَارِثِ مَقَالٌ)[(٢)].

---

(١) أخرجه الترمذي، ت: شاكر في أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن برقم (٢٩٠٦)، وضعفه الألباني.

(٢) المرجع السابق.

وتعقبه ابن كثير، فقال: (لَمْ يَنْفَرِدْ بِرِوَايَتِهِ حَمْزَةُ بْنُ حَبِيبٍ الزَّيَّاتُ، بَلْ قَدْ رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ، عَنِ الْحَارِثِ الْأَعْوَرِ، فَبَرِئَ حَمْزَةُ مِنْ عُهْدَتِهِ، عَلَى أَنَّهُ، وَإِنْ كَانَ ضَعِيفَ الْحَدِيثِ، إِلَّا أَنَّهُ إِمَامٌ فِي الْقِرَاءَةِ وَالْحَدِيثُ، مَشْهُورٌ مِنْ رِوَايَةِ الْحَارِثِ الْأَعْوَرِ، وَقَدْ تَكَلَّمُوا فِيهِ؛ بَلْ قَدْ كَذَّبَهُ بَعْضُهُمْ مِنْ جِهَةِ رَأْيِهِ وَاعْتِقَادِهِ، أَمَّا إِنَّهُ تَعَمَّدَ الْكَذِبَ فِي الْحَدِيثِ فَلَا، والله أَعْلَمُ. وَقُصَارَى هَذَا الْحَدِيثِ أَنْ يَكُونَ مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ رضي الله عنه، وَقَدْ وَهِمَ بَعْضُهُمْ فِي رَفْعِهِ، وَهُوَ كَلَامٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، عَلَى أَنَّهُ قَدْ رُوِيَ لَهُ شَاهِدٌ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ)[1]، فهو ـ بحمد الله ـ صحيح المعنى، وقد تضمن نحو عشرين جملة صادقة صحيحة، منطبقة على القرآن العظيم، فهو وصف بديع للقرآن العظيم، وعليه أنوار النبوة، وهذه الأوصاف المتلاحقة تدل على عظيم منزلة القرآن، وفضله، فكلُّ جملة منها تستحق أن يُفرد لها شرح وتعليق، والمقصود منها من حيث الجملة: الوصية بكتاب الله تعالى؛ لأنَّ من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراطٍ مستقيم.

❁ ❁ ❁

ثم قال رحمه الله:

❁ وعن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعًا: **«ما أحلَّ الله في كتابه فهو حلال، وما حرَّم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عافية، فاقبلوا من الله عافيته، فإنَّ الله لم يكن لينسى شيئًا»**، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [مريم: ٦٤]. رواه البزار وابن أبي حاتم والطبراني[2].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ت: سلامة (١/ ٢١).

(٢) البحر الزخار للبزار برقم (٤٠٨٧)، ومسند الشاميين للطبراني برقم (٢٠٦٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٠/ ١٠٧) لابن أبي حاتم، ولم نجد عنده. قال البزار: إسناده صالح، مسند البزار (٢/ ١١١). وقال الهيثمي: رواه البزار والطبراني في الكبير، وإسناده حسن، ورجاله موثوقون (١/ ١٧١).

الشرح

في هذا الحديث منهج في أحكام النوازل؛ فمرد الحلال والحرام إلى كتاب الله، لا إلى آراء الناس وأذواقهم وعاداتهم. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [النحل: ١١٦].

قوله: «**وما سكت عنه فهو عافية**» أي: عفو، لا ينبغي للإنسان أن يُفتش عنه، وأن يفتتح على نفسه وعلى الآخرين بابًا مغلقًا، فإنَّ هذا من التكلُّف، فإنَّ الله تعالى لم يدعه نسيانًا، ولكنه رحمة. ولهذا كان الصحابة يُنهون عن سؤال النبي ﷺ عن أمر لم يأتِ به وحي، فقال لهم ربهم: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]، أي: أنَّ الله تكفَّل بحفظ شرعه، وسيبين لكم ما تحتاجون إليه، فلا تفتتحوا شيئًا من تلقاء أنفسكم، فالتزموا بهذا الأدب؛ ولهذا قال ﷺ: «**إن أعظم المسلمين جرمًا من سأل عن شيء لم يحرم، فحرم من أجل مسألته**»(١).

وأما بعد انقطاع الوحي، واكتمال الشرع، فإنَّه يجب على الإنسان أن يسأل عما خفي عليه، فقد قال الله ﷻ: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل: ٤٣]، وقال النبي ﷺ: «**إنَّما شفاء العي السؤال**»(٢)، ومن الناس من إذا أشكل عليه أمر قال: لا حاجة للسؤال! واستدل بقوله: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]، وهذا استدلال فاسد من تزيين الشيطان، أما وقد أكمل الله الدين، وأتمَّ النعمة، فيجب على الإنسان أن يسأل عما خفي عليه، وأن لا يفتي نفسه بغير علم، أو يستفتي من هو مثله، أو أجهل منه، بل يسأل أهل الذكر.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه برقم (٧٢٨٩)، ومسلم في الفضائل، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله... برقم (٢٣٥٨).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة، باب في المجروح يتيمم برقم (٣٣٦)، وحسنه الألباني.

الصراط هو الإسلام

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ضرب الله مثلًا صراطًا مستقيمًا، وعلى جنبتي الصراط سوران، فيهما أبواب مفتَّحة، وعلى الأبواب ستورٌ مُرخَاة، وعند رأس الصراط داع يقول: استقيموا على الصراط ولا تعوجُّوا، وفوق ذلك داع يدعو كُلما همَّ عبد أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه، فإنَّك إن تفتحه تلجه**». ثم فسره فأخبر: «**أنَّ الصراط هو الإسلام، وأنَّ الأبواب المفتَّحة محارم الله، وأنَّ الستور المُرخَاة حدود الله، وأنَّ الداعي على رأس الصراط هو القرآن، وأنَّ الداعي من فوقه هو واعظ الله في قلب كلِّ مؤمن**»، رواه رزين[(١)]، ورواه أحمد والترمذي عن النواس بن سمعان بنحوه[(٢)].

(١) رزين: هو أبو الحسن رزين بن معاوية بن عمار العبدري الأندلسي السرقسطي، جاور بمكة أعوامًا، وحدث بها عن أبي مكتوم، وعيسى بن أبي ذر الهروي، وغيره. ذكره السلفي، وقال: شيخ عالم، ولكنه نازل الإسناد، له تصانيف منها: كتاب (تجريد الأصول) جمع فيه ما في الصحاح الخمسة، والموطأ، وكتاب في أخبار مكة، وقال ابن بشكوال: كان رجلًا صالحًا، فاضلًا عالمًا بالحديث وغيره، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ بمكة سنة خمس وثلاثين وخمسمائة. ينظر: شذرات الذهب (٤/ ١٠٦). وأثره هذا قال ابن الأثير في جامع الأصول (١/ ٢٧٥): «وهذا حديثٌ وجدتُهُ في كتاب رزين بن معاوية، ولم أجده في الأصول»، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٧١): «ذكره رزين، ولم أره في أصوله، إنما رواه أحمد، والبزار مختصرًا، بغير هذا اللفظ، بإسناد حسن».

(٢) أخرجه الترمذي، ت: شاكر في أبواب الأمثال، باب ما جاء في مثل الله لعباده برقم =

الشرح

ضرب الأمثال أسلوب قرآني، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، وأسلوب نبوي، فكثيرًا ما يضرب النبي ﷺ الأمثال؛ لأنَّ في ضرب الأمثال تقريب للأمور المعنوية بالأمور الحسية، فيكون أدعى للفهم والتصور.

قوله: «**ضرب الله مثلًا صراطًا مستقيمًا**» والصراط هو الطريق المعتدل الواضح.

قوله: «**وعلى جنبتي الصراط سوران**» أي: حائطان يحيطان به. وفي لفظ: «**وعلى كَنَفي الصراط زوران**» أي: جداران.

قوله: «**وعند رأس الصراط**» أي: عند مدخله.

قوله: «**وفوق ذلك**» أي: فوق الصراط، أو فوق الداعي الأول.

وقد فسر النبي ﷺ بأنَّ ذلك الصراط: هو الإسلام، وأنَّ الأبواب المفتحة: محارم الله؛ من الشبهات والشهوات، وأنَّ الستور المرخاة: حدود الله التي من تعدَّاها وتجاوزها وتقحَّمها فقد وقع في محارم الله، والداعي على رأس الصراط: هو القرآن؛ لأنَّ القرآن يأمر وينهى، فيه الحلال والحرام، والداعي الذي فوق رأس الصراط: هو واعظ الله في قلب كل مؤمن، أي: الضمير والخبيئة الإيمانية، ولمة الملك في القلب. ولهذا جاء في الحديث: «**من سرته حسنته، وساءته سيئته، فهو مؤمن**»(١)، وإلا: فما لجرحٍ بميتٍ إيلام(٢)

فوائد الحديث:

١ ـ التعليم بضرب الأمثال.

= (٢٨٥٩)، وأحمد، ط. الرسالة برقم (١٧٦٣٤)، وصححه الألباني.

(١) أخرجه أحمد، ط. الرسالة برقم (١١٤)، وقال محققو المسند: «إسناده صحيح».

(٢) هذا عجز بيت للمتنبي، وصدره: من يهنْ يسهل الهوانُ عليهِ. ديوان أبي الطيب المتنبي (ص٢٣٢).

٢ ـ تفسير الصراط المستقيم بالإسلام.

٣ ـ أن محارم الله تكتنف صراطه المستقيم، فالحيدة عنه وقوع فيها.

٤ ـ أن بين العبد وبين حرمات الله ستر، وهو التقوى والفطرة، فإن كشفه بيده، وتعداه، وقع فيها.

٥ ـ وجوب الاستقامة، وتجنب الاعوجاج ومقدماته.

٦ ـ وجوب طاعة داعي الله وهو القرآن.

التحذير من الذين يتبعون ما تشابه من القرآن

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ فقرأ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾ [آل عمران: ٧]، قالت عائشة: قال: «**فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمّى الله، فاحذروهم**»(١)، متفق عليه.

الشرح

قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ هذا امتنان من الله بتنزيل القرآن على نبيه.

قوله: ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾ أي: واضحات الدلالة، لا يختلف عليها اثنان. كقوله: ﴿أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، وقوله: ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ﴾ [آل عمران: ٩٧]، والأصول التي يرجع إليها عند الاشتباه.

قوله: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أي: هنَّ أكثر القرآن، لا يلتبس معناها على أحد.

قوله: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾ أي: حمّالات أوجه، يمكن أن يفهم منها بعض الناس فهمًا، ويفهم آخرون فهمًا غيره. قال ابن كثير: (أَيْ: تَحْتَمِلُ دَلَالَتُهَا مُوَافَقَةَ الْمُحكَمِ، وَقَدْ تَحْتَمِلُ شَيْئًا آخَرَ مِنْ حَيْثُ اللَّفْظِ وَالتَّرْكِيبِ، لَا مِنْ حَيْثُ

(١) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾ برقم (٤٥٤٧)، ومسلم في كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن برقم (٢٦٦٥).

الْمُرَادِ. وتشابهها تشابه نسبي، أي: أنَّها تشتبه على قومٍ دون قوم، فهنَّ لسن واضحات الدلالة لكل أحدٍ وضوح المحكمات)[١].

مثال ذلك، قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨﴾ [التكوير: ٢٨]، فيظن ظانٌّ أن العبد مخيَّر، مستقل بمشيئته، ويخلق فعل نفسه، وينكر القدر السابق! وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾ [التكوير: ٢٩]، فيظن ظانٌّ أنَّ العبد مسيَّر، مجبور على فعله، لا إرادة له ولا فعل ولا اختيار. فيقع الاشتباه، لمن لم يُهتدِ إلى الجمع بين الآيات، فهذا اشتباه نسبي، يقع لبعض الناس دون بعض.

قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾ أي: يسلكون إحدى هذه الطرق الخاطئة، ويتعلقون بمعنى باطل، يحملون المتشابهات عليها. قال ابن كثير: (أيْ: إِنَّمَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ بِالْمُتَشَابِهِ الَّذِي يُمْكِنُهُمْ أَنْ يُحَرِّفُوهُ إِلَى مَقَاصِدِهِمُ الْفَاسِدَةِ، وَيُنْزِلُوهُ عَلَيْهَا، لِاحْتِمَالِ لَفْظِهِ لِمَا يَصْرِفُونَهُ، فَأَمَّا الْمُحْكَمُ فَلَا نَصِيبَ لَهُمْ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ دَامِغٌ لَهُمْ وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ)[٢].

قوله: ﴿ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ﴾ أي: إضلال أتباعهم بالتظاهر بالاستدلال بالقرآن، وهم يحرِّفونه عن مواضعه.

قوله: ﴿وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ﴾ أي: طلبًا لحقيقته وكنهه الذي يؤول إليها في الواقع؛ ككيفية ما أخبر الله به عن نفسه، وعن اليوم الآخر.

قوله: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ أي: لا يعلم حقيقة ما عليه في الواقع إلا الله. وعلى هذا قراءة الوقف عند الجمهور.

قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ الذين تجذر العلم والإيمان في قلوبهم.

قوله: ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾ فيردون المتشابه إلى المحكم، ويزول عنهم الاشتباه. فثمَّ سبيلان: سبيل الزائغين، وسبيل الراسخين، فسبيل الزائغين اتباع المتشابه، وسبيل الراسخين

(١) تفسير القرآن العظيم، ت: سلامة (٢/ ٧).
(٢) تفسير ابن كثير، ت: سلامة (٢/ ٨).

ردُّ المتشابه إلى المحكم، فيعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه.

قوله: «فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمّى الله فاحذروهم» أي: سماهم الله بالزائغين. فتبيَّن بهذا أنَّ الواجب علينا أن نؤمن بالقرآن كله، محكمه ومتشابهه، ونطلب توضيح المتشابه بسؤال أهل الذكر، ونردَّ المتشابه إلى المحكم، فيرتفع التشابه، ولو قُدِّر أنَّ التشابه بقي عند الإنسان، فعليه أن يعتصم بالمحكم، ويقول: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾.

فوائد الآية والحديث:

١ ـ أن القرآن كلام الله، منزل غير مخلوق.

٢ ـ أن عامة آي الكتاب واضحات الدلالة، لا تلتبس على قارئها.

٣ ـ أن في القرآن آيات متشابهات الدلالة على من جهلها.

٤ ـ أن طريقة الزائغين اتباع المتشابه والاستدلال به على باطلهم.

٥ ـ أن قصد الزائغين أمران: الإضلال، واستكناه ما لا سبيل للعلم بكيفيته، كالصفات والمعاد.

٦ ـ اختصاص الله تعالى بعلم الحقائق والكيفيات.

٧ ـ أن طريقة الراسخين الإيمان بالكتاب كله، ورد المتشابه إلى المحكم، والاعتصام به.

٨ ـ أن المنتفع بالذكرى هم أصحاب العقول الراجحة.

٩ ـ الحذر والتحذير من الزائغين، أهل الأهواء والبدع.

١٠ ـ وجوب الاعتصام بكتاب الله، والوصية به.

التحذير من اتباع سبل الشيطان

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: خط لَّنا رسول الله ﷺ خطًّا بيده، ثم قال: «**هذا سبيل الله**» ثم خطَّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله، وقال: «**هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**» وقرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣]. رواه أحمد والدارمي والنسائي[(١)].

الشرح

هذا مثال آخر رواه ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من طرائق تعليم النبي ﷺ وهو ما يسمّى في لغة العصر بوسائل الإيضاح.

قوله: «**هذا سبيل الله**» غالبًا ما يرِد «السبيل» و«الصراط» في الكتاب والسنة مضافًا إلى الله بصيغة الإفراد، كقوله تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي﴾ [الأنعام: ١٥٣]، ليدل على أن السبيل واحد، وأن الصراط واحد، لا يتعدد. وأما الجمع في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، فالمقصود به المشاكلة بين المضاف والمضاف إليه، أو باعتبار خصال الإيمان المتعددة. قال ابن كثير: (إِنَّمَا وَحَّدَ سُبْحَانَهُ

---

(١) أخرجه أحمد، ط. الرسالة برقم (٤٤٣٧)، وقال محققو المسند: «إسناده حسن من أجل عاصم»، والنسائي في السنن الكبرى في سورة الأنعام، قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا﴾ برقم (١١١٠٩)، والدارمي في المقدمة، باب في كراهية أخذ الرأي برقم (٢٠٨).

سَبيله لِأَنَّ الْحَقَّ وَاحِدٌ؛ وَلِهَذَا جَمعَ السُّبلَ لِتَفَرُّقِهَا وَتَشَعُّبِهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة: ٢٥٧]»[1].

قوله: «**هذه سبل، على كل سبيلٍ منها شيطان يدعو إليه**» طرق الغواية تأتي بصيغة الجمع «سبل» لأنها متعددة من أنواع الشبهات والشهوات والغفلات. والشيطان يمكن أن يكون من شياطين الإنس أو الجن. قال تعالى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾ [الأنعام: ١١٢].

قوله: ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ اتباع سبل الضلال مدعاة للحيدة عن سبيل الله، فالواجب على كل مؤمن أن يعتصم بالكتاب والسنة، وأن ينأى بنفسه عن سبل الزائغين من أهل الأهواء والبدع والشهوات والشبهات حتى يعصمه الله ﷻ. وأن سبيل جمع الكلمة بين المختلفين إنما يكون بالرد إلى كتاب الله ولزوم سبيله. وبذلك يتبين تهافت دعاوى الخلط بين سبيل الله وسبل الضالين، كقول بعضهم: (الديموقراطية الإسلامية) أو (الليبرالية الإسلامية) أو (الفلسفة الإسلامية)، ونحو هذ التراكيب الملفقة المُحدَثة.

قوله: ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ أي: ما تقدم من أوامر وعظات، فإنها سبيل التقوى.

فوائد الآية والحديث:

١ ـ التفنن في طرائق التعليم ووسائل الإيضاح، فالوسائل لها أحكام المقاصد.

٢ ـ أن سبيل الحق واحد، وسبل الغواية متعددة.

(١) تفسير القرآن العظيم، ت: سلامة (٣/ ٣٦٧).

٣ ـ أن اتباع السبل المنحرفة سبب لتفرق الأمة، ولزوم سبيل الله سبب وحدتها واجتماعها.

٤ ـ أن دعاة المذاهب الباطلة والأهواء، والبدع شياطين.

٥ ـ وجوب اتباع سبيل الله، والوصية به لحصول الوقاية من عذابه.

التحذير من اتباع غير الرسول ﷺ

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان ناس من أصحاب النبي ﷺ يكتبون من التوراة، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «**إنَّ أحمق الحمق، وأضل الضلالة، قوم رغبوا عما جاء به نبيهم إليهم إلى نبي غير نبيهم، وإلى أمة غير أمتهم**» ثم أنزل الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت: ٥١][(١)].

الشرح

ربما تعلّق بعض الناس بما في أيدي أهل الكتاب من مرويات يسميها أهل الإسلام «الإسرائيليات»، ولا ريب أن ذلك من أحمق الحُمق، وأضل الضلالة، أن يرغبوا عما جاء به نبيهم غضًّا، طريًّا، موثقًا، صحيحًا، محفوظًا، مصونًا، إلى مصادر محرفة، مشوبة، ويتشاغلوا بها عما أنزل الله إليهم. ويدل على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت: ٥١]، ففي القرآن العظيم كفاية وغنية وشفاء لما في الصدور، فلا يُلتفت إلى غيره. وعَنْ أَبِي نَمْلَةَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إذَا**

---

(١) معجم الإسماعيلي برقم (٣٨٤)، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (١٢/ ٧٨٧): «ضعيف جدًّا، أخرجه الإسماعيلي في المعجم (١/ ١٢٨)، والخطيب في الموضح (٢/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣)، وعزاه في الدر المنثور إلى ابن مردويه، والديلمي في الفردوس.

حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ، فلَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: آمَنَّا باللهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، فَإِنْ كَانَ حَقًّا لَمْ تُكَذِّبُوهُمْ، وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا لَمْ تُصَدِّقُوهُمْ»[(١)].

❁ ❁ ❁

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

❁ وعن عبد الله بن ثابت بن الحارث الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دخل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على النبي ﷺ بكتابٍ فيه مواضع من التوراة، فقال: هذه أصبتها مع رجل من أهل الكتاب، أعرضها عليك، فتغير وجه رسول الله ﷺ تغيرًا شديدًا لم أرَ مثله قط، فقال عبد الله بن الحارث لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أما ترى وجه رسول الله ﷺ؟! فقال عمر: رضينا بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا، فسُرِّي عن رسول الله ﷺ وقال: «**لو نزل موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم، أنا حظكم من النبيين، وأنتم حظي من الأمم**»، رواه عبد الرزاق وابن سعد والحاكم في (الكنى)[(٢)].

الشرح

هذه القصة رُويت بطرق متعددة، وهي صحيحة بشواهدها[(٣)]. فعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يعجبه أن يسمع الشيء من اليهود، يوافق ما جاء به القرآن، فطلب من يهودي أن يكتب له شيئًا في صحيفة، وكان عمر قارئًا، فأتى النبي ﷺ فجعل

---

(١) أخرجه أحمد برقم (١٧٢٦٤)، وأبو داود برقم (٣٦٤٤)، وابن حبان برقم (٦٢٥٧)، انظر السلسلة الصحيحة: (٢٨٠٠).

(٢) أخرجه أحمد، ط. الرسالة برقم (١٥٨٦٤)، وقال محققو المسند: «إسناده ضعيف»، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه برقم (١٠١٦٤)، وابن سعد في الطبقات الكبير (٥٥٥٩)، ولم نجده في كتاب الأسامي والكنى للحاكم، كما أشار المصنف. وقال الهيثمي: رواه أحمد، والطبراني، ورجاله رجال الصحيح، إلا إن فيه جابر الجعفي، وهو ضعيف. مجمع الزوائد (١/ ١٧٣).

(٣) انظر: إرواء الغليل للألباني (١٥٨٩).

يقرأ ما استنسخ من التوراة، ولم يشعر بتغيظ النبي ﷺ وتغير وجهه الشريف من شدة الغضب، فنبهه عبد الله بن الحارث، ففزع، واستعتب، فسرِّي عنه ﷺ ما يجد، وبين لهم لزوم اتباعه، وأن موسى عليه السلام، لو كان حيًّا للزمه اتباعه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: ٨١].

وجاء في رواية: «**والذي نفس محمدٍ بيده، لو بدا لكم موسى فاتبعتموه وتركتموني، لضللتم عن سواء السبيل، ولو كان حيًّا وأدرك نبوتي، لاتبعني**»(١).

فوائد الحديث:

١ ـ النكير البليغ على من طلب علوم الدين من كتب أهل الكتاب، فكيف بمن طلبها في الفلسفة.

٢ ـ أن الإنكار القلبي الصادق يظهر أثره في الوجه.

٣ ـ المسارعة للتوبة والاعتذار لمن وقع منه ما يوجب ذلك.

٤ ـ وجوب اتباع النبي الخاتم، والكتاب المهيمن.

٥ ـ أن العصمة في كتاب الله، والضلال بتركه.

---

(١) أخرجه الدارمي برقم (٤٤٩)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٦٨) (١٩٤).

باب

حقوق النبي ﷺ

قال المصنف رحمه الله:

❁ باب: حقوق النبي ﷺ:

❁ وقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ الآية [النساء: ٥٩].

❁ وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ۝٥٦﴾ [النور: ٥٦].

❁ وقول الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ الآية [الحشر: ٧].

الشرح

هذا الباب السابع عقده المصنف إشارةً إلى الأصل الرابع من أصول الإيمان، وهو الإيمان بالرسل، كما قال تعالى: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]. ولا يتم الإيمان بالرسل إلا بتحقيق أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن رسالتهم من عند الله: فقد اصطفاهم الله واختارهم لتبليغ رسالاته عن علم وحكمة، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحج: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، ولما قال المشركون: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ۝٣١﴾ [الزخرف: ٣١]، يريدون عتبة بن ربيعة من مكة، أو

عروة بن مسعود الثقفي من الطائف، قال الله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ﴾ [الزخرف: ٣٢].

فالنبوة لا تنال بالكسب والرياضة والمجاهدة، كما يدعي ذلك زنادقة الصوفية، حتى لما أعياهم بلوغها ابتدعوا دعوى «الولاية»، وقال قائلهم:

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي

كما لا تنال باجتماع القوى القدسية، والتخيلية، والتأثيرية، كما يدعي ذلك الفلاسفة، كابن سينا؛ بل هي محض فضل الله واصطفائه لمن شاء من صالحي خلقه، بعلمه وحكمته.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه، ومن لم نعلم اسمه نؤمن به إجمالًا: فرسل الله جَمٌّ غفير، حتى قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [فاطر: ٢٤]، وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ﴾ [النحل: ٣٦]، لكننا لا نعلم إلا من قصَّ الله علينا منهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ﴾ [غافر: ٧٨]. وجاء في بعض الأحاديث أنَّ عدَّة الرسل ثلاثمائة وبضعة عشر، وأنَّ عدَّة الأنبياء مِائَةُ ألفٍ وأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ ألفًا، الرُّسُلُ من ذلك ثَلاثُمائةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا[(١)].

والمقصوصون في كتاب الله خمسة وعشرون نبيًّا رسولًا، ذكر الله منهم ثمانية عشر نبيًّا على نسق واحدٍ في سورة الأنعام، في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: ٨٣ ـ ٨٦]، وذكر بقيتهم السبعة مفرقين، وهم: آدم، قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه:

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم (٧٨٧١).

١١٥] وإدريس، قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾﴾ [مريم: ٥٦] وهود، قال الله ﷻ: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾﴾ [الشعراء: ١٢٣ ـ ١٢٥] وصالح، قال الله ﷻ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [الشعراء: ١٤١ ـ ١٤٣] وشُعَيب، قال الله ﷻ: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [الشعراء: ١٧٦ ـ ١٧٨] وذو الكفل، قال الله ﷻ: ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾ [ص: ٤٨] ومحمد ﷺ، قال الله ﷻ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وجاء في السنة ذكر يوشع أو يشوع من أنبياء بني إسرائيل. وأما ما يذكره بنو إسرائيل من أنبياء فربما كان ذلك صدقًا، وربما كان كذبًا؛ لأنَّ الواجب علينا فيما يذكرونه في كتبهم أن نسلك فيها مسلكًا ثلاثيًّا: فما شهد كتابنا بصدقه قبلناه وما شهد كتابنا بكذبه رددناه، وما لم يأتِ في كتابنا ما يصدِّقه ولا يكذِّبه، فإننا لا نصدِّقه ولا نكذِّبه، ونقول: ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [العنكبوت: ٤٦] لكن يجوز التحديث به؛ لقول النبي ﷺ: «**وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**»(١).

فمن أمثلة **النوع الأول**: وهو ما شهد كتابنا بصدقه: ما نجده في كتبهم من ذكر خلق آدم وحواء، وذكر الطوفان، وذكر إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإلقائه في النار، وذكر يعقوب وبنيه، ونزولهم أرض مصر، وذكر موسى وخروجه ببني إسرائيل من أرض مصر، وانشقاق البحر، إلى آخره، فهذا مما شهد له كتابنا من حيث الجملة، دون ما يحتف به من زيادات وتفاصيل، وكذلك ما يوجد في الإنجيل من ذكر إبراء عيسى للأبرص والأكمه، وإحياء الموتى.

ومن أمثلة **النوع الثاني**: وهو ما شهد كتابنا بكذبه: ما يوجد في كتب

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل برقم (٣٤٦١).

اليهود من أنَّ الله تعالى ندم على إغراق بني آدم، وبكى حتى رمدت عيناه، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا، وزعمهم أنَّ لوطًا عليه السلام شرب الخمر، وزنى بابنتيه، وزعمهم أنَّ سليمان عبد الأصنام، وما يوجد في الإنجيل من زعمهم بأنَّ عيسى هو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة، فهذا مما كَذِبُوا فيه، وكتبوه بأيديهم.

ومن أمثلة **النوع الثالث:** وهو ما لم يشهد كتابنا بصدقه ولا كذبه أسماء الرسل الثلاثة الذين بُعثوا إلى القرية في سورة يس، واسم الكلب الذي تبع الفتية ولونه، مما لا ثمرة تحته، ولا طائل وراءه، وليس فيه كبير فائدة، والجهل بأسمائهم لا يضر، ولكن ما كان في عظة وعبرة، ولا يخالف شيئًا مما في كتابنا، فإنَّه تجوز روايته؛ لقول النبي ﷺ: «**وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**».

الثالث: تصديق ما صحَّ من أخبارهم: ولا يوجد سند متصل موثوق إلى نبيٍّ من الأنبياء، إلا ما كان إلى نبينا ﷺ، أو أخبر به النبي ﷺ عن الأنبياء السابقين، كقوله: «**إنَّ مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»[(١)].

الرابع: العمل بشريعة من أُرسل إلينا منهم: وهو محمد ﷺ، فلا يحلُّ التحاكم إلى غير شريعته، من أديان سابقة، أو قوانين وضعية. قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

ولنبينا ﷺ حقوق خاصة بعد الإيمان به، أعظمها: طاعته. فإنَّ طاعته هي مقتضى شهادة أنَّ محمدًا رسول الله، فمعنى شهادة أنَّ محمدًا رسول الله: تصديقه فيما أخبره، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع.

فدلت الآية الأولى على أن طاعته أصل مستقل، كطاعة الله، قال الله

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار برقم (٣٤٨٤).

تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء: ٨٠]، وقال ﷺ: «**من أطاعني فقد أطاع الله**»[(١)]

ودلت الآية الثانية على أن طاعته سبب لرحمة الله. ودلت الآية الثالثة على وجوب امتثال أمره، واجتناب نهيه، واتباعه، كما قال آمرًا نبيه: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ولهذا لا نغتر بالقصص التي نسمعها من بعض المتحدثين عما يسمى «الإعجاز العلمي»: أنَّ عالمًا سمع كذا وكذا، فقال: هذا دليل على أنَّه نبيٌّ حقًّا، فلا يكون مؤمنًا حتى يتبعه، ولا يكفي الإقرار باللسان فقط. ولهذا كانت الشهادتان ركنًا واحدًا، مع أن المشهود به اثنان، لأنَّ إحداهما مكملة للأخرى، شهادة أن لا إله إلا الله تدلُّ على التوحيد، وشهادة أنَّ محمدًا رسول الله تدلُّ على المتابعة.

فوائد الآيات:

١ ـ وجوب طاعة الله ورسوله تأسيسًا وتأصيلًا، وطاعة ولاة الأمر تبعًا.

٢ ـ أن إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الرسول سبب لحصول الرحمة للعباد.

٣ ـ الرد على طائفة (القرآنيين) الزنادقة، الذين يزعمون الاستغناء بالقرآن عن السنة، ويردونها.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ برقم (٧١٣٧)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية برقم (١٨٣٥).

وجوب قتال من لم يؤمن بالرسول ﷺ وبما جاء به

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

۞ وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي، وبما جئتُ به، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله** عَزَّوَجَلَّ»[١]. رواه مسلم.

الشرح

قوله: «**أُمرتُ أن أقاتل الناس**» أي: الكفار والمشركين وأهل الكتاب.

قوله: «**حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله**» اكتفى بإحدى الشهادتين عن الأخرى لتلازمهما، أو لعطف قوله: «**ويؤمنوا بي، وبما جئت به**» عليها. والذي جاء به هو القرآن.

قوله: «**فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم**» جملة شرطية. فعصمة الدم والمال موقوفة على الإيمان به، وبما جاء به.

قوله: «**إلا بحقها**» جاء في بعض الروايات: قيل: وما حَقُّها؟ قال: «**زِنىً بعد إحصانٍ، وكفرٌ بعد إيمانٍ، وقتلُ نفسٍ، فيُقتل بها**»[٢]. وقيل: إن ذلك من قولِ أنس. ويشهدُ لهذا المعنى ما في الصحيحين عن ابن مسعود، عنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «**لا يَحِلُّ دمُ امرئٍ مُسلم يَشْهَدُ أنْ لا إله إلا الله، وأني رسولُ الله**

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله برقم (٢١).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٢٢١).

إلّا بإحدى ثلاثٍ: الثَّيِّبِ الزَّاني، والنفسِ بالنفسِ، والتَّارِكِ لدينه المفارق للجماعة»(١)

قوله: «وحسابهم على الله ﷻ» أي: أقبلُ ظاهرهم واستعلانهم بالشهادتين، وأكِلُ سرائرهم إلى الله تعالى.

۞ فوائد الحديث:

١ ـ مشروعية الجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا.

٢ ـ أن الإسلام يثبت بإعلان الشهادة، وترك ما يناقضها.

٣ ـ أن الإيمان بالرسول، وما جاء به من القرآن شرط في عقد الإسلام.

٤ ـ أن الإسلام يحقن الدم والمال.

٥ ـ أن الإخلال بحق الشهادة وموجبها يحل الدم أو المال.

٦ ـ أن معاملة الناس حسب الظاهر، وأما الباطن فحكمه إلى الله.

۞ ۞ ۞

---

(١) أخرجه البخاري في باب قول الله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ برقم (٦٨٧٨)، ومسلم في باب ما يباح به دم المسلم برقم (١٦٧٦).

أين تجد حلاوة الإيمان؟

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهما: عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثٌ من كنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار**»(١).

ولهما: عنه مرفوعًا: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»(٢).

الشرح

دل هذان الحديثان على أنَّ من حقوق النبي ﷺ محبته محبةً خاصة.

قوله: «**ثلاث من كنَّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان**» للإيمان حلاوة حقيقية، وَجْدية، لا كحلاوة السكر، لكنها حلاوة حقيقية يجد طعمها في قلبه، تحصل لمن جمع هذه الخصال الثلاث:

الأولى: محبة الله ورسوله محبةً تفوق جميع المحاب. بل يجب أن تكون محبته مقدَّمة على هوى النفس لقوله: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في باب حلاوة الإيمان برقم (١٦)، ومسلم في باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان برقم (٤٣).

(٢) أخرجه البخاري في باب حب الرسول ﷺ من الإيمان برقم (١٥)، مسلم في باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد برقم (٤٤).

(٣) السنة لابن أبي عاصم برقم (١٥)، وانظر: الأربعون النووية (ص١١٣)، والإبانة =

الثانية: المحبة في الله؛ فلا يحب غير الله لماله، ولا جماله، ولا لغرضٍ دنيوي، وإنَّما يحبه لطاعته لله.

الثالثة: كراهية العود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار.

قوله: «**لا يؤمن أحدكم**» الإيمان الواجب.

قوله: «**حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**» فلو تعارضت هذه المحاب مع محبة النبي ﷺ قدَّم محبة النبي ﷺ. ولما سمع عمر رضي الله عنه هذا الحديث، قال: يا رسول الله، والله لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال ﷺ: «**لا، والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك**». فتأمل عمر رضي الله عنه فضل رسالته ونبوته، فقال: فإنه الآن، والله، لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي ﷺ: «**الآن يا عمر**»(١).

۞ فوائد الحديث:

١ ـ إثبات حلاوة الإيمان، وأسبابها.

٢ ـ أن «محبة الله» أساس العبودية.

٣ ـ فضيلة الحب في الله.

٤ ـ بشاشة الإيمان وبهجته التي تضاهي ألم الوقوع في النار.

٥ ـ وجوب محبة النبي ﷺ محبة تفوق محبة الولد والوالد والناس أجمعين.

۞ ۞ ۞

= الكبرى لابن بطة برقم (٢٧٩)، وشرح السنة للبغوي (١/ ٩٨).

(١) أخرجه البخاري في باب كيف كانت يمين النبي ﷺ برقم (٦٦٣٢).

الرد على من اكتفى بالقرآن عن السنة

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعن المقدام بن معدي كرب الكندي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**يوشك الرجل متكئًا على أَرِيكَتِهِ يُحدَّث بحديثٍ من حديثي، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، فما وجدنا فيه من حلالٍ استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وإنَّ ما حرَّم رسول الله ﷺ مثل ما حرَّم الله**»، رواه الترمذي وابن ماجه(١).

الشرح

قوله: «**يوشك**» أي: يقرُب، وقد وقع ما أخبر عنه النبي ﷺ، وجرى ذلك في مجلس عمران بن الحصين، كما في حديث الْحَسَن، قَالَ: بَيْنَمَا عِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ يُحَدِّثُ عَنْ نَبِيِّنَا ﷺ إِذْ قَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا نُجَيْدٍ حَدِّثْنَا بِالْقُرْآنِ، فَقَالَ لَهُ عِمْرَانُ: «أَرَأَيْتَ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ تَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، أَكُنْتُمْ مُحَدِّثِي كَم الزَّكَاةُ فِي الذَّهَبِ، وَالْإِبِلِ، وَالْبَقَرِ، وَأَصْنَافِ الْمَالِ، وَلَوْ شَهِدْتَ وَغِبْتَ أَنْتُمْ؟» ثُمَّ قَالَ: «فَرَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الزَّكَاةِ كَذَا وَكَذَا» فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا أَبَا نُجَيْدٍ أَحْيَيْتَنِي أَحْيَاكَ اللهُ، ثُمَّ قَالَ الْحَسَنُ: «فَمَا مَاتَ ذَلِكَ الرَّجُلُ حَتَّى كَانَ مِنْ فُقَهَاءِ الْمُسْلِمِينَ»(٢).

---

(١) أخرجه ابن ماجه في باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ، والتغليظ على من عارضه برقم (١٢)، والترمذي، ت: شاكر في باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ برقم (٢٦٦٤)، وصححه الألباني.

(٢) المعجم الكبير للطبراني (١٨/ ١٦٥).

وقد تجدد إنكار السنة، والتشكيك في ثبوتها والاحتجاج بها، في الأزمنة الأخيرة على يد بعض الزنادقة، الذين يسمون أنفسهم «القرآنيين»، يزعمون أنَّهم يعملون بالقرآن، ولا يلتفتون إلى السنة، ظهروا في شبه القارة الهندية، ووُجدوا في بعض البلاد العربية، كما أخبر النبي ﷺ.

قوله: «**متكئًا على أريكته**» أي: يدل على عدم المبالاة والاكتراث، فيلقي الكلام على عواهنه، دون أن يتكلف طلب العلم، فهو من أهل الترفه والتنعم.

قوله: «**يُحدَّث بحديث من حديثي، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله**» مراده التهوين من شأن الحديث، لا تعظيم كتاب الله، وإلا فإن كتاب الله ناطق بالأمر بلزوم الأخذ بما جاء به الرسول.

فِي زُخْرُفِ القَوْلِ تَرْجِيْحٌ لِقَائِلِهِ ... وَالحَقُّ قَدْ يَعْتَرِيْهِ بَعْضُ تَغْيِيْرِ
تَقُوْلُ هَذَا مُجَاجُ النَّحْلِ تَمْدَحُهُ ... وَإِنْ تَعِبْ قُلْتَ ذَا قَيْءُ الزَّنَابِيْرِ
مَدْحًا وَذَمًّا وما جَاوَزْتَ وَصْفَهُمَا ... سِحْرُ البَيَانِ يُرِي الظَّلْمَاءَ كَالنَّوْرِ(١)

قوله: «**ألا وإنَّ ما حرَّم رسول الله مثل ما حرَّم الله**» وفي الحديث: «**ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه**»(٢)، فالسنة تفسِّر القرآن، وتدل عليه، وتُعبِّر عنه، وتُقيِّد مطلقه، وتُخصِّص عامه، وتبيِّن مجمله، فالقرآن والسنة يكمِّل بعضهما بعضًا، ولا يمكن أن يُستغنى بالقرآن عن السنة، كيف وقد قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]، فأين يذهب هؤلاء المنكرون للسنة، الزاعمون الاكتفاء بالقرآن وهو يأمرهم باتباعه بقوله: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقوله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] وغيرها من الآيات. فلا شك أنَّ السنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع، وليس المقصود بالثاني أنَّها دونه في الدلالة، ولكن هذا من

(١) ديوان ابن الرومي (٢/ ١٦٩).
(٢) أخرجه أحمد، ط. الرسالة برقم (١٧١٧٤)، وقال محقق المسند: «إسناده صحيح».

باب الترتيب، فإذا صحَّ الحديث عن رسول الله ﷺ فهو والقرآن على درجة واحدة في الاحتجاج.

فوائد الحديث:

١ ـ علامة من علامات النبوة.

٢ ـ أن الترف والدعة مدعاة للمقالات البائرة.

٣ ـ أن من الحق ما يراد به باطل.

٤ ـ أن السنة الصحيحة كالقرآن في الاحتجاج.

٥ ـ الرد على طائفة (القرآنيين) منكري السنة.

باب

تحريضه ﷺ على لزوم السنة

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ الآية [الأنعام: ١٥٩].

وقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

الشرح

هذه الآيات الثلاث فيها تحريض على لزوم السنة، والتحريض: هو الحثُّ والتهييج على فعل الشيء.

الأولى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ فالموفق للتأسي من جمع هذه الأوصاف الثلاثة: رجاء لقاء الله، ورجاء ثواب اليوم الآخر، وكثرة ذكر الله. فإنَّه يخفُّ إلى اتباع السنة، ويهون عليه الالتزام بها ولزومها.

الآية الثانية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ أي: فرَّقوا دينهم فاتبعوا غير السنة، فإن ذلك سبب للفرقة، كما تقدم في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

الآية الثالثة: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ﴾ وهو الدين بالمعنى العام الذي هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك. فقد وصى الله تعالى بإقامة الدين، وعدم التفرُّق فيه، وذلك بلزوم ما شرع الله لنبيه ﷺ والأنبياء قبله.

فوائد الآيات:

١ ـ وجوب التأسي بالنبي ﷺ واستحسان ذلك.

٢ ـ أن صدق التأسي يحصل بقوة الرجاء وكثرة الذكر.

٣ ـ ذم التفرق، وأنه سبب العدول عن اتباع الرسول

٤ ـ أن دين الأنبياء واحد، تجب إقامته، ويحرم التفرق فيه.

الوصية بسنة الرسول ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين والتحذير من البدع

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

❁ وعن العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً بليغة، ذرفت منها العيون، وَوَجِلَت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، كأنَّ هذه موعظة مودع فما تعهده إلينا؟ فقال: **«أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن كان عبدًا حبشيًّا، فإنَّه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديِّين من بعدي، تمسكوا بها، وعضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومُحدِثات الأمور، فإنَّ كل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة»**، رواه أبو داود، والترمذي وصححه، وابن ماجه[(١)].

❁ وفي رواية له: **«لقد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا...»**[(٢)] إلى آخر الحديث. ثم ذكره بمعناه.

الشرح

(١) أخرجه أبو داود في باب في لزوم السنة برقم (٤٦٠٧)، وابن ماجه في باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين برقم (٤٢)، والترمذي، ت: شاكر في باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع برقم (٢٦٧٦)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه ابن ماجه في باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين برقم (٤٢)، وصححه الألباني.

هذه موعظة نبوية بليغة. والنبي ﷺ أبلغ واعظ! فيا حبذا هذه المواعظ!
ومن خير من شرح هذا الحديث وجلى معانيه الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في «جامع العلوم والحكم».

قوله: «موعظة بليغة»: قال ابن رجب: (الْبَلَاغَةُ: هِيَ التَّوَصُّلُ إِلَى إِفْهَامِ الْمَعَانِي الْمَقْصُودَةِ، وَإِيصَالُهَا إِلَى قُلُوبِ السَّامِعِينَ بِأَحْسَنِ صُورَةٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ الدَّالَّةِ عَلَيْهَا، وَأَفْصَحِهَا وَأَحْلَاهَا لِلْأَسْمَاعِ، وَأَوْقَعِهَا فِي الْقُلُوبِ)(١)، فبلغت سويداء قلوبهم، وأثّرت فيهم، حتى ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، وهذا تأثر إيماني يعتري خُلَّص المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]، [الحج: ٣٥]، وقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣]. فلما وجدوا ذلك شعروا أنَّها موعظة مودِّع.

قوله: «فما تعهده إلينا؟» وفي لفظ: «**فأوصنا**»، طلبوا وصيةً جامعةً كافيةً موعبة.

قوله: «أوصيكم بتقوى الله» هذه أعظم وصية، وهي وصية الله للأولين والآخرين، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]، وكان النبي ﷺ يوصي بها أصحابه، كما قال لأبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**»(٢).

قوله: «والسمع والطاعة» أي: لمن ولاه الله عليكم، فلا تختلفوا على أمرائكم، ولا تنابذوهم، ولا تخرجوا عليهم؛ لما يترتب على ذلك من إثارة الدهماء، وسفك الدماء، وانتقاص أمر الأمة، وطمع عدوها بها. قال ابن رجب: (وَقَوْلُهُ ﷺ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ»، فَهَاتَانِ

---

(١) جامع العلوم والحكم، ت: الأرنؤوط (٢/ ١١١).
(٢) أخرجه الترمذي، ت: شاكر في باب ما جاء في معاشرة الناس برقم (١٩٨٧)، وأحمد، ط. الرسالة برقم (٢١٣٥٤)، وحسنه الألباني.

الْكَلِمَتَانِ تَجْمَعَانِ سَعَادَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. أَمَّا التَّقْوَى فَهِيَ كَافِلَةٌ بِسَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهَا ... وَأَمَّا السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِوُلَاةِ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ، فَفِيهَا سَعَادَةُ الدُّنْيَا، وَبِهَا تَنْتَظِمُ مَصَالِحُ الْعِبَادِ فِي مَعَايِشِهِمْ، وَبِهَا يَسْتَعِينُونَ عَلَى إِظْهَارِ دِينِهِمْ وَطَاعَةِ رَبِّهِمْ)[١].

قوله: «وإن كان عبدًا حبشيًّا» أي: فلا تستنكفوا عن طاعته. قال ابن رجب: (وَلَا يُنَافِي هَذَا قَوْلَهُ ﷺ: «**لَا يَزَالُ هَذَا الْأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ فِي النَّاسِ اثْنَانِ**»، وَقَوْلُهُ: «**النَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ**»، وَقَوْلُهُ: «**الْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ**»، لِأَنَّ وِلَايَةَ الْعَبِيدِ قَدْ تَكُونُ مِنْ جِهَةِ إِمَامٍ قُرَشِيٍّ، وَيَشْهَدُ لِذَلِكَ مَا خَرَّجَهُ الْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**الْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ أَبْرَارُهَا أُمَرَاءُ أَبْرَارِهَا، وَفُجَّارُهَا أُمَرَاءُ فُجَّارِهَا، وَلِكُلٍّ حَقٌّ، فَآتُوا كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَإِنْ أَمَّرَتْ عَلَيْكُمْ قُرَيْشٌ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعًا، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا**»، وَإِسْنَادُهُ جَيِّدٌ وَلَكِنَّهُ رُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ مَوْقُوفًا، وَقَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ: هُوَ أَشْبَهُ)[٢].

قوله: «فإنَّه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي» هذا كقوله ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً وَأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا**» قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ، وَسَلُوا اللهَ حَقَّكُمْ**»[٣]، أي: لا يحملكم ما تجدون من الاختلاف والأثرة على نقض البيعة والسمع والطاعة، وأمرهم بلزوم السنة. قال ابن رجب: (هَذَا إِخْبَارٌ مِنْهُ ﷺ بِمَا وَقَعَ فِي أُمَّتِهِ بَعْدَهُ مِنْ كَثْرَةِ الِاخْتِلَافِ فِي أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ، وَفِي الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَالِاعْتِقَادَاتِ، وَهَذَا مُوَافِقٌ لِمَا رُوِيَ عَنْهُ مِنِ افْتِرَاقِ أُمَّتِهِ عَلَى بِضْعٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَأَنَّهَا كُلَّهَا فِي النَّارِ إِلَّا فِرْقَةً وَاحِدَةً، وَهِيَ مَنْ كَانَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ وَأَصْحَابُهُ، وَكَذَلِكَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَمْرٌ عِنْدَ

---

(١) جامع العلوم والحكم، ت: الأرنؤوط (٢/ ١١٦).
(٢) المصدر السابق (٢/ ١١٩ ـ ١٢٠).
(٣) أخرجه البخاري في باب سترون بعدي أمورًا تنكرونها برقم (٧٠٥٢).

الِافْتِرَاقِ وَالِاخْتِلَافِ بِالتَّمَسُّكِ بِسُنَّتِهِ وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِهِ، وَالسُّنَّةُ: هِيَ الطَّرِيقَةُ الْمَسْلُوكَةُ، فَيَشْمَلُ ذَلِكَ التَّمَسُّكَ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ هُوَ وَخُلَفَاؤُهُ الرَّاشِدُونَ مِنَ الِاعْتِقَادَاتِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ، وَهَذِهِ هِيَ السُّنَّةُ الْكَامِلَةُ، وَلِهَذَا كَانَ السَّلَفُ قَدِيمًا لَا يُطْلِقُونَ اسْمَ السُّنَّةِ إِلَّا عَلَى مَا يَشْمَلُ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَرُوِيَ مَعْنَى ذَلِكَ عَنِ الْحَسَنِ وَالْأَوْزَاعِيِّ وَالْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ. وَكَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ يَخُصُّ اسْمَ السُّنَّةِ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِالِاعْتِقَادَاتِ، لِأَنَّهَا أَصْلُ الدِّينِ، وَالْمُخَالِفُ فِيهَا عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ، وَفِي ذِكْرِ هَذَا الْكَلَامِ بَعْدَ الْأَمْرِ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِأُولِي الْأَمْرِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَا طَاعَةَ لِأُولِي الْأَمْرِ فِي غير طَاعَةِ اللهِ، كَمَا صَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**»[(١)].

والخلفاء الراشدون هم: كلُّ من خَلَف النبي ﷺ في أمته بالعلم النافع، والعمل الصالح، وأولهم دخولًا في هذا الخلفاء الأربعة.

قوله: «**تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ**» النواجذ: الأضراس، ومن عضَّ على الشيء بأضراسه فقد تمكن منه واستوثق.

قوله: «**وإياكم ومحدثات الأمور**» هي البدع، يحذرهم من الإحداث في الدين، كما قال في الحديث الآخر: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ**»[(٢)]، وقال: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ**»[(٣)].

قوله: «**فإنَّ كل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة**» قال ابن رجب: (مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ لَا يَخْرُجُ عَنْهُ شَيْءٌ، وَهُوَ أَصْلٌ عَظِيمٌ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ، وَهُوَ شَبِيهٌ بِقَوْلِهِ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»، فَكُلُّ مَنْ أَحْدَثَ شَيْئًا،

---

(١) جامع العلوم والحكم، ت: الأرنؤوط (٢/ ١٢٠ ـ ١٢١).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور برقم (١٧١٨).

(٣) أخرجه البخاري في باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول من غير علم، فحكمه مردود برقم (٩/ ١٠٧)، ومسلم في باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور برقم (١٧١٨).

وَنَسَبَهُ إِلَى الدِّينِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَصْلٌ مِنَ الدِّينِ يَرْجِعُ إِلَيْهِ، فَهُوَ ضَلَالَةٌ، وَالدِّيْنُ بَرِيءٌ مِنْهُ، وَسَوَاءٌ فِي ذَلِكَ مَسَائِلُ الِاعْتِقَادَاتِ، أَوِ الْأَعْمَالُ، أَوِ الْأَقْوَالُ الظَّاهِرَةُ وَالْبَاطِنَةُ.

وَأَمَّا مَا وَقَعَ فِي كَلَامِ السَّلَفِ مِنَ اسْتِحْسَانِ بَعْضِ الْبِدَعِ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ فِي الْبِدَعِ اللُّغَوِيَّةِ، لَا الشَّرْعِيَّةِ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ عُمَرَ رضي الله عنه لَمَّا جَمَعَ النَّاسَ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ عَلَى إِمَامٍ وَاحِدٍ فِي الْمَسْجِدِ، وَخَرَجَ وَرَآهُمْ يُصَلُّونَ كَذَلِكَ فَقَالَ: نِعْمَتُ الْبِدْعَةُ هَذِهِ)[(١)]. وذكر أمثلةً أخرى.

قوله: «**تركتكم على البيضاء؛ ليلها كنهارها**» أي: على الطريق والمحجة الواضحة، فلم يدع شاذَّة ولا فاذَّة إلا بيّنها لأمته، حتى قال أبو ذر رضي الله عنه: (تَرَكَنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي الْهَوَاءِ، إِلَّا وَهُوَ يُذَكِّرُنَا مِنْهُ عِلْمًا)[(٢)].

قوله: «**لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**» أي: لا عذر لأحد. فمن زاغ عن السنة بعد بيانها فهو هالك. فالزموا السنة. وقد كان السلف من المحدثين يبوِّبون: باب الاعتصام بالكتاب والسنة، فالسنة كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق[(٣)].

۞ فوائد الحديث:

١ ـ مشروعية الموعظة.

٢ ـ حسن موعظته ﷺ وأثرها في النفوس.

٣ ـ صحة إيمان الصحابة الكرام، وتأثرهم بالمواعظ، وحرصهم على الخير.

٤ ـ مشروعية طلب الوصية والنصيحة.

---

(١) جامع العلوم والحكم، ت: الأرنؤوط (٢/ ١٢٨).
(٢) أخرجه أحمد برقم (٢١٣٩٩)، والطبراني في المعجم الكبير برقم (١٦٤٧).
(٣) من قول الإمام مالك في تاريخ دمشق لابن عساكر (١٤/ ٩).

٥ ـ أعظم الوصية في الشأن الخاص: الوصية بتقوى الله.

٦ ـ أعظم الوصية في الشأن العام: السمع والطاعة.

٧ ـ عدم الاستنكاف عن طاعة الأمراء.

٨ ـ علم من أعلام النبوة.

٩ ـ الأمر بلزوم السنة المحمدية والراشدية، والتمسك بها.

١٠ ـ التحذير من البدع.

١١ ـ البلاغ المبين من الرسول الأمين.

خير الهدي هدي النبي ﷺ

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولمسلم: عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أما بعدُ: فإنَّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**»[(١)].

الشرح

قوله: «**أما بعد**»: أي مهما يكن من شيء. يؤتى بها للدخول في صلب الموضوع، فهي فصل ما بين حمد الله والثناء عليه، وما يريد الخطيب أو المصنف الكلام فيه.

قوله: «**فإنَّ خير الحديث كتاب الله**» كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ۝٨٧﴾ [النساء: ٨٧]، وقال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ۝١٢٢﴾ [النساء: ١٢٢]؟ والجواب: لا أحد.

قوله: «**وخير الهدى**» ضبطت بضم الهاء وفتح الدال، قسيم الضلال، وفتح الهاء وسكون الدال، أي: الطريقة والمذهب والسيرة.

قوله: «**هدى محمد ﷺ**» لا ما يحدثه أصحاب الطرق من أحوال، واتخاذ خرق وعمائم وسُبَح وحضرات.

قوله: «**وشر الأمور محدثاتها**» وهو ما أُضيف إلى الدين، وأُدخل فيه بلا دليل.

قوله: «**فإنَّ كل بدعةٍ ضلالة**» فلو كان خيرًا لهدى إليه النبي ﷺ، كيف

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة برقم (٨٦٧).

وقد امتنَّ الله تعالى عليه وعلى المسلمين، بقوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]، فكأنَّ هذا المبتدع يقول: كلا لم يتم الدين، ولم تكتمل النعمة، حتى أتيتكم بهذا الاقتراح، وهذه الإضافة! هذه حقيقة حاله، وإن لم ينطق بها بلسانه.

فوائد الحديث:

١ ـ فضل كلام الله على سائر الكلام.

٢ ـ فضل هدي رسول الله ﷺ على سائر الهدي.

٣ ـ وجوب الأخذ بالكتاب والسنة، وترك ما خالفهما.

٤ ـ التحذير من البدع المحدثة في الدين، وأنها سبل غواية.

عصيان الرسول ﷺ يوجب إدخال النار

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وللبخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**» قيل: ومن يأبى؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**»(١).

الشرح

عجب الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كيف يأبى أحد دخول الجنة؟ فبيَّن بم يكون دخول الجنة، وكيف يكون الإباء؛ فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه فقد أبى دخول الجنة باختياره وسبق إصراره.

فوائد الحديث:

١ ـ أن طاعة الرسول أعظم وسيلة لدخول الجنة.

٢ ـ أن معصية الرسول أعظم سبب لدخول النار.

٣ ـ بطلان أوهام المبتدعة والصوفية والمرجئة.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ برقم (٧٢٨٠).

من رغب عن سنة الرسول ﷺ فليس منه

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

❁ ولهما: عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء ثلاثة رهط إلى أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبروا بها كأنَّهم تقالُّوها، فقالوا: أين نحن من النبي ﷺ قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟! فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدًا، وقال الآخر: أنا أصوم النهار ولا أفطر، وقال الآخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء النبي ﷺ إليهم، فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»(١).

الشرح

هذا مثال لابتداع مبكر، واجتهاد في غير اتباع، وقع في عهد النبوة. فإنَّ هؤلاء النفر جاؤوا يسألون عن عمل ﷺ فلم يجدوه، فسألوا أهل بيته فأخبروهم بعمله، فكأنَّهم تقالُّوه، فأخذوا يتباهون بصنيعهم وعملهم، فقال أحدهم: إنَّه يصلي ولا ينام، وقال الآخر: يصوم ولا يفطر، وقال الثالث: إنَّه يعتزل النساء فلا يتزوج، بل قال في بعض الروايات أحدهم: لا آكل اللحم(٢)، فلما بلغ

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح برقم (٥٠٦٣)، ومسلم في كتاب النكاح باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه برقم (١٤٠١).
(٢) أخرجه مسلم في كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم برقم (١٤٠١).

ذلك النبي ﷺ أنكر عليهم غلوَّهم، وبيَّن أنَّه بُعث بالحنيفية السمحة، وأنَّه ليس لأحد أن يزيد عليها، أو ينقص منها، لا وكْس ولا شطط.

قوله: «**أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له**» إخبار على سبيل التدليل، لا بقصد المباهاة.

قوله: «**ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**» لهذا كان دين الإسلام هو الدين الموافق للعقل والفطرة، وهذا من أعظم أسباب قبوله ودوامه، بخلاف الأديان والملل الأخرى التي تأخذ بالعنت والتشدد والكهنوت، فتخرج عن مقتضى العقل والفطرة.

فوائد الحديث:

١ ـ استزلال الشيطان للإنسان للعجب والغرور.

٢ ـ أن السنة وسط بين الغالي والجافي.

٣ ـ موافقة السنة للفطرة الإنسانية.

٤ ـ أن الخشية والتقوى ليست عن كثرة العمل والشدة، بل باتباع السنة.

٥ ـ البراءة من الطرق المخالفة للسنة.

❁ ❁ ❁

دعاء الرسول ﷺ للغرباء

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء**»[(١)]، رواه مسلم.

الشرح

بيّن ﷺ في هذا الحديث أن الإسلام بدأ غريبًا؛ فلم يكن سوى

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا، وأنه يأرز بين المسجدين برقم (١٤٥).

النبي ﷺ، ثم النبي ﷺ وأبو بكر، وخديجة، وعلي، حتى كان بعض الصحابة يقول: كنتُ سدس الإسلام، ويقول آخر: كنتُ ربع الإسلام، ثم إنَّ الله ﷻ نصر عبده، وفتح له، وامتن عليه، فقال: ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾ [النصر: ٢]، حتى كان العام التاسع يُسمى «عام الوفود»، لكثرة الداخلين في الإسلام، وزُويت الأرض للنبي ﷺ فرأى مشارقها ومغاربها، وأنَّ ملك أمته سيبلغ ما زُوي له منها[(١)]، لكنه أخبر بأنَّه سيعود غريبًا كما بدأ، أي: أنَّه ينحسر، ويقل تابعوه، حتى يعود غريبًا!

قوله: «**فطوبى للغرباء**» هذا التطويب بشارة وحث على التمسك بالدين العتيق الأول، ولزوم السنة.

فوائد الحديث:

١ ـ علم من أعلام النبوة.

٢ ـ حكمة الله في الهدى والضلال.

٣ ـ الحث والتحريض على لزوم السنة.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض برقم (٢٨٨٩).

نفي الإيمان حتى يكون هواه تبعًا لما جاء به الرسول ﷺ

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**»، رواه البغوي في «شرح السنة»، وصححه النووي[1].

الشرح

هذا الحديث قد صححه النووي، وضعَّفه غيره، كابن رجب[2]، إلا أنَّ معناه صحيح.

قوله: «**لا يؤمن أحدكم**» أي: الإيمان الكامل المتضمن للإيمان الواجب.

قوله: «**حتى يكون هواه تبعًا لما جئتُ به**» فإذا كان هواه ومزاجه موافقًا لما جاء به النبي ﷺ، فقد آمن به الإيمان الكامل، وإذا كان فيه شيء من عدم الموافقة نقص من إيمانه بقدر ما نقص. قال ابن رجب: (مَعْنَى الْحَدِيثِ، فَهُوَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَكُونُ مُؤْمِنًا كَامِلَ الْإِيمَانِ الْوَاجِبِ حَتَّى تَكُونَ مَحَبَّتُهُ تَابِعَةً لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ مِنَ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي وَغَيْرِهَا، فَيُحِبُّ مَا أَمَرَ بِهِ، وَيَكْرَهُ مَا نَهَى عَنْهُ. وَقَدْ وَرَدَ الْقُرْآنُ بِمِثْلِ هَذَا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا

---

(١) شرح السنة للبغوي (١/ ٢١٣)، والأربعون النووية (ص١١٣).

(٢) جامع العلوم والحكم، ت: الأرنؤوط (٢/ ٣٩٤).

قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]. وَذَمَّ سُبْحَانَهُ مَنْ كَرِهَ مَا أَحَبَّهُ اللهُ، أَوْ أَحَبَّ مَا كَرِهَهُ اللهُ، قَالَ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾﴾ [محمد: ٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد: ٢٨]. فَالْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يُحِبَّ مَا أَحَبَّهُ اللهُ مَحَبَّةً تُوجِبُ لَهُ الْإِتْيَانَ بِمَا وَجَبَ عَلَيْهِ مِنْهُ، فَإِنْ زَادَتِ الْمَحَبَّةُ، حَتَّى أَتَى بِمَا نَدَبَ إِلَيْهِ مِنْهُ، كَانَ ذَلِكَ فَضْلًا، وَأَنْ يَكْرَهَ مَا كَرِهَهُ اللهُ تَعَالَى كَرَاهَةً تُوجِبُ لَهُ الْكَفَّ عَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِ مِنْهُ، فَإِنْ زَادَتِ الْكَرَاهَةُ حَتَّى أَوْجَبَتِ الْكَفَّ عَمَّا كَرِهَهُ تَنْزِيهًا، كَانَ ذَلِكَ فَضْلًا)(١).

فوائد الحديث:

١ ـ أن نفي الإيمان مراتب؛ فيحمل على نفي أصل الإيمان، فإن تعذر حمل على نفي الإيمان الواجب، فإن تعذر حمل على نفي الإيمان الكامل.

٢ ـ أن كمال النفس الإنسانية بموافقة الهوى للهدى.

٣ ـ التحريض على لزوم السنة.

(١) جامع العلوم والحكم، ت: الأرنؤوط (٢/ ٣٩٥ ـ ٣٩٦).

صفة الملّة الناجية من النار

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليأتين عَّلى أمتي كما أتى على بني إسرائيل حَذْوَ النعل بالنعل، حتى إن كان فيهم من أتى أمه علانيةً لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإنَّ بني إسرائيل افترقت على ثنتين وسبعين ملة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا واحدة**» قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»، رواه الترمذي[(١)].

الشرح

هذا الحديث بهذا الإسناد في سنده ضعف، وله شواهد تقويه، والواقع يدلُّ عليه، والأدلة الأخرى تعضده، كقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**لتتبعنَّ سَنَنَ من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو سلكوا جُحْرَ ضَبٍّ لسلكتموه**»[(٢)]، أي: حتى الأمور الدقيقة المستكرهة يحاكونهم فيها. وهذا هو الجاري كما نرى في كثيرٍ من مجتمعات المسلمين في التشبه باليهود والنصارى في الأمور التوافه التي يُستحى من ذكرها، التي تنافي العقل والفطرة والمروءة.

وقد ذكر النبي ﷺ في هذا الحديث مثالًا مستشنعًا، فقال: «**حتى إن كان**

(١) أخرجه الترمذي، ت: شاكر في أبواب الإيمان، ما جاء في افتراق هذه الأمة برقم (٢٦٤١)، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب افتراق الأمم برقم (٣٩٩٢)، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل برقم (٣٤٥٦)، ومسلم في العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى برقم (٢٦٦٩).

منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك»[(١)]، وهذا يتضمن التحذير من مشابهة اليهود والنصارى، فمن تشبه بقوم فهو منهم. وقد أكرم الله هذه الأمة، وجعلها أمة ريادة وسيادة وقيادة، فقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ فينبغي لأهل الإسلام أن يرفعوا رؤوسهم بهذه التزكية الربانية، ويغتبطوا بهذا الثناء الإلهي، ويعملوا بشرطها: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فهذه هي علامة الخيرية، فإذا توفرت هذه الخصال كانوا حقيقين بهذا الوصف الكريم، وإن هم أخلُّوا بها لم يكونوا أهلًا لذلك. قال قتادة: ذُكر لنا أن عمر بن الخطاب قال في حجّةٍ حجّها ورأى من الناس رِعَة[(٢)] سيئة، فقرأ هذه ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ الآية، ثم قال: يا أيها الناس من سره أن يكون من تلك الأمة، فليؤد شرط الله منها[(٣)].

وأما حديث الافتراق الذي فيه: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، والذي نفس محمدٍ بيده لتفترقنَّ أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة، وثنتان وسبعون في النار**» فهو حديث صحيح مشهور، تلقته الأمة بالقبول، ورواه جمعٌ من المتقدمين والمتأخرين، وصححه جمع من الأئمة، والتاريخ شاهد على ذلك، حتى إنَّ من العلماء من صنَّف في الفِرَق والملل كتبًا، وعدّوا فيها هذه الفرق ليبلغوا بها العدد الذي قرره النبي ﷺ، ولا يلزم أن تكون قد بلغت في وقتهم ذلك القدر، ومن أصول الفرق: الخوارج، والروافض، والمرجئة، والقدرية، والجهمية، وما تفرع عنها، والناجي من هذه الفرق كما قال النبي ﷺ: «**ما أنا عليه وأصحابي**» وفي لفظ: «**ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»[(٤)]، فمن لزم السنة،

(١) أخرجه الترمذي، ت: شاكر في أبواب الإيمان عن رسول الله ﷺ، ما جاء في افتراق هذه الأمة برقم (٢٦٤١)، وحسنه الألباني.
(٢) الرعة: ما يظهر من الخلق. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٦٤).
(٣) تفسير الطبري = جامع البيان، ت: شاكر (٧/ ١٠٢).
(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين برقم (٤٤٤).

وما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه فهو من الفرقة الناجية، وإنما سميت «ناجية» لأنَّها نجت في الدنيا من البدع والأهواء، ونجت يوم القيامة من النار؛ وتُسمّى أيضًا «الطائفة المنصورة»؛ لقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**لا يزال طائفة من أمتي على الحق منصورين، لا يضرهم من خالفهم، حتى يأتي أمر الله** ﷻ»(١)، أي: لا يضرهم من خالفهم من الناحية العلمية، ولا من خذلهم من الناحية العملية حتى يأتي أمر الله.

۞ فوائد الحديث:

١ ـ علم من أعلام النبوة.

٢ ـ تواتر السنن الكونية في الافتراق.

٣ ـ العلم بمجمل القدر لا يسوغ مخالفة الشرع، وترك الإنكار والمدافعة.

٤ ـ تحريم مشابهة اليهود والنصارى، فضلًا عن الذين لا يعلمون.

٥ ـ التحريض على لزوم السنة، لأنها سبيل النجاة.

۞ ۞ ۞

(١) أخرجه ابن ماجه في افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب اتباع سنة رسول الله ﷺ برقم (١٠)، والترمذي، ت: شاكر في أبواب الفتن، باب ما جاء في الأئمة المضلين برقم (٢٢٢٩)، وصححه الألباني.

إثم من دعا إلى ضلالة

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولمسلم: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**»(١).

الشرح

قوله: «**من دعا إلى هدى**» الهدى: هو ما جاء به النبي ﷺ من العلم النافع، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣]، وقال آمرًا أمته: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

قوله: «**كان له من الأجر مثل أجور من تبعه**» إغراء بليغ، لأن الدال على الخير كفاعله. قال تعالى: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١١٤﴾ [النساء: ١١٤].

قوله: «**لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا**» جملة احترازية لدفع توهم محتمل. ففضل الله واسع.

قوله: «**من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**» تحذير بليغ من تبعة الدعوة إلى البدعة، كما

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة برقم (٢٦٧٤).

قال الله تعالى: ﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ﴾ [العنكبوت: ١٣].

فوائد الحديث:

١ ـ فضل الدعوة إلى الهدى ولزوم السنة، وبركة عاقبته.

٢ ـ خطر الدعوة إلى الضلال والبدعة، وشؤم عاقبته.

٣ ـ سعة فضل الله تعالى، وكمال عدله.

من دل على خير فله مثل أجر فاعله

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولـه: عن أبي مسعود الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ قال: إنَّه أُبدع بي فاحملني، فقال: «**ما عندي**» فقال رجل: يا رسول الله، أنا أدله على من يحمله، فقال رسول الله ﷺ: «**من دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله**»(١).

الشرح

الدال على الخير كفاعله، والمرء قد لا يتمكن من فعل الخير بنفسه، لكن قد يدلُّ عليه، فيكون له مثل أجر فاعله، فلن يعدم الموفق الحريص سبيلًا للخير.

قوله: «أبدع بي» أي: انقطعت راحلتي، هلكت أو كلَّت، فلم تستطع حملي.

قوله: «ما عندي» اعتذار وحكاية حال، كما قال تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ [التوبة: ٩٢].

قوله: «من دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله» لأنه لولا دلالته ما حصل الثواب للفاعل.

فوائد الحديث:

١ ـ أن النبي ﷺ ولي المؤمنين، يرفعون إليهم حاجتهم، وما يعرض لهم.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، وخلافته في أهله بخير برقم (١٨٩٣).

٢ ـ جواز ذكر ما يقع على الإنسان من مصيبة على سبيل الإخبار، وطلب العون.

٣ ـ الاعتذار للسائل بعدم الوجد.

٤ ـ الابتدار للدلالة على الخير.

٥ ـ فضيلة الدلالة على الخير، والنصح للمسلمين.

٦ ـ أن الدعوة إلى السنة من أعظم الدلالة على الخير وأنفعه.

أجر من أحيا سنّة من سنن المصطفى ﷺ

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعن عمرو بن عوف رضي الله عنه مرفوعًا: «**من أحيا سنة من سنتي قد أُميتت بعدي، فإنَّ له من الأجر مثل أجر من عمل بها من الناس لا ينقص من أجور الناس شيئًا، ومن ابتدع بدعةً لا يرضاها الله ورسوله، فإنَّ عليه مثل إثم من عمل بها من الناس لا ينقص من آثام الناس شيئًا**»، رواه الترمذي وحسنه، وابن ماجه، وهذا لفظه(١).

الشرح

هذا الحديث حسَّنه الترمذي، وضعّفه غيره، إلا أنَّ معناه تشهد له الأحاديث الصحيحة السابقة.

قوله: «**من أحيا سنة**» أي: أظهرها، وعمل بها، ودعا إليها.

قوله: «**قد أميتت**» أي: هُجِرت وتُرِك العمل بها، فاندثرت. وهذا يدل على أنَّ السنن تموت وتحيا، تموت بهجرانها، وترك العمل بها، وتحيا بإحيائها، والعمل بها، وبثها بين الناس.

قوله: «**بدعة لا يرضاها الله ورسوله**» هذا قيد لا مفهوم له، بل هو صفة كاشفة؛ فإن كل بدعة غير مرضية لله ورسوله، كما قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً

(١) أخرجه الترمذي، ت: شاكر في أبواب العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع برقم (٢٦٧٧)، وابن ماجه في افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب من أحيا سنة قد أميتت برقم (٢٠٩)، وقال الألباني: «صحيح لغيره».

ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ٢٧]، ولا مستمسك فيه لمن توهم أن من البدع ما قد يكون مرضيًا.

قَالَ السيد محمد صديق حسن خان القِنَّوْجي، رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قَالَ فِي «الْمِرْقَاةِ»: قَيَّدَ بِهِ لِإِخْرَاجِ الْبِدْعَةِ الْحَسَنَةِ! وَزَادَ فِي أَشِعَّةِ اللُّمعَاتِ لِأَنَّ فِيهَا مَصْلَحَةَ الدِّينِ وَتَقْوِيَتَهُ وَتَرْوِيجَهُ! انْتَهَى. وَأَقُولُ: هَذَا غَلَطٌ فَاحِشٌ مِنْ هَذَيْنِ الْقَائِلَيْنِ، لِأَنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ لَا يَرْضَيَانِ بِدْعَةً، أَيَّ بِدْعَةٍ كَانَتْ، وَلَوْ أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ إِخْرَاجَ الْحَسَنَةِ مِنْهَا لَمَا قَالَ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَحَادِيثِ: «**كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**» و«**كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ**»، كَمَا وَرَدَ بِهَذَا اللَّفْظِ فِي حَدِيثٍ آخَرَ؛ بَلْ هَذَا اللَّفْظُ لَيْسَ بِقَيْدٍ فِي الْأَصْلِ، هُوَ إِخْبَارٌ عَنِ الْإِنْكَارِ عَلَى الْبِدَعِ، وَأَنَّهَا مِمَّا لَا يَرْضَاهُ اللهُ وَلَا رَسُولُهُ، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ﴾. وَأَمَّا ظَنُّ مَصْلَحَةِ الدِّينِ وَتَقْوِيَتِهِ فِيهَا، فَمِنْ وَادِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ﴾، وَلَا أَدْرِي مَا مَعْنَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ﴾؟!، وَلَا أَدْرِي مَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾؟! إِنْ كَانَتْ تِلْكَ الْمَصْلَحَةُ فِي تَرْوِيجِ الْبِدْعَاتِ، يالله الْعَجَبَ مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الْقَالَةِ! أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ فِي إِشَاعَةِ الْبِدَعِ إِمَاتَةَ السُّنَنِ، وَفِي إِمَاتَتِهَا إِحْيَاءَ الدِّينِ وَعُلُومِهِ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ دِينَ اللهِ الْإِسْلَامُ كَامِلٌ تَامٌّ غَيْرُ نَاقِصٍ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ فِي كَمَالِهِ وَإِتْمَامِهُ، وَنُصُوصُهُ مَعَ أَدِلَّةِ السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ كَافِيَةٌ وَافِيَةٌ شَافِيَةٌ لِجَمِيعِ الْحَوَادِثِ وَالْقَضَايَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ).

فوائد الحديث:

١ ـ فضيلة إحياء السنن المهجورة.

٢ ـ أن إحياء السنة ببيانها، والعمل بها، ونشرها، وإماتتها بكتمانها وهجرها، وترك العمل بها.

٣ ـ حسن ثواب إحياء السنن، وشؤم عقاب إماتتها.

أسباب الفتن

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

❁ وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير، وتتخذ سنة يجري الناس عليها؛ فإذا غُيِّر منها شيء قيل: تُركت سنة، قيل: متى ذلك يا أبا عبد الرحمٰن؟ قال: إذا كثر قراؤكم، وقلَّ فقهاؤكم، وكثرت أموالكم، وقلَّ أمناؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة، وتفقه لغير الدين. رواه الدارمي(١).

الشرح

ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أفقه الصحابة، وأقربهم هديًا وسمتًا ودلًّا بالنبي ﷺ في أقواله، حتى إنَّ أقواله تشتبه بكلامه ﷺ، فيُظنُّ أنَّه مرفوع وهو موقوف عليه، وذلك لعمق فقهه، وحسن منطقه. وهذه موعظة وتحذير لأصحابه.

قوله: «**كيف أنتم إذا لبستكم فتنة**» التعبير باللبس يدل على أنها تغشى وتعم. ومن معاني الفتنة: لبس الحق بالباطل، وخفاء الحق، مما يورث الحيرة والتردد.

قوله: «**يربو فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير**» بمعنى: أنَّها تستوطن وتستأنس ويطول أمدها، حتى تصبح عُرفًا ووضعًا عامًّا.

---

(١) أخرجه الدارمي في المقدمة، باب تغير الزمان وما يحدث فيه برقم (١٩١، ١٩٢)، ورواه البيهقي في المدخل (١/ ٦٤).

قوله: «**فإذا غُيِّر منها قيل: تُركت سنة**» بمعنى: أن المعروف انقلب منكرًا، والمنكر معروفًا.

قوله: «**إذا كثر قراؤكم، وقلَّ فقهاؤكم**» فليست العبرة بالحفظ والاستظهار ولكن بالفقه، فلا بدَّ أن يقرن الإنسان حفظه بالفهم، ومعرفة مقاصد الشرع.

قوله: «**وكثرت أموالكم، وقلَّ أمناؤكم**» فإذا كثر المال، وقلَّت الأمانة انتشرت الخيانة والاختلاس.

قوله: «**والتمست الدنيا بعمل الآخرة**» أي: اتُخذ الدين سلَّمًا ومطيةً للوصول إلى لعاعة الدنيا، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥ ـ ١٦].

قوله: «**وتُفقه لغير الدين**» أي: نزع الإخلاص، وطلب العلم لنيل الشهادات، وتسنم المناصب، أو ليجاري به العلماء، ويماري به السفهاء، لا لأجل الدين ونصرته، ولكن لنيل الدنيا وحظوظها.

فوائد الأثر:

١ ـ تنبيه العالم أصحابه ما قد يعرض لهم من الابتلاء.

٢ ـ وقوع الفتن الكبار في أمة محمد ﷺ.

٣ ـ السؤال عن علامات الفتن.

٤ ـ أن العبرة ليست بكثرة العلم والمال، بل بالفقه والأمانة.

٥ ـ الحذر من إرادة الدنيا بعمل الآخرة.

٦ ـ وجوب الإخلاص لله تعالى في طلب العلم.

من يهدم الإسلام

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وعن زياد بن حدير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قلتُ: لا، قال: يهدمه زلة العَالِم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلِّين. رواه الدارمي أيضًا[(١)].

الشرح

تضمن هذا الأثر الموقوف على أمير المؤمنين عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عدة أسباب تهدم الدين:

أحدها: «**زلة العَالِم**» لأنَّ العالم متبوع إذا زلَّ، زلَّ بزلته أمم.

ثانيها: «**جدال المنافق بالكتاب**» وهم الذين يتظاهرون بالعلم، ويقرؤون القرآن، ويتذرعون بالكتاب لنشر باطلهم، من الزنادقة، فيضلون الناس.

وثالثها: «**حكم الأئمة المضلِّين**» من العلماء والأمراء الذين يفتون بغير علم، ويصدرون عن أهوائهم، أو يحملون الكافة على منكر من المنكرات، ويقننون لهم القوانين الوضعية مضاهاة للشريعة، كما قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في حديثٍ آخر: «إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية»[(٢)]، أي: لم يعرف الفرق بين الإسلام والجاهلية، والمقصود أنَّ الله تعالى قد جعل أسبابًا لتوثيق الدين، والتمسك به، وهي لزوم السنة.

---

(١) أخرجه الدارمي في المقدمة، باب في كراهية أخذ الرأي برقم (٢٢٠).

(٢) مجموع الفتاوى الكبرى: لشيخ الإسلام ابن تيمية، (١٠/٣٠١).

فوائد الأثر:

١ ـ أن أمر الدين في الناس يعتريه القوة والضعف.

٢ ـ مسؤولية العلماء، وخطر زللهم، ووجوب تثبتهم واعتصامهم بالله.

٣ ـ خطورة المنافق عليم اللسان على العامة.

٤ ـ أثر السلطان في إضلال الناس.

٥ ـ وجوب التنبه لهذه المعاول الثلاث التي تهدم الإسلام، ومدافعتها.

وجوب الاقتداء بالسلف الصالح رضوان الله عليهم

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كل عبادة لا يتعبَّدها أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا تعبّدوها؛ فإنَّ الأول لم يدع للآخر مقالًا، فاتقوا الله يا معشر القراء، وخذوا طريق من كان قبلكم. رواه أبو داود(١).

الشرح

كان حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ معنيًّا بأمر الفتن، وكان يسأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الشر مخافة أن يدركه، وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمد له في الجواب ويزيده، ولا يتبرَّم بسؤاله؛ ولذلك صار عنده فقه خاص في هذا الباب.

---

(١) هكذا عزاه المصنف لأبي داود فقط، ولم نجده في السنن، وهو في الزهد لأبي داود، بلفظ: «عن همام بن الحارث، قال: مر علينا حذيفة، ونحن في حلقة في المسجد نتحدث، فقال: يا معشر القراء، اسلكوا الطريق، والله لئن سلكتموه لقد سبقتم سبقًا بعيدًا، ولئن اتخذتم يمينًا وشمالًا لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا».

وأخرجه بالسياق الذي ذكره المصنف: الطرطوشي في الحوادث والبدع (ص١٤٩)، وأبو شامة في الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص١٦)، والشاطبي في الاعتصام (٣/ ٣٨)، وبنحوه ابن أبي شيبة في المصنف برقم (١٦٦٥١ و١٨٩٨٥)، والبخاري برقم (٧٢٨٢) نحوه مختصرًا، وابن وضاح في البدع والنهي عنها (١٠ و١١ و١٢ و١٥ و١٦)، وعبد الله بن أحمد في السنة برقم (١٠٦)، ومحمد بن نصر المروزي في السنة برقم (٨٦ و٨٧)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم برقم (١٨٠٩)، وابن بطة في الإبانة برقم (١٩٦ و١٩٧)، واللالكائي برقم (١١٩)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٨٠)، والخطيب في تاريخه (٣/ ٤٤٦).

قوله: «**كل عبادة لا يتعبدها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تعبدوها**» لأنَّ الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ شاهدوا التنزيل، وعلموا التأويل، وصدروا في عبادتهم عما تلقوه عن النبي ﷺ، فإذا تعبد أحد بغير ما عليه الصحابة من العبادات والأقوال والأفعال فقد افتتح باب ضلالة.

قوله: «**فإنَّ الأول لم يدع للآخر مقالًا**» أول هذه الأمة نبينا محمد ﷺ كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، وقد بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، وترك أمته على البيضاء، كما تقدم، فلا عذر لأحدٍ بالإحداث في الدين.

قوله: «**فاتقوا الله يا معشر القراء، وخذوا طريق من كان قبلكم**» القراء: هم الذين يشتغلون بحفظ القرآن، وطلب العلم، فعليهم أن يتقوا الله بلزوم السنة، وسلوك طريق الصحابة. وفي الصحيح عن حذيفة أيضًا: «يا معشر القراء استقيموا فقد سُبقتم سبقًا بعيدًا، فإن أخذتم يمينًا وشمالًا، لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا»[1]، فأهل العلم إن التزموا السنة، فاقوا غيرهم لجمعهم بين العلم والإيمان، وإن انحرفوا يمنة ويسرة، ضلوا وأضلوا؛ لأنَّهم عصوا الله على بينة، نسأل الله أن يعصمنا وإياكم.

فوائد الأثر:

١ ـ الاعتبار بفعل الصحابة وفهمهم وهديهم، فإنه سبيل المؤمنين.

٢ ـ ذم البدعة والإحداث في الدين.

٣ ـ كمال الشريعة، وحصول البلاغ.

٤ ـ الوصية بتقوى الله.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ برقم (٧٢٨٢).

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: من كان مستنًّا فليستنَّ بمن قد مات؛ فإنَّ الحي لا تُؤمَن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا أفضل هذه الأمة؛ أبرَّها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على أثرهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسِيَرِهم، فإنَّهم كانوا على الهدى المستقيم. رواه رزين[(١)].

الشرح

هذا الأثر عن ابن مسعود، والذي قبله عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كلاهما يحثَّان على لزوم طريق الصحابة الكرام؛ ولم يزل العلماء يوصون بالكتاب والسنة، على فهم السلف الصالح، الذين أُنزل فيهم، وهم الصحابة الكرام. وقد اختار الله تعالى أصحاب نبيه ﷺ عن علم وحكمة، فهم نزَّاع القبائل والأمم، اجتباهم الله لصحبة نبيه ﷺ، وجعلهم وزراءه وأعوانه، وأوعية دينه، وحفَّاظ وحيه، فلهذا كان لهم منزلة ليست لغيرهم، وقد أثنى الله تعالى عليهم في كتابه فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾ [التوبة: ١٠٠]، ورتَّبهم في سورة الحشر، فقال: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ

(١) لعله يشير إلى كتاب (تجريد الأصول) لرزين العبدري، ولعله لم يطبع بعد. وهذا الأثر بهذا السياق أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله برقم (١٨١٠)، والهروي في ذم الكلام (ص١٨٨) من طريق سلام بن مسكين عن قتادة عن عبد الله.

وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٨، ٩]، فيجب أن نعرف لهم فضلهم ومنزلتهم، وأن ننزلهم منازلهم.

قوله: «**من كان مستنًّا فليستنَّ بمن قد مات فإنَّ الحي لا تؤمن عليه الفتنة**» لأن الميت قد تبين حاله، وختم له، بخلاف الحي فإنه عُرضةً للفتنة والزيغ، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨]، فما يدريك لعل هذا الحي تزل به قدم، أو يضل به فهم، فتريث.

قوله: «**أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة**» كما قال النبي ﷺ: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»(١)، وفسرها ابن مسعود.

قوله: «**أبرها قلوبًا**» أي: قلوبهم سليمة، ليس فيها دغل، ولا غل على مسلم.

قوله: «**وأعمقها علمًا**» نفذوا إلى لب العلم وخلاصته، وهو العلم بالله وشريعته.

قوله: «**وأقلها تكلفًا**» سلموا من التكلف وتشقيق الكلام، والاشتغال بالأغلوطات ومسائل الشغب التي أحدثها المتكلمون، وسودوا بها الصفحات، وأهدروا بها الأوقات.

قوله: «**اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، ولإقامة دينه**» هذا استدلال بحكمة الله، وحسن تدبيره على تزكيتهم، فإن صحبتهم لم تقع مصادفة؛ بل عن علم من الله تعالى، فساقهم إليه، وجمعهم لديه من نزَّاع الأمم والقبائل؛ فكان من أصحابه: سلمان الفارسي، وصهيب الرومي، وبلال الحبشي، وأبو بكر القرشي، ومن سائر قبائل العرب أماثلهم.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد برقم (٢٦٥٢)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم برقم (٢٥٣٣).

قوله: «**فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على أثرهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنَّهم كانوا على الهدى المستقيم**» هذا مقتضى الشرع، والنظر الصحيح، خلافًا لمن ناصبوهم العداء، ولم يدركوا هذه الحكمة الإلهية؛ كالرافضة اللئام، والخوارج الطغام.

۞ فوائد الأثر:

١ ـ التأسي بمن مات على السنة المحضة.

٢ ـ التوقي من الاستنان بالحي، لأنه عرضة للفتنة.

٣ ـ شرف الصحابة، وعلو منزلتهم علمًا، وعملًا، وخلقًا.

٤ ـ الاقتداء بالصحابة الكرام في الخصال الثلاث المذكورة.

٥ ـ الاستدلال بقدر الله وحكمته على فضل الصحابة الكرام.

٦ ـ ضلال الرافضة والخوارج وأشباههم الذين لم يعرفوا للصحابة قدرهم.

۞ ۞ ۞

تحريم المجادلة في القرآن

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

ﷺ وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: سمع النبي ﷺ قومًا يتدارؤون في القرآن، فقال ﷺ: «**إنَّما هلك من كان قبلكم بهذا؛ ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنَّما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضًا، فلا تكذِّبوا بعضه ببعض، فما علمتم منه فقولوا، وما جهلتم فكلوه إلى عالمه**»(١)، رواه أحمد وابن ماجه.

الشرح

هو: عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص.

صدوق. وروايته مشهورة عند المحدثين. والأقرب أن هذا السند حسن.

قوله: «**يتدارؤون في القرآن**»، أي: يتدافعون؛ هذا ينزع آية، وهذا يدفعها بآية، فغضب النبي ﷺ وفي بعض الروايات: كأنَّما فُقِئ في وجهه حبُّ الرمان(٢)، أي: أحمر غضبًا.

قوله: «**إنَّما هلك من كان قبلكم بهذا؛ ضربوا كتاب الله بعضه ببعض**» في هذا إشارة إلى سببٍ مهمٍّ من أسباب الهلاك والفرقة.

قوله: «**وإنَّما نزل كتاب الله يصدِّق بعضه بعضًا**» كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾ [الزمر: ٢٣]، أي: يشبه بعضه بعضًا، ويصدِّق

---

(١) أخرجه ابن ماجه في افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب في القدر برقم (٨٥)، وأحمد، ط. الرسالة برقم (٦٧٤١)، وقال الألباني: «حسن صحيح».

(٢) أخرجه ابن ماجه في باب في القدر برقم (٨٥)، وقال الألباني: «حسن صحيح».

بعضه بعضًا، وقال: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

قوله: «فلا تكذِّبوا بعضه ببعض، فما علمتم منه فقولوا» أي: ما أدركتم معناه منه فقولوا به.

قوله: «وما جهلتم فكلوه إلى عالمه» كما قال تعالى عن الراسخين في العلم: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

فوائد الحديث:

١ ـ النهي الشديد عن الاختلاف في الكتاب، واتخاذ ذلك مادة للمماراة.

٢ ـ أن من أعظم أسباب هلاك الأمم اختلافهم في كتابهم.

٣ ـ اتباع طريقة الراسخين المؤمنين بالكتاب كله، واجتناب طريقة الزائغين، الذين يتبعون المتشابه.

باب

التحريض على طلب العلم وكيفية الطلب

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

باب: التحريض على طلب العلم، وكيفية الطلب: فيه حديث الصحيحين في فتنة القبر: أنَّ المنعَّم يقول: «**جاءنا بالبينات والهدى، فآمنا وأجبنا واتبعنا**» وأنَّ المعذَّب يقول: «**سمعتُ الناس يقولون شيئًا فقلته**»(١).

الشرح

هذا المعنى قد جاء في أحاديث متعددة؛ وذلك أنَّ الميت إذا وُضع في قبره أتاه ملكان فأقعداه وسألاه عن ثلاثة أمور: عن ربِّه، ودينه، ونبيِّه، فأما المؤمن فيقول: الله ربِّي، والإسلام ديني، ومحمد نبيي، ثم تلا النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وأما المرتاب والشاك فيقول مذهولًا: «**هاه هاه**»(٢)، وفي هذا الحديث أخبر أنه يقول: «**لا أدري، سمعتُ الناس يقولون شيئًا فقلته**» أي: أنَّه قد قرع سمعه أنَّ الله ربه، وأنَّ الإسلام دينه، وأنَّ محمدًا ﷺ نبيه، لكن لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يبال بشرف العلم، بل كان منتهى ذلك طبلة أذنه، ولم

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس برقم (٨٦)، ومسلم في كتاب الكسوف، باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف برقم (٩٠٥).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر برقم (٤٧٥٣)، وصححه الألباني.

تنفذ إلى سويداء قلبه، وتستقر به، فلذلك لم يسعفه العلم وقت الحاجة. فينبغي للإنسان أن يعبد الله على بينة، وأن يحرص على تحصيل العلم، حتى يتعبد لله تعالى بمقتضى النص والدليل، وأن لا يكون إمَّعة يقول: «**سمعتُ الناس يقولون شيئًا فقلته**» فإنَّ ذلك يتقشع في أحلك الظروف، وأصعب المواقف، أحوج ما يكون إليه.

فوائد الحديث:

١ ـ فضل العلم الراسخ، المورث للإيمان والاتباع.

٢ ـ ذم الجهل والتقليد.

٣ ـ إثبات عذاب القبر ونعيمه.

٤ ـ شهادة المؤمنين لنبيهم ﷺ بالبلاغ.

فضل العلماء على سائر الناس

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

❁ وفيهما: عن معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**من يُرِد الله به خيرًا يُفقِّهْهُ في الدين**»(١).

الشرح

هذه من عاجل بشرى طالب العلم، فإن الله تعالى إذا أراد بعبده خيرًا حبَّب إليه طلب العلم، والفقه في الدين، ومعرفة حدود الله ومحارمه، وما رغَّب فيه، وما حذَّر منه. وأما إذا كان لا يرفع بذلك رأسًا، ولا يرى بتركه بأسًا، فهذه علامة على أنَّه لم يرد به خيرًا، كحال بعض الناس، قال ﷺ: «**إن الله يبغض كل جَعْظَرِيٍّ**(٢) **جوَّاظٍ**(٣) **سخَّابٍ**(٤) **بالأسواق، جِيفةٌ بالليل، حِمارٌ بالنهار، عالمٌ بأمر الدنيا، جاهل بأمر الآخرة**»(٥)، تجده يصفق في الأسواق، ويلعلع في المزايدات، ويضارب بما يسمى «البورصة»، ويشقى

(١) أخرجه البخاري في من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين برقم (٧١)، ومسلم في باب النهي عن المسألة برقم (١٠٣٧).

(٢) الجعظري: الفظ الغليظ المتكبر. وقيل: هو الذي ينتفخ بما ليس عنده وفيه قصر. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٢٧٦).

(٣) الجواظ: الجموع المنوع. وقيل: الكثير اللحم المختال في مشيته. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٣١٦).

(٤) بالصاد والسين والصخب الصياح والضوضاء والجلبة أي: ليس ممن ينافس في الدنيا وجمعها فيحضر الأسواق لذلك ويصخب معهم في ذلك. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (ص٢١٠).

(٥) أخرجه ابن حبان في باب الزجر عن كتابة المرء السنن مخافة أن يتكل عليها دون الحفظ لها برقم (٧٢).

ويتعب وراء الدنيا، وإذا جاء الليل ألقى ببدنه المكدود كالبهيمة، لا يذكر الله إلا قليلًا. وإذا كُلِّم بأمر الدين أشاح بوجهه، ولم ينتفع بما أنزل الله على نبيه من وحيه، فهذا حرمان، وعلامة خسران، وقرينة إرادة سوء بالعبد؛ أنه لم يرد الله به خيرًا فيفقهه في الدين.

فوائد الحديث:

١ ـ إثبات القدر السابق، وتهيئة أسبابه.

٢ ـ فضيلة طلب العلم، والفقه في الدين.

* * *

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفيهما: عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير، أصاب أرضًا؛ فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى، إنَّما هي قِيعَانٌ لا تُمسِك ماء، ولا تُنبِتُ كلأ؛ فذلك مثل من فَقُهَ في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به، فعَلِم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى الله الذي أُرسلت به»**(١).

الشرح

هذا مَثَلٌ بديع، ضربه النبي ﷺ لبيان تفاوت الناس في قَبُول ما أنزل الله تعالى من الهدى والعلم، فمثَّل ذلك بأرضٍ واسعة، نزل عليها ماء السماء:

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم برقم (٧٩)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث به النبي ﷺ من الهدى والعلم برقم (٢٢٨٢).

قوله: «فكانت منها طائفة طيبة، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير» وهي (الرياض) التي تشرب الماء، وتنبت الكلأ.

قوله: «وكانت منها أجادب، أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا» هي الغدران التي يجتمع فيها الماء، فهي لا تشرب الماء، ولا تنبت، لكن ينتفع الناس باجتماع الماء فيها.

قوله: «وأصاب منها طائفة أخرى، إنَّما هي قيعانٌ، لا تمسك ماءً، ولا تنبت كلأ» أي: إذا نزل عليها ماء السماء سحَّ يمنة ويسرة، فلا هي قبلت وأنبتت، ولا هي أمسكت، ونفعت.

ثم طبَّق ﷺ هذا المثل على أحوال الخلق حيال الهدى والعلم:

قوله: «فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعلَّم» فمثله مثل الطائفة الطيبة التي قبلت الماء وأنبتت الكلأ والعشب الكثير، لقبوله الهدى والعلم، وتعلمه وتعليمه، كالأئمة الكبار: مالك، وأبي حنيفة، وأحمد، والشافعي، وأمثالهم من فقهاء الأمة الذين جمعوا بين الرواية والدراية، فعلموا، وعلَّموا، وأفتوا، ودرسوا، فهم العلماء الفقهاء.

قوله: «ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا» فمثله مثل الطائفة الثانية، الأجادب، التي أمسكت الماء فنفع الله بها الناس، وهم المحدِّثون الرواة الذين يحفظون الحديث، ولم يُؤثر عنهم فقه وفتوى، غير أنهم جمعوا بين التحمل والأداء، فنفع الله بهم غيرهم، ولم يشتهروا شهرة الأئمة الفقهاء، ويصبحوا رؤوسًا. وقد قال ﷺ: «**بلِّغوا عني ولو آية**»[(١)]، وقال: «**ربَّ مُبلَّغ أوعى من سامع**»[(٢)]، وقال: «**نضَّر الله امرأً سمع منا حديثًا، فحفظه حتى يبلِّغه غيره، فربَّ حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه**»[(٣)]، فهم أوعية للعلم، يشبهون

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل برقم (٣٤٦١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى برقم (١٧٤١).

(٣) أخرجه الترمذي، ت: شاكر في باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع برقم (٢٦٥٦)، وأبو داود في باب فضل نشر العلم برقم (٣٦٦٠)، وابن ماجه في باب من =

الغدران التي تجمع الماء، فيستقي الناس منها، ويشربون، ويزرعون، فهكذا المحدِّثون الذين نقلوا الحديث إلى أن بلغ من هو أفقه منهم، من العلماء الفقهاء، أئمة الدين.

قوله: «**ولم يقبل هدى الله الذي أُرسلت به**» فمثله مثل الطائفة الثالثة، القيعان، التي لا تنفع ولا تنتفع، وهم الجاهلون المعرضون الذين لم يقبلوا هدى الله الذي أُرسل به نبيه ﷺ، فأعرضوا بأنفسهم عن تلقي العلم، فضلًا عن نفع غيرهم، فهذا أسوأ الأقسام. فليحذر امرؤ أن يكون كذلك؛ وليحرص أن يكون من الطائفة الأولى، فإن لم يكن فمن الثانية.

فوائد الحديث:

١ ـ التعليم بضرب الأمثال.

٢ ـ حسن تشبيه الوحي بالغيث بجامع النزول من علو والنفع.

٣ ـ تفاوت الناس في قبول الهدى والعلم، كتفاوت الأرض في قبول الغيث.

٤ ـ فضل العلماء الفقهاء، وحسن أثرهم على الأمة.

٥ ـ فضل الرواة والحفاظ، وحسن أثرهم على الأمة.

❁ ❁ ❁

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولهما: عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا مرفوعًا: «**إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمّى الله، فاحذروهم**».

الشرح

هذا الحديث قد تقدم في باب الوصية بكتاب الله. ولعل هذا ذهول من المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

= بلغ علمًا برقم (٢٣٠)، والنسائي في السنن الكبرى في كتاب العلم، الحث على إبلاغ العلم برقم (٥٨١٦)، وأحمد، ط. الرسالة برقم (١٦٧٣٨)، وصححه الألباني.

حواريو الرسول ﷺ هم الذين يأخذون بسنته

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من نبيٍّ بعثه الله في أمته قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنَّها تخلُف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**»[(١)]، رواه مسلم.

الشرح

قوله: «**حواريون**» قال النووي: (وَأَمَّا الْحَوَارِيُّونَ الْمَذْكُورُونَ فَاخْتُلِفَ فِيهِمْ، فَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ وَغَيْرُهُ: هُمْ خُلْصَانُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَصْفِيَاؤُهُمْ. وَالْخُلْصَانُ الَّذِينَ نُقُّوا مِنْ كُلِّ عَيْبٍ. وَقَالَ غَيْرُهُمْ: أَنْصَارُهُمْ، وَقِيلَ: الْمُجَاهِدُونَ، وَقِيلَ: الَّذِينَ يَصْلُحُونَ لِلْخِلَافَةِ بَعْدَهُمْ)[(٢)].

قوله: «**تخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون**» قال النووي: (وَأَمَّا الْخُلُوفُ، فَبِضَمِّ الْخَاءِ، وَهُوَ جمع خلْف بإسكان اللام، وهو الخالف بِشَرٍّ، وَأَمَّا بِفَتْحِ اللَّامِ فَهُوَ الْخَالِفُ بِخَيْرٍ هَذَا هُوَ الْأَشْهَرُ)[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان برقم (٥٠).
(٢) شرح النووي على مسلم (٢/ ٢٨).
(٣) المصدر نفسه.

«**فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**» هذه مراتب الإنكار، وهذا يوافق قول النبي ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه؛ وذلك أضعف الإيمان**»[1]، فالذي لا يتمعَّر وجهه غضبًا لله، ولا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا، ليس لديه مثقال حبة خردل من إيمان، كما أخبر من لا ينطق عن الهوى.

۞ فوائد الحديث:

١ ـ فضل الأوائل، أصحاب الأنبياء، وتمسكهم بالدين.

٢ ـ ذم المتأخرين الكذابين الأدعياء.

٣ ـ وجوب إنكار المنكر، ومجاهدة المبطلين، حسب الطاقة.

٤ ـ إثبات الإيمان للمجاهدين، ونفي الإيمان عن الراضين بالباطل غير العابئين.

۞ ۞ ۞

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان برقم (٤٩).

تحريم الاقتداء بغير رسول الله ﷺ حتى لو كان نبيًّا

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: يا رسول الله، إنَّا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا، أفترى أن نكتب بعضها؟ فقال ﷺ: «**أمتهوِّكون أنتم كما تهوَّكت اليهود والنصارى؟! لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا اتباعي**»[(١)]، رواه أحمد.

الشرح

هذا الحديث قد تقدم بعضه في باب الوصية بكتاب الله، وبعضه في باب تحريضه على لزوم السنة. والتهوك، كالتهور: وهو الوقوع في الأمر بغير روية، والمتهوك: الذي يقع في كل أمر، وقيل: هو التحير[(٢)].

❁ ❁ ❁

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعن أبي ثعلبة الخشني رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**إنَّ الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحدَّ حدودًا فلا تعتدوها، وحرَّم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمةً لكم غير نسيان، فلا تبحثوا**

---

(١) أخرجه بنحوه أحمد، ط. الرسالة برقم (١٤٦٣١)، وقال محققو المسند: «إسناده ضعيف».

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٨٢).

عنها»، حديث حسن، رواه الدارقطني، وغيره[(١)].

الشرح

هذا الحديث الثلاثون من الأربعين النووية، وقد حسنه النووي رَحِمَهُ اللهُ، وذكر الحافظ ابن رجب له علتين: **إحداهما**: عدم سماع مكحول من أبي ثعلبة، **والثانية**: الاختلاف في رفعه ووقفه. وحكى عن الدارقطني أن الأشبه بالصواب المرفوع، وقال: (قَالَ أَبُو بَكْرٍ السَّمْعَانِيُّ: هَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ كَبِيرٌ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ، قَالَ: وَحُكِيَ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قَالَ: لَيْسَ فِي أَحَادِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدِيثٌ وَاحِدٌ أَجْمَعُ بِانْفِرَادِهِ لِأُصُولِ الْعِلْمِ وَفُرُوعِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ثَعْلَبَةَ، قَالَ: وَحُكِيَ عَنْ أَبِي وَاثِلَةَ الْمُزَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ: جَمَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدِّينَ فِي أَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ أَبِي ثَعْلَبَةَ. قَالَ ابْنُ السَّمْعَانِيِّ: فَمَنْ عَمِلَ بِهَذَا الْحَدِيثِ، فَقَدْ حَازَ الثَّوَابَ، وَأَمِنَ الْعِقَابَ؛ لِأَنَّ مَنْ أَدَّى الْفَرَائِضَ، وَاجْتَنَبَ الْمَحَارِمَ، وَوَقَفَ عِنْدَ الْحُدُودِ، وَتَرَكَ الْبَحْثَ عَمَّا غَابَ عَنْهُ، فَقَدِ اسْتَوْفَى أَقْسَامَ الْفَضْلِ، وَأَوْفَى حُقُوقَ الدِّينِ، لِأَنَّ الشَّرَائِعَ لَا تَخْرُجُ عَنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ الْمَذْكُورَةِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ. انْتَهَى)[(٢)].

وفي الحديث، بيان ما ينبغي للإنسان حيال أوامر الله ومناهيه، فإنها لا تخلو من أربعة أحوال:

قوله: «**إنَّ الله فرض فرائض فلا تضيعوها**»: وهي الواجبات؛ كالصلاة والزكاة، والصوم، والحج. والأحناف يفرقون بين الواجب والفرض، وهي رواية عن أحمد، فيجعلون الفرض ما ثبت بدليل قطعي، والواجب ما ثبت بدليل غير قطعي. والجمهور على عدم التفريق.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك برقم (٧١١٤)، والطبراني في المعجم الكبير برقم (٥٨٩)، والدارقطني في كتاب الرضاع برقم (٤٣٩٦).

(٢) جامع العلوم والحكم، ت: الأرنؤوط (٢/ ١٥٣).

قوله: «**وحدَّ حدودًا فلا تعتدوها**» قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾ [البقرة: ٢٢٩]، فحدود الله: جملة ما أذن الله فيه، فلا يخرج عن حده، كما قال في الطلاق: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾ [البقرة: ٢٢٩]، فتعدِّيها بألَّا يمسك بمعروف، أو لا يسرِّح بإحسان، ونحو ذلك. وقد تسمى المحرمات حدودًا، وقد تسمى العقوبات المقدرة بجلد، أو رجم، أو قطع، أو قتل حدودًا.

قوله: «**وحرَّم أشياء فلا تنتهكوها**» قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ﴾ [الحج: ٣٠]، وحمى الله محارمه، فلا يجوز قربانها. ومما نص الله على تحريمه في كتابه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣]، وقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام: ١٥١]، الآيات الثلاث بعدها.

قوله: «**وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان، فلا تبحثوا عنها**» قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [المائدة: ١٠١، ١٠٢]، وسكوته عنها ليس غفلةً ولا نسيانًا ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [مريم: ٦٤]، فما لم يذكر بتحليل ولا تحريم، لا ينبغي للإنسان أن يبحث عنه، فإنَّ هذا تكلُّف مذموم، وقد أتم الله النعمة، وأكمل الدين، فلا حاجة أن ينبِّش وينقِّر عما سُكت عنه.

فوائد الحديث:

١ ـ وجوب مراعاة فرائض الله بفعلها وعدم تضييعها.

٢ ـ وجوب احترام حدود الله بالتزامها وعدم تعديها.

٣ ـ وجوب تعظيم حرمات الله بعدم انتهاكها وقربانها.

٤ ـ وجوب الكف عما عفا الله بترك السؤال عنها.

٥ ـ رحمة الله بعباده.

٦ ـ تنزيه الله عن الغفلة والنسيان.

تحريم الاختلاف والتفرق

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

❁ وفي الصحيحين: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، فإنَّما هلك من كان قبلكم بكثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم**»(١).

الشرح

قوله: «**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه**» لأنَّ الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها، كقوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠﴾ [الحج: ٣٠]، وقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠﴾ [المائدة: ٩٠].

قوله: «**وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم**» قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ رحيم بعباده، لا يكلفهم ما لا يطيقون. وقد قال ﷺ لعمران بن الحصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما أصابته البواسير: «**صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ**»(٢).

قوله: «**فإنَّما هلك من كان قبلكم بكثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم**» هذا مسلك شاذ، ونزعة انحراف في بعض النفوس المفتونة بالشغب، والبحث

(١) أخرجه البخاري في باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ برقم (٧٢٨٨)، ومسلم في باب فرض الحج مرة في العمر، وفي الفضائل باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله مما لا ضرورة إليه... برقم (١٣٣٧).

(٢) أخرجه البخاري في باب إذا لم يطق قائمًا صلى على جنب برقم (١١١٧).

والتنقير عما هم في عافية منه. والواجب العمل بالمحكمات، والإيمان بالمتشابهات، فامتثل الأوامر، واجتنب المناهي، وما سوى ذلك فأعرض عنه، فإنَّك لن تسأل عنه. ولما جاء رجل إلى المدينة في زمن عمر رضي الله عنه يقال له: صبيغ بن عسل، وصار يقف للصحابة في أفواه السكك، ويضرب كتاب الله بعضه ببعض، دعاه عمر رضي الله عنه، وأعدَّ له عراجين النخل، ثم قال له: من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ، فقال عمر: وأنا عبد الله عمر، ثم قام وضربه بهذه العراجين، وهي شماريخ النخل، حتى أدمى رأسه، وقال: يا أمير المؤمنين! قد ذهب والله الذي في رأسي، فحبسه عمر، ثم عاد وعزَّره مرات، ثم حمله على قتب، وهو الرحل الصغير، ونفاه عن المدينة إلى الكوفة، وهذا يدل على ضرورة الحجر الصحي عن تفشي البدع، كما يكون الحجر الصحي عن تفشي الأوبئة. بل الحجر على أهل الأهواء والبدع والضلالات والإلحاد والزندقة أولى، فإنَّ خطرهم أعظم من خطر من يحمل مرضًا يفسد الأبدان، لأن من يحمل الأفكار الضالة، والغالية، يفسد الأديان، فلهذا نفاه عمر إلى الكوفة، وكتب إلى أبي موسى ألا يكلمه أحد، فكان يقبل على الحلقة، فإذا همَّ أن يجلس إليهم ناداهم أصحاب الحلقة الأخرى: عزمةَ أمير المؤمنين(١)، يذكرونهم، فيطردونه، حتى صار كالبعير الأجرب، لا أحد يقبله، اتقاءً لشره.

فوائد الحديث:

١ ـ أن الأصل في النهي التحريم والاجتناب.

٢ ـ أن الأصل في الأمر الوجوب والامتثال.

٣ ـ أن الاستطاعة شرط في الوجوب.

٤ ـ رحمة الله بعباده.

٥ ـ النهي عن الجدال المذموم، والمراء، ومسائل الشغب.

---

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٤١٤)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/ ٧٠١)، والشريعة للآجري (١/ ٤٨٣).

دعاء الرسول ﷺ لأهل الحديث

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

❁ وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**نضَّر الله عبدًا سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأدَّاها، فرُبَّ حامل فقه غير فقيه، ورُبَّ حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه، ثلاثٌ لا يُغِلُّ عليهنَّ قلب مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة للمسلمين، ولزوم جماعتهم، فإنَّ دعوتهم تحيط من وراءهم**»، رواه الشافعي، والبيهقي في المدخل، ورواه أحمد وابن ماجه، والدارمي عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١).

الشرح

قوله: «**نضَّر الله عبدًا سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأدَّاها**» دعاءٌ له بالنضارة، وهي الحسن والبهاء والإشراق، لمن سمع وحفظ ووعى وأدى.

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢﴾ [القيامة: ٢٢].

من كان من أهل الحديث فإنه ... ذو نضرة في وجهه نور سطع

إن النبيّ دعا بنضرة وجه من ... أدى الحديث كما تحمل واستمع

قوله: «**فرُبَّ حامل فقه غير فقيه، ورُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه**»

---

(١) أخرجه الشافعي (ص٢٤٠)، والبيهقي في المدخل إلى علم السنن برقم (١٨٧)، وابن ماجه في باب الخطبة، يوم النحر برقم (٣٠٥٦)، وأحمد، ط. الرسالة برقم (٢١٥٩٠)، والدارمي في المقدمة، باب الاقتداء بالعلماء برقم (٢٣٥) عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

هذان احتمالان واقعان؛ فمن الناس من يؤتى حفظًا ولا يؤتى فقهًا، كحال بعض الرواة، ومنهم من يؤتى حفظًا وفقهًا، لكن يكون غيره أفقه منه، فيكون التحمل والأداء نافعًا على كل حال.

قوله: «ثلاث لا يغل عليهنَّ قلب مسلم» ضبطت بفتح الياء وكسر الغين، من الغل، أي الحقد، والمعنى: لا يحمله حقد وضغينة على بطر الحق، وضبطت بضم الياء، وكسر الغين، من الإغلال، وهو الخيانة، ومنه الغلول في الغنيمة. والمعنى: أن المؤمن لا يخون في هذه الثلاثة. وكلا المعنيين حق.

قوله: «إخلاص العمل لله، والنصيحة للمسلمين، ولزوم جماعتهم» هذه الثلاث من خالص أوصاف المؤمن، فيخلص العمل لله، وينصح لعباد الله، ويلزم جماعتهم، ولا يشق عصاهم.

قوله: «فإنَّ دعوتهم تحيط من وراءهم» ضبطت الميم في (من) بالكسر والفتح، وهو أقرب، على أنها اسم موصول. أي: إن دعوتهم تشمل من ورائهم، وتحويهم، وتحفظهم، فلا يخرج عن جماعتهم.

فوائد الحديث:

١ ـ فضل أهل الحديث؛ روايةً ودراية.

٢ ـ فضيلة تبليغ العلم ونشره.

٣ ـ تفاوت أهل العلم في الفقه.

٤ ـ عدم جواز الرواية بالمعنى إلا لفقيه.

٥ ـ أن هذه الثلاث سبب لتطهير القلب وسلامته.

٦ ـ وجوب الإخلاص لله تعالى.

٧ ـ وجوب النصيحة للمسلمين؛ أئمتهم، وعامتهم.

٨ ـ وجوب لزوم جماعة المسلمين، وتحريم الخروج عليهم.

٩ ـ بركة الجماعة، وشؤم الفرقة.

العلم ثلاث، وما سوى ذلك فهو فضل

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**العلم ثلاث: آية محكمة، أو سنة قائمة، أو فريضة عادلة، وما كان سوى ذلك فهو فضل**»، رواه الدارمي وأبو داود(١).

الشرح

هذا الحديث في إسناده ضعف. وهو كلام حكيم.

قوله: «**العلم**» المراد ما عُلم من الشارع، وهو العلم النافع، بالله هو بشرع الله.

قوله: «**ثلاث**» أي: أمهات العلم ومصادره ثلاث.

قوله: «**آية محكمة**» أي: واضحة الدلالة، غير منسوخة.

قوله: «**أو سنة قائمة**» أي: ثابتة عن النبي ﷺ عليها عمل المسلمين المستمر.

قوله: «**أو فريضة عادلة**» أي: في قسمة المواريث.

قوله: «**وما كان سوى ذلك فهو فضل**» أي: زيادة.

فوائد الحديث:

١ ـ أن مرجع العلم للكتاب والسنة.

٢ ـ أن ما زاد على الكتاب والسنة، من أمور الدين، فلا حاجة إليه.

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الفرائض، باب ما جاء في تعليم الفرائض برقم (٢٨٨٥)، وضعفه الألباني. ولم نجد الحديث في سنن الدارمي، كما أشار المصنف.

تحريم القول بالرأي في القرآن

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

۞ وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال في القرآن برأيه فليتبوَّأ مقعده من النار**» رواه الترمذي[(١)].

۞ وفي رواية: «**من قال في القرآن بغير علمٍ فليتبوَّأ مقعده من النار**»، رواه الترمذي[(٢)].

الشرح

هذا الحديث قال عنه الترمذي: «حديث حسن صحيح» وضعَّفه بعض أهل العلم. ومعناه حق؛ فإن من قال على النبي ﷺ استحق النار، فكذلك من قال على الله بغير علم. فلا يجوز أن يقال في القرآن بالرأي، لا يقال فيه إلا بالمأثور، وأحسن طرق تفسير القرآن: أن يُفسَّر القرآن بالقرآن، ثم يُفسَّر بالسنة، ثم يُفسَّر بأقوال الصحابة، ثم بأقوال التابعين، كما يُفسَّر أيضًا بلغة العرب. لكن لا يجوز أن يكون بمحض الرأي، دون أثارة من علم. وقد ذكر هذا الترتيب شيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع من كتبه، وبسطه الحافظ ابن كثير في مقدمة تفسيره، ووجهه ودلل عليه.

قوله: «**فمن قال في القرآن برأيه فليتبوَّأ مقعده من النار**» لأنَّه تقوّل على الله بغير علم، حتى وإن أصاب، فإنَّه لا يسلم من العقوبة، قال الله

(١) أخرجه الترمذي، ت: شاكر في أبواب تفسير القرآن، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه برقم (٢٩٥١)، وضعفه الألباني.

(٢) أخرجه الترمذي، ت: شاكر في أبواب تفسير القرآن، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه برقم (٢٩٥٠)، وضعفه الألباني.

تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣]، وهذا ترقٍّ في التحريم من الأخف إلى الأشد. فلا يجوز لأحدٍ أن يفسِّر القرآن من تلقاء نفسه؛ بل يجب أن يأثر في ذلك شيئًا من علم، وإلا فليمسك، فإنَّ القول في القرآن عظيم. وقد كان الصحابة يتدافعون القول في التفسير، ويتهيبونه، تعظيمًا لجناب الله، وخوفًا من وعيده.

فوائد الحديث:

١ ـ خطورة القول على الله وفي كتاب الله بمجرد الرأي، دون أثارة من علم.

٢ ـ أن ذلك من موجبات النار.

٣ ـ فساد مسالك أهل التأويل المذموم، وجرأتهم على الله بنفي ظاهره، وادعاء المجاز.

الترهيب من الإفتاء بغير علم

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من أُفتي بغير علم كان إثمه على من أفتاه، ومن أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره فقد خانه**»، رواه أبو داود[(١)].

الشرح

الفتيا توقيع عن ربِّ العالمين، فإذا أفتى بغير علم باء بإثم فتياه، ومن أُفتي بغير علم فإثمه على من أفتاه، لكن لا يجوز للمستفتي أن يستفتي من هبَّ ودبَّ؛ بل عليه أن يستفتي من يثق بدينه وعلمه وورعه. ولو أن إنسانًا أراد أن يساهم مساهمة تجارية، أو يدخل في بيعٍ وشراء، لذهب يتحرى ويدقق ويسأل؛ لأجل أن لا يخسر درهمًا واحدًا. وتجد بعض الناس يبحث عن المفتين المتساهلين الذين يوافقون هواه؛ وعظَّم من شأنه، وأحال عليه، لأنَّه لا يريد الحق، وإنما يريد تحقيق بغيته. فتجده مثلًا إذا هوي أمرًا من الأمور استدل بفتوى فلان، وإن كان في قرارة نفسه يغمطه في علمه وورعه، لأنَّه وافق هواه، ولو عرض له أمر آخر لا يتعلق بهوى النفس، ذهب يستفتي أهل العلم حقًّا. وهذا من حيل الشيطان، وآفات النفوس. والذي ينبغي أن يسأل من جمع العلم والورع معًا، فإنَّه الحري أن يُستفتى.

قوله: «**ومن أشار على أخيه بأمر يعلم أنَّ الرشد في غيره فقد خانه**» من

(١) أخرجه أبو داود في كتاب العلم، باب التوقي في الفتيا برقم (٣٦٥٧)، وحسنه الألباني.

حق المسلم على المسلم أن يمحضه خالص النصح، كما لو استنصحك أقرب الناس إليك، فلا يجوز أن تغرر به، فإنَّ هذه خيانة، وقد قال النبي ﷺ: «**المستشار مؤتمن**»[(١)]، فلا تخن الأمانة.

فوائد الحديث:

١ ـ تحمل المفتي إثم من أفتاه بغير علم، وضمانه ما قد يترتب على ذلك من إتلاف أو نفقات.

٢ ـ وجوب النصح والأمانة في المشورة.

٣ ـ أن الفتيا بغير علم، خيانة في الدين، والمشورة بغير إرادة الرشد خيانة للأمانة.

* * *

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعن معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ نهى عن الأغلوطات. رواه أبو داود أيضًا[(٢)].

الشرح

الأغلوطات هي المسائل الصعبة الشديدة، وليس في الدين ـ ولله الحمد ـ شيء من ذلك، وإنَّما هذا أمر أحدثه المتكلمون بسبب اشتغالهم بالمنطق اليوناني والفلسفة، فصاروا يدخلون في أصول الدين مسائل عويصة وغامضة. ودين الله تعالى هو الحنيفية السمحة، كما قال الله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ

(١) أخرجه الترمذي، ت: شاكر في أبواب الأدب، باب أن المستشار مؤتمن برقم (٢٨٢٢)، وأبو داود في أبواب النوم، باب في المشورة برقم (٥١٢٨)، وابن ماجه في كتاب الأدب، باب المستشار مؤتمن برقم (٣٧٤٥)، والنسائي في السنن الكبرى في كتاب الوليمة استقبال من قد دعي برقم (٦٥٨٣)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب العلم، باب التوقي في الفتيا برقم (٣٦٥٦)، وأحمد، ط. الرسالة برقم (٢٣٦٨٨) بلفظ: «الغلوطات». وضعفه الألباني.

فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿١٧﴾ [القمر: ١٧]، وقال: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴿٨﴾﴾ [الأعلى: ٨].

قال الخطابي: والمعنى: أنه نهى أن يعترض العلماء بصعاب المسائل التي يكثر فيها الغلط؛ ليُستزلوا بها، ويُستسقط رأيهم فيها، وفيه: كراهية التعمق والتكلف كما لا حاجه للإنسان إليه من المسألة ووجوب التوقف عما لا علم للمسؤول به[(١)].

فوائد الحديث:

١ ـ اجتناب التكلف وتفتيق المسائل الغامضة.

٢ ـ سلوك سبل اليسر والبيان في جميع الأمور.

(١) معالم السنن (٤/١٨٦).

طلب العلم السبيل إلى الجنة

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعن كثير بن قيس قال: كنتُ جالسًا مع أبي الدرداء في مسجد دمشق، فجاء رجل فقال: يا أبا الدرداء إني جئتك من مدينة الرسول ﷺ لحديث بلغني عنك أنك تحدِّثه عن رسول الله ﷺ، ما جئتك لحاجة، قال: فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنة، وإنَّ الملائكة لَتَضع أجنحتها رضًا لطالب العلم، وإنَّ العَالِم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإنَّ فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإنَّ العلماء ورثة الأنبياء، وإنَّ الأنبياء لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنَّما ورَّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر»**، رواه أحمد والدارمي وأبو داود والترمذي وابن ماجه(١).

الشرح

هذا حديث حسن، وهو حديث مشهور، ولعله أشهر حديث في فضل

---

(١) أخرجه الترمذي، ت: شاكر في أبواب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة برقم (٢٦٨٢)، وأبو داود في كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم برقم (٣٦٤١)، وابن ماجه في افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم برقم (٢٢٣)، وأحمد، ط. الرسالة برقم (٢١٧١٥)، والدارمي في المقدمة، باب في فضل العلم والعالم برقم (٣٥٤)، وصححه الألباني.

طلب العلم، وكلٌّ جملة من جمله تاج يوضع على رأس طالب العلم، ففيه بشارات متتالية تحفِّز طالب العلم، وتشجعه على المضي في هذا الطريق الرشيد. وقد أفرد له الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ جزءًا في شرحه.

قوله: «**من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا**» قال ابن رجب: (سلوك الطريق لالتماس العلم يحتمل أن يراد به السلوك الحقيقي، وهو المشي بالأقدام إلى مجالس العلم، ويحتمل أن يشمل ما هو أعم من ذلك من سلوك الطرق المعنوية المؤدية إلى حصول العلم، مثل حفظه، ودراسته، ومطالعته، ومذاكرته، والتفهم له، والتفكر فيه، ونحو ذلك من الطرق التي يتوصل بها إلى العلم)[(١)].

قوله: «**سلك الله به طريقًا إلى الجنة**» وجَّه ابن رجب هذا السلوك، أو التسهيل، كما في بعض الألفاظ، بعدة أوجه، ملخصها:

- أن يسهل الله له العلم الذي طلبه، وسلك طريقه، وييسره عليه، فإن العلم طريق موصل إلى الجنة.

- أن ييسر الله له العمل بمقتضى العلم، فيجعله سببًا لهدايته، وذلك من طرق الجنة الموصلة إليها.

- أن ييسر الله له به علومًا أخرى ينتفع بها، فيكون طريقًا موصلًا إلى الجنة.

- أن ييسر الله له الانتفاع به في الآخرة، وسلوك طريق الحسنى المفضي إلى الجنة، وهو الصراط وما بعده، وما قبله من الأهوال العظيمة، والعقبات الشديدة الشاقة.

قوله: «**وإنَّ الملائكة لَتَضع أجنحتها رضًا لطالب العلم**» وجَّه ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ معنى وضع الملائكة الكرام أجنحتها، بثلاثة توجيهات، ملخصها:

---

(١) شرح حديث أبي الدرداء في طلب العلم، لابن رجب، ت: محمد مفيد الخيمي، ط. مؤسسة الخافقين، الأولى ١٤٠٢هـ (١٤).

ـ المراد فرش الأجنحة، وبسطها لطالب العلم، لتحملهم عليها إلى مقاصدهم من الأرض، إعانةً لهم.

ـ التواضع منهم والخضوع لطالب العلم.

ـ أن الملائكة تحفّ بأجنحتها مجالس الذكر إلى السماء. ثم قال: ولعل هذا القول أشبه.

قوله: «**وإنَّ العَالِم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء**» وفي بعض ألفاظه: «**حتى النملة في جحرها**»[1]، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ [مريم: ٩٦].

قوله: «**وإنَّ فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب**» تأمل القمر ليلة البدر، وهو متوسط في كبد السماء، وقارنه بالنجوم حواليه، فهكذا فضل العالم على العابد، وذلك لأن نفع العابد قاصر على نفسه، ونفع العالم مُتعدٍّ إلى غيره.

قوله: «**وإنَّ العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنَّما ورثوا العلم**» العلم ميراث النبوة، وأخص الناس به المشتغلون بطلبه وتحصيله. قال تعالى مبينًا هذه الصلة الوثيقة: ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [النساء: ٨٣].

قوله: «**فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر**» صدق من لا ينطق عن الهوى! وهذا إغراء شديد. فنسأل الله من هذا الحظ الوافر.

فوائد الحديث:

١ ـ الرحلة في طلب حديث واحد.

٢ ـ فضل العلم وأهله، والترغيب في طلبه.

---

(١) أخرجه الترمذي في أبواب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة برقم (٢٦٨٥)، وصححه الألباني.

الحكمة ضالة المؤمن

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**الكلمة الحكمة ضالَّةُ المؤمن؛ فحيث وجدها فهو أحقُّ بها**»، رواه الترمذي وقال: غريب، ورواه ابن ماجه(١).

الشرح

الحديث غريب، وفيه ضعف، ولكن معناه صحيح.

قوله: «**الكلمة الحكمة**» أي: الكلمة الحكيمة، وهي ما تنطوي على معانٍ نافعةٍ صحيحة. قال تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

قوله: «**ضالة المؤمن**» أي: يطلبها كما يطلب صاحب الضالة ضالته، حتى يعثر عليها.

قوله: «**فحيث وجدها فهو أحق بها**» قال تعالى: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ﴾ [النور: ٢٦]، أي الطيبات من القول للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من القول. قاله ابن عباس. فالمؤمن يتحرى الكلام الحكيم، الفاضل، المميز، المستمد من نور التنزيل، والهدي النبوي.

(١) أخرجه الترمذي، ت: شاكر في أبواب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة برقم (٢٦٨٧)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب الحكمة برقم (٤١٦٩)، وقال الألباني: «ضعيف جدًا».

فوائد الحديث:

١ ـ طلب الحكمة من الأقوال.

٢ ـ المؤمن أولى الناس بالخير.

من هو الفقيه

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إنَّ الفقيه حق الفقيه من لم يُقنِّط الناس من رحمة الله، ولم يُرخِّص لهم في معاصي الله، ولم يؤمنهم من عذاب الله، ولم يدع القرآن رغبةً عنه إلى غيره، إنَّه لا خير في عبادةٍ لا علم فيها، ولا علم لا فَهْمَ فيه، ولا قراءةٍ لا تدبر فيها[(١)].

الشرح

هذا أثر موقوف على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجمله جمل حكيمة، صحيحة، مفيدة.

قوله: «إنَّ الفقيه حق الفقيه من لم يُقنِّط الناس من رحمة الله» القنوط أشد اليأس، وهو من موارد الكفر، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الحجر: ٥٦]، فإذا رأيت واعظًا يغلق على الناس أبواب الرجاء، فاعلم أنَّه ليس بفقيه؛ لأنه يضيِّق عليهم المذاهب، وينبغي أن يستعمل الترغيب والترهيب في خطابه، كما قال الله: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر: ٤٩ ـ ٥٠]، ويضبط كفتي الميزان حتى يتعادل الخوف والرجاء.

قوله: «ولم يرخص لهم في معاصي الله» ليس من الفقه أن يتودد للناس بالفتاوى الشاذة، والتماس الرخص، ليحمدوه، ويقولوا: هذا الشيخ حقًّا! وهذا المفتي حقًّا! لأنَّه وافق أهواءهم.

قوله: «ولم يُؤمِّنهم من عذاب الله» أي: لم يجعلهم يركنون إلى الأمن

(١) أخرجه الدارمي في المقدمة، باب من قال: (العلم: الخشية وتقوى الله) برقم (٣٠٥).

من مكر الله، حتى يبغتهم عذاب الله. قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩٩﴾ [الأعراف: ٩٩]. فينبغي للفقيه أن يستلهم مقاصد القرآن والسنة، ويسوس الناس بما ساس به النبي ﷺ أمته، فخير الهدي هدي محمد ﷺ.

قوله: «**ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره**» إن أفقه الفقه أن يعول المرء على القرآن، ولا يقدم عليه غيره، ولا يزهد به رغبةً فيما سواه. فإذا رأيتَ الرجل زاهدًا في القرآن، مقبلًا على علوم أخرى، فاعلم أنَّ ذلك قلة فقه، وحرمان، فإنه «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**» كما تقدم. ولا بأس أن يستعين بغير القرآن لفهمه، كعلوم الآلة من النحو وغيرها، لكن لا يستغرق فيها، ويستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.

ومن الناس من شرع في طلب العلم، ثم اشتغل بفنٍّ من الفنون الأخرى؛ كالتاريخ، أو الأدب، أو الأنساب، فاستهواه، فانصرف عن التفقه في الدين، وودع القرآن رغبة عنه إلى غيره.

ومن طلاب العلم الشرعي من يحتفي بأقوال العلماء واختلافهم، أعظم من حفاوته بكلام الله، وكلام نبيه ﷺ اللذين هما أصل العلم ومنبعه.

قوله: «**إنَّه لا خير في عبادة لا علم فيها**» لأنَّ العبادة مبناها على العلم، فمن عَبَدَ الله بغير علم لم يصب طلبته، ووقع في البدعة. ومن عَبَدَ الله مستحضرًا للدليل فقد عَبَدَ الله على بينة.

قوله: «**ولا علم لا فهم فيه**» ليس العلم عن كثرة الرواية والمحفوظات، بل العلم الفقه، ومعرفة المقاصد.

قوله: «**ولا قراءة لا تدبر فيها**» القرآن لا يُهذّ هذًّا، ولا ينثر كنثر الدقل، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص: ٢٩]، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾ [محمد: ٢٤]، فينبغي أن يعوِّد الإنسان نفسه على تدبر القرآن، وترتيله شيئًا فشيئًا، حتى يدرك مقاصده ويفقه معانيه، وإذا استعجم عليه شيء طلبه في كتب التفسير بالمأثور، وكلام أهل العلم المعتبرين.

فوائد الأثر:

١ ـ ضرورة الفقه في الدعوة والتعليم، كما الفقه في التحصيل.

٢ ـ التوازن بين الخوف والرجاء، والحذر من القنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله.

٣ ـ تعظيم القرآن، وتدبره، وتقديمه على غيره من كلام الناس.

٤ ـ ضرورة عبادة الله على بينة، وعلم صحيح.

٥ ـ فضيلة تدبر القرآن، لأنه الغرض من تنزيله.

❁ ❁ ❁

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعن الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام، فبينه وبين النبيين درجة واحدة في الجنة**»، رواه الدارمي[١].

الشرح

هذا الحديث لا يصح. وقد رواه أيضًا الطبراني في «الأوسط» بلفظ: «**من جاء أجله وهو يطلب العلم، لقي الله ولم يكن بينه وبين النبيين إلا درجة النبوة**»[٢]. قال عنه الهيثمي في «مجمع الزوائد»: «وفيه محمد بن الجعد وهو متروك»[٣].

وقد ذكر هذا الحديث ابن القيم، ثم قال: (وهذا وإن كان لا يثبت

(١) سنن الدارمي برقم (٣٦٦)، وقال محقق القطوف الدانية فيما انفرد به الدارمي عن الثمانية (ص٩٥): «سنده مجهول، عدا الحسن البصري»، وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥٥)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ـ مختصرة (١١/ ١٦٠) (٥١٥٦).

(٢) المعجم الأوسط برقم (٩٤٥٤).

(٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١/ ١٢٣).

اسناده، فلا يبعد معناه من الصحة، فإن أفضل الدرجات النبوة، وبعدها الصِّدِّيقيَّة، وبعدها الشهادة، وبعدها الصلاح، وهذه الدرجات الأربع التي ذكرها الله تعالى في كتابه في قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩]، فمن طلب العلم ليحيي به الاسلام فهو من الصديقين، ودرجته بعد درجة النبوة)[(١)].

فوائد الحديث:

١ ـ فضيلة طلب العلم، بنية إحياء الدين.

٢ ـ عِظَم منزلة العلماء، وأثرهم في الأمة.

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ١٢١).

باب

قبض العلم

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

۞ باب: قبض العلم: وعن أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كنا مع رسول الله ﷺ، فشَخَصَ ببصره إلى السماء، ثم قال: «**هذا أوانٌ يُختلس فيه العلم من الناس، حتى لا يقدروا منه على شيء**». رواه الترمذي(١).

۞ وعن زياد بن لبيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: ذكر النبي ﷺ شيئًا فقال: «**ذلك عند أوانِ ذهاب العلم**» قلتُ: يا رسول الله، كيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن، ونُقرئُه أبناءنا، ويقرئُه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟ قال: «**ثكلتك أمك يا زياد! إن كنت لأراك من أفقه رجل في المدينة، أوَليس هذه اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل، لا يعملون بشيءٍ مما فيهما؟**»، رواه أحمد وابن ماجه(٢).

۞ وعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: عليكم بالعلم قبل أن يُقبض، وقبضه ذهاب أهله، عليكم بالعلم فإنَّ أحدكم لا يدري متى يفتقر إليه، أو يُفتقَر إلى ما عنده، وستجدون أقوامًا يزعمون أنَّهم يدعون إلى كتاب الله، وقد نبذوه وراء ظهورهم، عليكم بالعلم، وإياكم

---

(١) أخرجه الترمذي، ت: شاكر في أبواب العلم، باب ما جاء في ذهاب العلم برقم (٢٦٥٣)، وصححه الحاكم، والألباني.

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب ذهاب القرآن والعلم برقم (٤٠٤٨)، وأحمد، ط. الرسالة برقم (١٧٤٧٣)، وصححه الألباني.

والبدع والتنطع والتعمق، وعليكم بالعتيق، رواه الدارمي بنحوه[(١)].

❁ وفي الصحيحين عن ابن عمرو مرفوعًا: «**إنَّ الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بموت العلماء، حتى إذا لم يبقَ عالمٌ اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا؛ فسئلوا؛ فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا**»[(٢)].

❁ وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يوشك أن يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ولا يبقى من القرآن إلا رسمه، مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى، علماؤهم شرُّ من تحت أديم السماء، من عندهم تخرج الفتنة، وفيهم تعود**»، رواه البيهقي في شعب الإيمان[(٣)].

الشرح

هذه الأحاديث والآثار التي ذكرها المصنف كلها تدلُّ على أنَّ العلم يُقبض في آخر الزمان، وأن قبض العلم يكون بقبض العلماء الربانيين المحققين الذين يعملون بعلمهم، لا مجرد الحُفَّاظ والقراء، وأن الناس يشتغلون بالرسوم والتشييد، لا بالحقائق والتوحيد.

قوله: «**هذا أوانٌ يُختلس فيه العلم من الناس**» أي: يسلب ويختطف. وربما أراد دنو أجله ﷺ فينقطع خبر السماء، ولهذا شَخَصَ ببصره إلى السماء.

---

(١) أخرجه الدارمي في المقدمة، باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع برقم (١٤٥). ورجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه البخاري في باب كيف يقبض العلم برقم (١٠٠)، ومسلم في باب رفع العلم وقبضه برقم (٢٦٧٣).

(٣) شعب الإيمان ـ للبيهقي برقم (١٧٦٣)، وضعفه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٩١) (٢٧٦).

قوله: «ثكلتك أمك يا زياد! إن كنت لأراك من أفقه رجل في المدينة» عبارة توبيخ، لا يراد بها حقيقة الدعاء عليه، ومثله جار على الألسنة، كقوله: «تربت يداك».

قوله: «أَوَليس هذه اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل لا يعملون بشيءٍ مما فيهما؟» جواب مقنع، ومثال واقع؛ فإن مجرد وجود القراء والرواة بغير عمل، ليس بقاءً للعلم، فإن العلم إنما يراد للعمل. وقد قيل:

العلم يهتف بالعمل فإن أجاب وإلا ارتحل

قوله: «فإنَّ أحدكم لا يدري متى يفتقر إليه، أو يُفتقَر إلى ما عنده» هذا تحريض على تعلم العلم وتعليمه، فقد يعرض للمرء ما يدعوه إلى سؤال من هو أعلم منه، وقد يعرض لغيره أن يسأله ما عنده.

قوله: «وستجدون أقوامًا يزعمون أنَّهم يدعون إلى كتاب الله، وقد نبذوه وراء ظهورهم» وهم علماء السوء، ودعاة الفتنة، وأهل الأهواء والبدع، الذين يلبسون على الناس دينهم. وقد كان.

قوله: «وإياكم والبدع، والتنطع والتعمق، وعليكم بالعتيق» أي: احذروا الإحداث في الدين، كما وقع من الصوفية والمتكلمين، والغلو فيه، كما وقع من الخوارج، والزموا ما كان عليه السابقون الأولون من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

قوله: «حتى إذا لم يبقَ عالمٌ اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» وقد بات هذا مشاهدًا بين الفينة والأخرى! فيظهر في القنوات الإعلامية من يفتي الناس بفتاوى شاذة، ويلتقط لهم الرخص، ليلبي رغباتهم. فليحذر الإنسان من مثل هؤلاء، وليعلم أنَّ الفتوى دين، وأنَّ عليه أن يحتاط لنفسه، وأنَّه لا ينجيه عند الله تعالى أن يتبع من هب ودب؛ بل عليه أن يتوخى ويتحرى من يكون ثقةً وأهلًا للفتيا. وفي آخر الزمان يُرفع القرآن من الصدور ومن السطور؛ وذلك حين يُهجر العمل به، فلا يبقى في صدور حفاظه شيء، ولا يبقى في سطور المصاحف شيء، تكرمة له إذا هُجر، كما أنَّ الله تعالى يأذن بنقض الكعبة من الأرض، فيسلِّط عليها ذا

السُّوَيقتين من الحبشة[(١)] فينقضها حجرًا حجرًا، ويلقيها في البحر، تكرمة لها. لأنَّ الناس يهجرون الدين، والعمل به، فلا يبقى في الناس قرآن ولا كعبة، ولهذا لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق، الذين «**يتهارجون فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة**»[(٢)]، وقال: «**لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله**»[(٣)].

فوائد الأحاديث:

١ ـ أن رفع العلم من علامات الساعة.

٢ ـ أن العلم النافع هو المستلزم للعمل.

٣ ـ جواز التوبيخ لمصلحة.

٤ ـ أن قبض العلم يكون بقبض العلماء.

٥ ـ خطر علماء السوء، وتصدير الجهال.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب قولِ الله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ برقم (١٥٩١)، ومسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل برقم (٢٩٠٩).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه برقم (٢٩٣٧).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب ذهاب الإيمان آخر الزمان برقم (١٤٨).

باب

التشديد في طلب العلم للمراء والجدال

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من طلب العلم ليجاري به العلماء، أو ليماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه، أدخله الله النار**»، رواه الترمذي(١).

الشرح

نبَّه المصنف في هذا الفصل على ضرورة تصحيح النية في طلب العلم، وأن لا يُتَّخذ مطية لأغراضٍ دنيوية، فقال: باب التشديد على من طلب العلم للمراء والجدال، أي: التحذير من ذلك.

قوله: «**من طلب العلم ليجاري به العلماء**» أي: ليضع نفسه في مصافِّ العلماء، ويتصدَّر في المجالس، ويقال: قارئ، أو عالم، أو مفتي، أو نحو ذلك.

قوله: «**أو ليماري به السفهاء**» أي: ليجادل به رقاق الدين، ضعاف العقول، بالقيل والقال.

قوله: «**أو ليصرف به وجوه الناس إليه**» ليُلتفت إليه، ويُرى مكانه، ويشار إليه بالبنان.

قوله: «**أدخله الله النار**» أجارنا الله وإياكم؛ وذلك لفساد نيته، وسوء

(١) أخرجه الترمذي، ت: شاكر في أبواب العلم، باب ما جاء فيمن يطلب بعلمه الدنيا برقم (٢٦٥٤)، وحسنه الألباني.

عمله. وقد ذُكر من الثلاثة الذين أول من تسعَّر بهم النار: «**ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلّمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أُمر به فسُحِب على وجهه حتى ألقي في النار**»[(١)]، فالله، الله، في تصحيح النية في كل عمل.

فوائد الحديث:

١ ـ وجوب تصحيح النية في طلب العلم.

٢ ـ الحذر من الأغراض الشخصية، والمطامع الدنيوية في طلب العلم.

٣ ـ أن ذلك من موجبات النار.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار برقم (١٩٠٥).

الجدال سبب الضلال

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعن أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**ما ضلَّ قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل**» ثم تلا قوله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨﴾ [الزخرف: ٥٨]. رواه أحمد والترمذي وابن ماجه[١].

الشرح

تضمَّن هذا الحديث لفتة مهمة لطلاب العلم، فكما نبههم على ضرورة الإخلاص لله تعالى، والحذر من الرياء، نبههم على ترك الجدل، فإنَّ الجدل آفة نفسية، يُراد به المغالبة، وإظهار العلو.

والجدل نوعان: محمود ومذموم، فمن المحمود: قول الله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقوله: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، والتي هي أحسن: ما يراد بها إظهار الحق، لا إذلال المخالف، فإذا استحال الأمر إلى نوعٍ من المغالبة، والانتصار للذات، فهو جدل مذموم. ومن الجدل المذموم: التشاغل بالأغلوطات، وتفتيق مسائل فرضية لا حاجة لها، وإنَّما هي من فضول الفكر والكلام الذي لا ينفع في الآخرة. فذلك من أعظم أسباب الضلال. والتاريخ شاهدٌ على هذا، فإنَّ أممًا وحضارات سقطت بسبب

(١) أخرجه الترمذي، ت: شاكر في أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الزخرف برقم (٣٢٥٣)، وابن ماجه في افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب اجتناب البدع والجدل برقم (٤٨)، وأحمد، ط. الرسالة برقم (٢٢١٦٤)، وحسنه الألباني.

تشاغلهم في الجدل، والشغب، والأغلوطات، وترك ما خُلقوا لأجله.

قوله: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ أي: ما ذكروا عيسى إلا ليجادلوك به، إشارة إلى ما جرى منهم حين أنزل الله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء: ٩٨] فقالوا: (فَنَحْنُ نَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، وَالْيَهُودُ تَعْبُدُ عُزَيْرًا، وَالنَّصَارَى تَعْبُدُ الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ)[1]، وإنما أراد الله من عبد وهو راض.

فوائد الحديث:

١ ـ أن الجدل من أسباب الضلال، لأنه ينبت الشبهات، ويوغر الصدور.

٢ ـ أن الجدل عند الإطلاق مذموم، وإنما يحمد منه ما قيّد بالتي هي أحسن.

٣ ـ الاستشهاد بالقرآن.

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ت: سلامة (٧/ ٢٣٣).

من أبغض الرجال إلى الله

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

❁ وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أبغض الرجال إلى الله الألدُّ الخَصِم**»(١)، متفق عليه.

الشرح

قوله: «**الألدُّ الخَصِم**» قال ابن حجر: (هُوَ الدَّائِمِ الْخُصُومَة. وَالِاسْم اللَّدِد، مَأْخُوذ من لديدي الْوَادي، وهما جانباه)(٢)، فهو شغوف بالنقاش والجدال، لا ينقطع مهما أقنعته، ومهما أوردت عليه، لا يزال يتشبث بقوله، ولا يحيد عنه. فإذا ابتليت به فأعرض عنه، ولا تضيع وقتك معه، واكتف ببيان الحق مرة واحدة بطريقة يفهمها أمثاله، فإذا فعلت فقد برئت ذمتك. وإنما عبر بالرجولة، لأنه أغلب في الرجال من النساء.

❂ فوائد الحديث:

١ ـ إثبات صفة البغض لله تعالى لمن يستحق البغضاء.

٢ ـ ذم الخصومة والتقعر فيها، لا سيما في مسائل الدين والعلم.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري في كتاب المظالم والغصب، باب قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۝٢٠٤﴾ [البقرة: ٢٠٤] برقم (٢٤٥٧)، ومسلم في كتاب العلم، باب في الألد الخصم برقم (٢٦٦٨).

(٢) فتح الباري (١/ ١٨٣).

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعن أبي وائل عن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: من طلب العلم لأربع دخل النار ـ أو نحو هذه الكلمة ـ: ليباهي به العلماء، أو ليماري به السفهاء، أو ليصرف به وجوه الناس إليه، أو ليأخذ به من الأمراء. رواه الدارمي(١).

الشرح

تقدم بيانه قريبًا. وزاد هنا خصلة رابعة، وهي قوله: «**أو ليأخذ به من الأمراء**» أي: يطلبه ليجمع المال من الأمراء، أو الأغنياء، ما طلب العلم إلا لخصلة من هذه الخصال، فالنار أولى به، وهذا دليل على شرف العلم، وأنه لا يطلب إلا لله ـ تبارك وتعالى ـ، وطمعًا في ثوابه. وما أحسن ما قال الجرجاني:

يقولون لي فيك انقباضٌ وإنما ... رأوا رجلًا عن موقف الذل أحجما
أرى الناس من داناهُم هان عندهم ... ومن أكرمته عزة النفس أكرما
إذا قِيلَ هذا مَنهلٌ، قلتُ: قد أرى ... ولكنّ نفسَ الحرِّ تحتملُ الظّما
ولم أقضِ حقّ العلمِ إن كُنت كلما ... بدا مطمعٌ صيّرتُه لي سُلّما
وما كلُّ برقٍ لاحَ لي يستفزُّني ... ولا كلُّ من لاقيتُ أرضاه منعما
ولم أبتذلْ في خِدمَةِ العلمِ مهجتي ... لا خدم من لاقيت لكن لا خدما
أأشقي به غرسًا وأجنيه ذلةً ... إذا فاتباع الجهلِ قد كان أسلما
ولو أنّ أهل العلمِ صانوهُ صانهم ... ولو عظّموه في النفوس لعظما
ولكن أذلّوهُ فهان ودنسوا ... محيّاهُ بالأطماعِ حتى تجهّما

(١) أخرجه الدارمي في المقدمة، باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله برقم (٣٧٩). وفي إسناده من لا يعرف.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال لقوم سمعهم يتمارون في الدين: أما علمتم أنَّ لله عبادًا أسكتتهم خشية الله من غير صمم ولا بكم، وإنَّهم لهم العلماء والفصحاء والطلقاء والنبلاء؛ العلماء بأيام الله، غير أنَّهم إذا تذكروا عظمة الله طاشت عقولهم، وانكسرت قلوبهم، وانقطعت ألسنتهم، حتى إذا استفاقوا من ذلك تسارعوا إلى الله بالأعمال الزاكية، يعدون أنفسهم مع المفرطين، وإنَّهم لأكياس أقوياء، ومع الضالين والخطائين، وإنَّهم لأبرار برآء، ألا إنَّهم لا يستكثرون له الكثير، ولا يرضون له بالقليل، ولا يُدِلُّون عليه بأعمالهم، حيث ما لقيتهم، مهتمون مشفقون وجلون خائفون. رواه أبو نعيم[(١)].

الشرح

هذا الأثر عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا إن صحت نسبته إليه، فهو يصف حال أهل العلم الصادقين، الذين أكسبهم العلم إخباتًا وخشوعًا وتواضعًا وتذللًا لله عَزَّ وَجَلَّ، وحسن معاشرة لخلقه، لا يستطيلوا على الناس، ولا يتكبرون عليهم، فهذه أوصاف ينبغي أن يتصف بها طالب العلم، لتكون له حلية وزينة في الدنيا، وقربة في الآخرة.

وقد اعتنى العلماء قديمًا وحديثًا بالتصنيف في صفة طالب العلم، ومن أحسن ذلك في المتقدمين: «أخلاق العلماء» لأبي بكر الآجري، وفي المتأخرين: «حلية طالب العلم» للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد، رحمهما الله.

❁ ❁ ❁

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٣٢٥).

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

❁ قال الحسن وسمع قومًا يتجادلون: هؤلاء قوم ملوا العبادة، وخفَّ عليهم القول، وقلَّ ورعهم فتكلموا[١].

الشرح

هذا تحليل نفسي دقيق لحال هؤلاء المتجادلين، وأنَّهم في نظر الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ ما حملهم على ذلك إلا استثقال العبادة، والجرأة، وقلة الورع من الخوض في الكلام، فانهمكوا بتشقيق الكلام الذي لا طائل من ورائه.

❁ ❁ ❁

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء برقم (٢/١٥٦).

باب

التجوز في القول وترك التكلف والتنطع

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**الحياءُ والعيُّ شعبتان من الإيمان، والبذاءُ والبيانُ شعبتان من النفاق**»[١]، رواه الترمذي.

الشرح

قوله: «الحياء والعيُّ شعبتان من الإيمان» في الحديث الصحيح: «**الحياء من الإيمان**»[٢]، لأنه دليل على حياة القلب. والمراد بالعيِّ هنا: الاقتصاد في الكلام، وعدم الثرثرة والتشدق، لا الفهاهة.

قوله: «والبذاء والبيان شعبتان من النفاق» البذاء معروف، وهو الفحش في القول، وسلاطة اللسان. وفي الحديث: «**إِنَّ اللهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ**»[٣]، وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِطَعَّانٍ، وَلَا بِلَعَّانٍ، وَلَا الْفَاحِشِ الْبَذِيءِ**»[٤].

والمراد بالبيان هنا: التشدق، والتفاصح، والتكلف في الكلام، ومدح

---

(١) أخرجه الترمذي، ت: شاكر في أبواب البر والصلة، باب ما جاء في العي برقم (٢٠٢٧)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري في باب الحياء من الإيمان برقم (٢٤)، ومسلم في باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها برقم (٣٦).

(٣) أخرجه الترمذي برقم (٢٠٠٢)، وابن حبان برقم (٥٦٩٣)، وصححه الألباني، انظر: صَحِيح الْجَامِع (١٣٥)، الصَّحِيحَة (٨٧٦)، صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب (٢٦٤١).

(٤) أخرجه أحمد برقم (٣٨٣٩).

الناس بما لا يرضي الله، فهذا شعبة من النفاق، قال تعالى عن المنافقين: ﴿وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ [المنافقون: ٤]، وليس المقصود بالبيان إيضاح الكلام، فهذه منَّة من الله، كما قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمٰن: ١ ـ ٤].

فوائد الحديث:

١ ـ فضيلة الحياء في الأقوال كما الأفعال.

٢ ـ فضيلة القصد في القول، وعدم الثرثرة.

٣ ـ ذم البذاءة والفحش في القول.

٤ ـ ذم التشدق والتفاصح والتوسع في الكلام.

من الذي يبغضه الرسول ﷺ

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعن أبي ثعلبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ أحبكم إلي، وأقربكم مني يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقًا، وإنَّ أبغضكم إليّ، وأبعدكم مني، مساوئكم أخلاقًا؛ الثرثارون المتشدِّقون المتفيْهِقُون**»، رواه البيهقي في شعب الإيمان، وللترمذي نحوه عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[(١)].

الشرح

في هذا إغراء عظيم بحُسن الخلق، فقد كاد حسن الخُلق أن يذهب بخيري الدنيا والآخرة. وفي وصية النبي ﷺ لأبي ذر: «**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخُلق حسن**»[(٢)]، وقد تجد من العبَّاد من يعتني بعبادته، ويحضر إلى الصلوات مبكرًا، ويحتل الأماكن القريبة من الإمام، ويكثر الذكر، ويحافظ على الأوراد، لكن فيه فظاظة، وسوء خُلق، وسوء عشرة مع أهله وجيرانه! فهذا منافٍ للدين، فليس الدين بين أروقة المسجد وجدرانه فقط؛ بل ينبغي أن يتحلى الإنسان بحسن الخُلق في جميع أموره، حتى قال ابن القيم: «الدين كله خُلق، فمن زاد عليك في الخُلق زاد عليك في الدين»[(٣)].

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم (٤٦١٦)، والترمذي، ت: شاكر في أبواب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق برقم (٢٠١٨)، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه الترمذي، ت: شاكر في أبواب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس برقم (١٩٨٧)، وأحمد، ط. الرسالة برقم (٢١٣٥٤)، وحسنه الألباني.

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٢٩٤).

فلهذا كان صاحب الخلق الحسن محبوبًا عند النبي ﷺ، قريبًا منه يوم القيامة، وضد ذلك وهم أبغضهم إليه، وأبعدهم منه سيئو الخُلق، أصحاب الفظاظة والبذاءة.

قوله: «**الثرثارون**» كثيرو الكلام من غير فائدة. يقال عين ثرثارة: إذا كانت كثيرة الماء.

قوله: «**المتشدقون**» المتشدق: الذي يتكلم من شدقيه، لتفاصحه وتعالمه، أو الذي يلوي شدقه استهزاءًا بغيره. قال الترمذي: (وَالثَّرْثَارُ: هُوَ الكَثِيرُ الكَلَامِ، وَالمُتَشَدِّقُ: الَّذِي يَتَطَاوَلُ عَلَى النَّاسِ فِي الكَلَامِ وَيَبْذُو عَلَيْهِمْ).

قوله: «**المتفيهقون**» المتفيهق الذي يفهق فمه يمنة ويسرة، أي: يملأه بالكلام. وفي حديث جابر عند الترمذي: (قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ فَمَا المُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: «**المُتَكَبِّرُونَ**»).

فعلى طالب العلم أن يخبت، وأن يلزم السكينة، وأن يرى أنَّما أجرى الله على يديه من خير فهو من فضل الله عليه، ولا يتعالى على الناس؛ بل يعتبر أنَّ هذا ابتلاء من الله له، فإن هو شكر غَنِم، وإن هو اتخذه لحظ نفسه فقد استوعب حظه في الدنيا، ولن ينفعه في الآخرة.

فوائد الحديث:

١ ـ فضيلة حسن الخلق، وعظيم ثوابه.

٢ ـ ذم التكلف في الكلام، والكبر، وسوء الخلق.

من علامات قيام الساعة خروج قوم يأكلون بألسنتهم

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يخرج قوم يأكلون بألسنتهم كما تأكل البقر بألسنتها**»، رواه أحمد وأبو داود والترمذي(١).

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**إنَّ الله يُبغِض البليغ من الرجال، الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة بلسانها**»(٢)، رواه الترمذي وأبو داود.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تعلَّم صرف الكلام لِيسْبيَ به قلوب الرجال أو الناس، لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا**»(٣)، رواه أبو داود.

الشرح

هذه الأحاديث في ذم من يتفاصح، ويتعالم، ويتشدق بالكلام، لغير الله

(١) أخرجه أحمد، ط. الرسالة برقم (١٥٩٧)، وقال محققو المسند: «حسن لغيره»، ولم نجد الحديث في سنن أبي داود والترمذي، كما قال المصنف، ولعله يشير إلى الحديث التالي.

(٢) أخرجه الترمذي في باب ما جاء في الفصاحة والبيان برقم (٢٨٥٣)، وأبو داود في كتاب الأدب، باب ما جاء في المتشدق في الكلام برقم (٥٠٠٥)، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما جاء في المتشدق في الكلام برقم (٥٠٠٦)، وضعفه الألباني.

تعالى. أما البيان والبلاغة فمِنَّة من الله تعالى، وقد كان النبي ﷺ من أبين النَّاس لسانًا، وأفصحهم كلامًا، حتى قال له أصحابه: ما رأينا الذي هو أفصح منك، فقال: «**وما يمنعني وإنما أنزل القرآن بلساني لسان عربي مبين**»[١]. فإذا كان هذا لله، وفي الله، وبالله، فهو نعمة عظيمة، وقد دعا موسى عليه السلام ربه فقال: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾ [طه: ٢٥ ـ ٢٨]. فالبيان الذي يراد به إحقاق الحق، وإبطال الباطل محمود، حتى قال النبي ﷺ لحسان: «**اهجهم ـ أو هاجهم ـ وجبريل معك**»[٢]، والمذموم ما اتُخذ لأجل صرف وجوه الناس إليه؛ ليقولوا: فصيح وبليغ، أو لإبطال حق، وإحقاق باطل، كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَضَى فِي امْرَأَتَيْنِ مِنْ هُذَيْلٍ اقْتَتَلَتَا، فَرَمَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى بِحَجَرٍ، فَأَصَابَ بَطْنَهَا وَهِيَ حَامِلٌ، فَقَتَلَتْ وَلَدَهَا الَّذِي فِي بَطْنِهَا، فَاخْتَصَمُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَضَى: أَنَّ دِيَةَ مَا فِي بَطْنِهَا غُرَّةٌ عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ، فَقَالَ وَلِيُّ المَرْأَةِ الَّتِي غَرِمَتْ: كَيْفَ أَغْرَمُ، يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ لَا شَرِبَ وَلَا أَكَلَ، وَلَا نَطَقَ وَلَا اسْتَهَلَّ، فَمِثْلُ ذَلِكَ يُطَلُّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الكُهَّانِ**»[٣]، لأجل سجعه الذي اعترض به على قضاء النبي ﷺ.

قوله: «**الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة بلسانها**» شبه إدارة لسانه حول أسنانه وفمه، حال التكلم تفاصحًا، بما تفعل البقرة بلسانها، تشنيعًا لذلك، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان: ١٩].

قوله: «**من تعلَّم صرف الكلام ليسبي به قلوب الرجال أو الناس، لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا**» قال العظيم آبادي: (قَالَ الْخَطَّابِيُّ:

---

(١) ذكره القاضي عياض في الشفا بتعريف حقوق المصطفى، وحاشية الشمني (١/ ٨٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم برقم (٤١٢٣).

(٣) أخرجه البخاري في باب الكهانة برقم (٥٧٥٨)، ومسلم في باب دية الجنين برقم (١٦٨١، ١٦٨٢).

صَرْفُ الْكَلَامِ فَضْلُهُ وَمَا يَتَكَلَّفُهُ الْإِنْسَانُ مِنَ الزِّيَادَةِ فِيهِ وَرَاءَ الْحَاجَةِ . . . وَإِنَّمَا كَرِهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَلِكَ لِمَا يَدْخُلُهُ مِنَ الرِّيَاءِ وَالتَّصَنُّعِ، وَلِمَا يُخَالِطُهُ مِنَ الْكَذِبِ وَالتَّزَيُّدِ وَأَمَرَ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ قَصْدًا بِبُلُوغِ الْحَاجَةِ، غَيْرَ زَائِدٍ عَلَيْهَا، يُوَافِقُ ظَاهِرُهُ بَاطِنَهُ وَسِرُّهُ عَلَانِيَتَهُ. انْتَهَى. **(لِيَسْبِيَ)** بِكَسْرِ الْمُوَحَّدَةِ أَيْ: لِيَسْلُبَ وَيَسْتَمِيلَ **(بِهِ)** أَيْ: بِصَرْفِ الْكَلَامِ **(قُلُوبَ الرِّجَالِ أَوِ النَّاسِ)** شَكٌّ مِنَ الرَّاوِي **(صَرْفًا وَلَا عَدْلًا)** فِي النِّهَايَةِ الصَّرْفُ التَّوْبَةُ أَوِ الْمُنَافَلَةُ وَالْعَدْلُ الْفِدْيَةُ أَوِ الْفَرِيضَةُ)[1]. ومثل ذلك يقع لدى بعض الإعلاميين، ويعدونه مهارة وتأثيرًا على الجماهير.

۞ فوائد الأحاديث:

١ ـ ذم التأكّل بالكلام، واتخاذه وسيلة للتكسب بالباطل.

٢ ـ التشنيع في التشبيه للتنفير من التشدق والتفاصح.

٣ ـ أن تعلم البيان والبلاغة لاستمالة الناس للباطل من كبائر الذنوب.

---

(١) عون المعبود وحاشية ابن القيم (١٣/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨).

صفة كلام رسول الله ﷺ

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان كلام رسول الله ﷺ فصلًا يفهمه كلُّ من يسمعه[(١)]، وقالت: كان يحدِّثنا حديثًا لو عدَّه العادُّ لأحصاه[(٢)]، وقالت: إنَّه لم يكن يسرد الحديث كسردكم. روى أبو داود بعضه[(٣)].

الشرح

هذا وصف دقيق بديع لأحاديث النبي ﷺ فإنها جمل واضحة مرتبة، كقوله مثلًا: «**الصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء**»[(٤)]، ونحو هذا، ولو شاء الإنسان أن يعده لعده، كقوله: «**ثلاث من كنَّ فيه**»[(٥)]، وقوله: «**سبعة يظلهم الله في ظله**»[(٦)] ونحوهما. فهذا يسهل على الإنسان فهمه وحفظه.

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب الهدي في الكلام برقم (٤٨٣٩)، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ برقم (٣٥٦٧)، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم برقم (٢٤٩٣) بنحوه.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب الهدي في الكلام برقم (٤٨٣٩)، وحسنه الألباني.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء برقم (٢٢٣).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان برقم (١٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان برقم (٤٣).

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد برقم (٦٦٠)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة برقم (١٠٣١).

فينبغي لطالب العلم أن يعوِّد نفسه على حسن العرض، وحسن الكلام، لكي يفقه الناس عنه ما يقول، وهذا يحتاج إلى دربة، وأن يتصور الإنسان المسائل العلمية في ذهنه قبل أن يلقيها إلى الناس، وإذا كانت مشوشة في ذهنه، جاء الكلام مشوشًا، وهذا يُنال بالدربة والمراس والتجربة، مع توفيق الله ﷻ.

فوائد الحديث:

١ ـ حسن منطقه وبيانه وتعليمه ﷺ.

٢ ـ تجنب الثرثرة، والغموض، والسرد الذي ينسي آخرُه أولَه.

* * *

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا رأيتم العبد يعطى زهدًا في الدنيا، وقلة منطق، فاقتربوا منه، فإنَّه يُلقى الحكمة**»، رواه البيهقي في شعب الإيمان[(١)].

وعن بريدة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ من البيان سحرًا، وإنَّ من العلم جهلًا، وإنَّ من الشعر حكمًا، وإنَّ من القول عيالًا**»[(٢)].

الشرح

حديث أبي هريرة في إسناده مقال، ومعانيه صحيحة؛ فإن اجتماع الزهد، وهو ترك ما لا ينفع في الآخرة، والاقتصاد في المنطق، مدعاة لصفاء ذهنه، واجتماع همه، وسداد رأيه.

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم (٤٦٣١)، وضعفه الألباني في مشكاة المصابيح (٣/ ١٤٤١) (٥٢٢٩).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما جاء في الشعر برقم (٥٠١٢)، وضعفه الألباني. وهو صحيح دون الجملة الأخيرة أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما جاء في الشعر برقم (٥٠١١).

وحديث بريدة ضعيف أيضًا، ومعانيه حق، ولبعض جمله شواهد صحيحة.

قوله: «**إنَّ من البيان سحرًا**» ثبت ذلك في حديث عبد الله بن عمر مرفوعًا في صحيح البخاري[١]. والسحر في البيان: هو المنطق اللطيف الذي يجذب القلوب، ويستميل النفوس. ولا ريب أنَّ من المتحدثين من يسلب العقول بمنطقه، فإن كان في حق فهو محمود، وإن كان في باطل فهو مذموم.

قوله: «**وإنَّ من العلم جهلًا**» بعض العلم يكون ضررًا على صاحبه، كالعلوم التي صارت مصدرًا للضرر، مما يُسمى بأسلحة «الدمار الشامل»، وربما سُمي السحر علمًا، وسميت الفلسفة والمنطق علمًا، وهي في الحقيقة علوم ضارة؛ بل هي إلى الجهل أقرب منها إلى العلم.

قوله: «**وإنَّ من الشعر حكما**» ثبت ذلك عند أهل السنن بلفظ: «**إن من الشعر لحكمة**»[٢]. فإنَّ من الشعر ما يكون فيه حِكَم ناتجة عن تجارب حياتية، فتكون فيها عصارة هذه التجارب في كلمات محدودة، ولو كان قائلها غير مسلم، كما في معلقة زهير بن أبي سلمى، وغيره.

قوله: «**وإنَّ من القول عيالًا**» وفي لفظ: «**عيلًا**» أي: مما لا فائدة فيه، ولا طائل من ورائه. قال ابن الأثير: (هُوَ عَرْضُك حديثَك وكَلامَك عَلَى مَن لَا يُريده، وليْس مِنْ شَأْنِهِ. يُقال: عِلْتُ الضّالّةَ أَعِيلُ عَيْلًا، إذا لَمْ تَدْر أيَّ جِهَة تَبْغيها، كَأَنَّهُ لَمْ يَهْتَدِ لِمَنْ يَطْلُب كلامَه، فَعَرَضه عَلَى مَنْ لَا يُريدُه)[٣].

وقد شرح أبو داود، راوي الحديث، هذه الجمل الأربع، فقال: (أَمَّا قَوْلُهُ: «**إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا**» فَالرَّجُلُ يَكُونُ عَلَيْهِ الْحَقُّ وَهُوَ أَلْحَنُ بِالْحُجَجِ مِنْ صَاحِبِ الْحَقِّ، فَيَسْحَرُ الْقَوْمَ بِبَيَانِهِ فَيَذْهَبُ بِالْحَقِّ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: «**إِنَّ مِنَ الْعِلْمِ جَهْلًا**» فَيَتَكَلَّفُ الْعَالِمُ إِلَى عِلْمِهِ مَا لَا يَعْلَمُ فَيُجَهِّلُهُ ذَلِكَ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: «**إِنَّ مِنَ**

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٧٦٧).
(٢) أخرجه الترمذي برقم (٢٨٤٤)، وأبو داود برقم (٥٠١١)، وابن ماجه برقم (٣٧٥٦).
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٣١).

الشِّعْرِ حُكْمًا» فَهِيَ هَذِهِ الْمَوَاعِظُ، وَالْأَمْثَالُ الَّتِي يَتَّعِظُ بِهَا النَّاسُ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: «**إِنَّ مِنَ الْقَوْلِ عِيَالًا**» فَعَرْضُكَ كَلَامَكَ وَحَدِيثَكَ عَلَى مَنْ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ وَلَا يُرِيدُهُ)[(١)].

فوائد الحديثين:

١ ـ أن التقلل من الدنيا، والقصد في الكلام، من علامات الحكمة.

٢ ـ تأثير البيان على سامعيه.

٣ ـ أن مما يسمى علمًا ما يكون جهلًا، كعلم الكلام، أو يفتح باب جهالة.

٤ ـ أن من أغراض الشعر شعر الحكمة.

٥ ـ أن بعض الكلام يكون ثقيلًا دخيلًا على سامعيه.

٦ ـ أنه ينبغي للعاقل ضبط منطقه؛ شعره ونثره.

❁ ❁ ❁

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال يومًا وقام رجل فأكثر القول، فقال عمرو: لو قصد في قوله لكان خيرًا له، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**لقد رأيتُ ـ أو أُمرت ـ أن أتجوز في القول؛ فإنَّ الجواز هو خير**»، رواهما أبو داود[(٢)].

آخره.. والحمد لله ربّ العالمين حمدًا كثيرًا.

الشرح

هذا الحديث فيه راوٍ قيل عنه: مقبول، ولكن معناه صحيح، يشهد له ما قبله من الأحاديث والآثار. فإنَّ التجوز في القول، وهو الاقتصاد فيه،

---

(١) سنن أبي داود (٤/ ٣٠٢).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما جاء في المتشدق في الكلام برقم (٥٠٠٨)، وقال الألباني: «حسن الإسناد».

وعدم الثرثرة والكثرة، أدعى للفهم؛ لأنَّه إذا كثر الكلام أنسى آخرُه أولَه.

قوله: «**قال يومًا وقام رجل**» الواو: واو الحال، أي: أنه قال ذلك لما قام رجل فأكثر.

قوله: «**فإنَّ الجواز هو خير**» وهذا مقصود في الخطب والمواعظ العامة، قَالَ أَبُو وَائِلٍ: خَطَبَنَا عَمَّارٌ، فَأَبْلَغَ وَأَوْجَزَ، فَلَمَّا نَزَلَ قُلْنَا: يَا أَبَا الْيَقْظَانِ لَقَدْ أَبْلَغْتَ، وَأَوْجَزْتَ، فَلَوْ كُنْتَ تَنَفَّسْتَ، قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ، فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ، وَأَقْصِرُوا الْخُطْبَةَ، فَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا**»[(١)]، وربما استدعت بعض الأمور الإطالة، كما وقع في بعض خطبه ﷺ فلكلِّ مقام مقال.

فوائد الحديث:

١ ـ خير الكلام ما قل ودل.

٢ ـ خير الهدي هدي محمد ﷺ.

❁ ❁ ❁

تمّ الفراغ من تبييض الشرح ـ بحمد الله ـ

صبيحة الثلاثاء ٢١/ ٥/ ١٤٤٢هـ

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

❁ ❁ ❁

---

(١) مسند أحمد، ط. الرسالة (٣٠/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠).

فهرس المراجع

١ ـ **القرآن الكريم**.

٢ ـ الأبشيهي، محمد بن أحمد بن منصور: **المستطرف في كل فن مستطرف**، الناشر: عالم الكتب بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

٣ ـ ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس: **تفسير القرآن العظيم**، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ.

٤ ـ ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد: **المصنف في الأحاديث والآثار**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

٥ ـ ابن أبي عاصم، عمرو بن أبي عاصم: **السنة**، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ.

٦ ـ ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد: **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ـ محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٧ ـ ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد: **جامع الأصول في أحاديث الرسول**، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، التتمة تحقيق بشير عيون، الناشر: مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، ط١.

٨ ـ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي: **زاد المسير في علم التفسير**، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٩ ـ ابن الرومي علي بن العباس بن جريج: **ديوان ابن الرومي**، تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، عدد المجلدات ٣.

١٠ ـ ابن العماد، عبد الحي بن أحمد: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١١ ـ ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **طريق الهجرتين وباب السعادتين** تحقيق: محمد أجمل الصلاحي، وزائد أحمد النشيري، بإشراف الشيخ: بكر بن عبد الله أبو زيد. ط: دار عالم الفوائد، الأولى ١٤٢٩هـ.

١٢ ـ ابن القيم، محمد بن أبي بكر: **أحكام أهل الذمة**، تحقيق: يوسف أحمد البكري، شاكر توفيق العاروري، الناشر: رمادى للنشر، الدمام، ودار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١٣ ـ ابن القيم، محمد بن أبي بكر: **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

١٤ ـ ابن القيم، محمد بن أبي بكر: **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**، الناشر: مطبعة المدني، القاهرة.

١٥ ـ ابن القيم، محمد بن أبي بكر: **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، الناشر: دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

١٦ ـ ابن القيم، محمد بن أبي بكر: **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

١٧ ـ ابن القيم، محمد بن أبي بكر: **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

١٨ ـ ابن بطة، عبيد الله بن محمد: **الإبانة الكبرى**، المحقق: رضا معطي وآخرون، الناشر: دار الراية، الرياض.

١٩ ـ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: **الفتاوى الكبرى**، الناشر: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

٢٠ ـ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: **مجموع الفتاوى**، المحقق: أنور الباز، عامر الجزار، الناشر: دار الوفاء، ط٣، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٢١ ـ ابن حبان، محمد بن حبان: **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٢٢ ـ ابن حجر، أحمد بن علي: **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**، المحقق: رسالة علمية قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود، تنسيق: د. سعد الشثري، الناشر: دار العاصمة، دار الغيث، السعودية، ط١، ١٤١٩هـ.

٢٣ ـ ابن حجر، أحمد بن علي: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٢٤ ـ ابن حنبل، عبد الله بن أحمد: **السنة**، المحقق: د. محمد القحطاني، الناشر: دار ابن القيم، الدمام، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٢٥ ـ ابن خزيمة، محمد بن إسحاق: **التوحيد وإثبات صفات الرب** عز وجل، المحقق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، ط٥، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٢٦ ـ ابن خزيمة، محمد بن إسحاق: **صحيح ابن خزيمة**، المحقق: د. محمد الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت.

٢٧ ـ ابن رجب زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ): **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق: ١ ـ محمود بن شعبان بن عبد المقصود ٢ ـ مجدي بن عبد الخالق الشافعي، ٣ ـ إبراهيم بن إسماعيل القاضي ٤ ـ السيد عزت المرسي ٥ ـ محمد بن عوض المنقوش ٦ ـ صلاح بن سالم المصراتي ٧ ـ علاء بن مصطفى بن همام. ٨ ـ صبري بن عبد الخالق الشافعي. الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية ـ المدينة النبوية. الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين ـ القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٢٨ ـ ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد: **شرح حديث أبي الدرداء في طلب العلم**، تحقيق: محمد مفيد الخيمي، ط: مؤسسة الخافقين، الأولى ١٤٠٢هـ.

٢٩ ـ ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد: **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم**، المحقق: شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٣٠ ـ ابن سعد، محمد بن سعد: **الطبقات الكبير**، المحقق: علي محمد عمر، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.

٣١ ـ ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله: **جامع بيان العلم وفضله**، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٣٢ ـ ابن عساكر، علي بن الحسن: **تاريخ دمشق**، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٣٣ ـ ابن كثير: إسماعيل بن عمر: **تفسير القرآن العظيم**، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٣٤ ـ ابن كثير، إسماعيل بن عمر: **البداية والنهاية**، تحقيق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٣٥ ـ ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني: **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.

٣٦ ـ ابن وضاح، محمد بن وضاح: **البدع والنهي عنها**، المحقق: محمد أحمد دهمان، دار النشر: دار الصفا، البلد: القاهرة، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

٣٧ ـ أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري علي بن (سلطان) محمد، (المتوفى: ١٠١٤هـ): **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، الناشر: دار الفكر، بيروت ـ لبنان: الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ٩.

٣٨ ـ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: **معجم مقاييس اللغة**، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، الطبعة: ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م. عدد الأجزاء: ٦.

٣٩ ـ أبو الشيخ الأصبهاني، عبد الله بن محمد: **العظمة**، المحقق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الناشر: دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.

٤٠ ـ أبو العباس أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ): **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣هـ، عدد الأجزاء: ١٠.

٤١ ـ أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: ١٣٥٣هـ): **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، عدد الأجزاء: ١٠.

٤٢ ـ أبو زرعة، عبد الرحمن بن محمد: **حجة القراءات**، تحقيق: سعيد الأفغاني، الناشر: دار الرسالة.

٤٣ ـ أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل: **الباعث على إنكار البدع والحوادث**، المحقق: عثمان أحمد عنبر، الناشر: دار الهدى، القاهرة، ط١، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٤٤ ـ أبو عبد الرحمن محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩هـ): **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، ومعه حاشية ابن القيم: **تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته**، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت. الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ. عدد الأجزاء: ١٤.

٤٥ ـ أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني: **عقيدة السلف وأصحاب الحديث**، تحقيق: د. ناصر الجديع، ط: دار العاصمة. الأولى ١٤١٥هـ.

٤٦ ـ أبو نعيم، أحمد بن عبد الله: **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، الناشر: السعادة، بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

٤٧ ـ الآجري، محمد بن الحسين: **الشريعة**، المحقق: عبد الله الدميجي، دار النشر: دار الوطن، الرياض.

٤٨ ـ الأسفراييني، عبد القاهر بن طاهر: **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٧م.

٤٩ ـ الإسماعيلي، أحمد بن إبراهيم: **المعجم في أسامي شيوخ أبي بكر الإسماعيلي**، المحقق: د. زياد محمد منصور، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٠هـ.

٥٠ ـ الأصبحي، مالك بن أنس: **موطأ الإمام مالك**، المحقق: بشار عواد معروف، محمود خليل، الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ.

٥١ ـ الألباني، محمد بن نوح: **ظلال الجنة في تخريج السنة**، لابن أبي عاصم، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤١٣ ـ ١٩٩٣م.

٥٢ ـ البخاري، محمد بن إسماعيل: **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ط١، ١٤٢٢هـ.

٥٣ ـ البزار، أحمد بن عمرو: **مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار**، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرون، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

٥٤ ـ البغدادي، أحمد بن علي: **تاريخ بغداد**، المحقق: الدكتور بشار عواد، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

٥٥ ـ البغدادي، أحمد بن موسى: **السبعة في القراءات**، المحقق: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف، مصر، ط٢، ١٤٠٠هـ.

٥٦ ـ البغوي، الحسين بن مسعود: **شرح السنة**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٥٧ ـ البغوي، الحسين بن مسعود: **معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي**، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

٥٨ ـ البيهقي، أحمد بن الحسين: **الأسماء والصفات**، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، الناشر: مكتبة السوادي، جدة، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٥٩ ـ البيهقي، أحمد بن الحسين: **المدخل إلى السنن الكبرى**، المحقق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت.

٦٠ ـ البيهقي، أحمد بن الحسين: **شعب الإيمان**، تحقيق: د. عبد العلي حامد، إشراف: مختار الندوي، الناشر: مكتبة الرشد بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

٦١ ـ التاودي، ابن سودة: **حاشية التاودي على صحيح البخاري**، الناشر: العلمية، بيروت، ط١.

٦٢ ـ التبريزي، محمد بن عبد الله: **مشكاة المصابيح**، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٨٥م.

٦٣ ـ الترمذي، محمد بن عيسى: **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي.

٦٤ ـ التلمساني، أحمد بن محمد: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر بيروت لبنان، ط١، ١٩٦٨م.

٦٥ ـ الحَمِيدي، محمد بن فتوح: **تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم**، المحقق: الدكتورة زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، الناشر: مكتبة السنة، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٦٦ ـ حنبل، أحمد بن محمد: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، المحقق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

٦٧ ـ الخطابي، حمد بن محمد: **معالم السنن**، وهو شرح سنن أبي داود، الناشر: المطبعة العلمية، حلب، ط١، ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م.

٦٨ ـ الدارقطني، علي بن عمر: **سنن الدارقطني**، تحقيق: شعيب الارنؤوط، وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

٦٩ ـ الدرامي، عبد الله بن عبد الرحمن: **مسند الدارمي المعروف بـ(سنن الدارمي)**، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ ـ ٢٠٠٠م.

٧٠ ـ الذهبي، محمد بن أحمد: **سير أعلام النبلاء**، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٧١ ـ السِّجِسْتاني، سليمان بن الأشعث: **سنن أبي داود**، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

٧٢ ـ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، تحقيق: مركز هجر للبحوث، الناشر: دار هجر، مصر، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٧٣ ـ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: **حقيقة السنة والبدعة = الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع**، المحقق: ذيب بن مصري بن ناصر القحطاني، الناشر: مطابع الرشيد، ١٤٠٩هـ.

٧٤ ـ الشاطبي، إبراهيم بن موسى: **الاعْتِصَام**، تحقيق ودراسة: ، د. محمد بن عبد الرحمن الشقير وآخرون، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

٧٥ ـ صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ)، **شرح العقيدة الطحاوية**، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة (عن مطبوعة المكتب الإسلامي)، الطبعة: الطبعة المصرية الأولى، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٧٦ ـ الصنعاني، عبد الرزاق بن همام: **تفسير عبد الرزاق**، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ.

٧٧ ـ الطبراني، سليمان بن أحمد: **المعجم الأوسط**، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين، القاهرة.

٧٨ ـ الطبراني، سليمان بن أحمد: **المعجم الكبير**، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢.

٧٩ ـ الطبراني، سليمان بن أحمد: **مسند الشاميين**، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م.

٨٠ ـ الطبري، محمد بن جرير: **جامع البيان في تأويل القرآن**، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

٨١ ـ الطرطوشي، محمد بن الوليد: **الحوادث والبدع**، المحقق: علي بن حسن الحلبي، الناشر: دار ابن الجوزي، ط٣، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٨٢ ـ عياض، عياض بن موسى: **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، مذيلاً بالحاشية المسماة: **مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء**، الحاشية: أحمد بن محمد الشمني، الناشر: دار الفكر، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

٨٣ ـ الفريابي، جعفر بن محمد: **كتاب القدر**، المحقق: عبد الله بن حمد المنصور، الناشر: أضواء السلف، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٨٤ ـ القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد: **إصلاح المساجد من البدع والعوائد**، خرج أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، ط٥، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٨٥ ـ القشيري، مسلم بن الحجاج: **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٨٦ ـ اللالكائي، هبة الله بن الحسن: **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة**، تحقيق، د. أحمد سعد حمدان، الناشر، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٢هـ.

٨٧ ـ المخزومي، مجاهد بن جبر: **تفسير مجاهد**، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

٨٨ ـ المروزي، محمد بن نصر: **السنة**، المحقق: سالم أحمد السلفي، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٨٩ ـ المروزي، محمد بن نصر: **تعظيم قدر الصلاة**، المحقق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الناشر: مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٦هـ.

٩٠ ـ المقدسي، عبد الغني بن عبد الواحد: **عقيدة الحافظ تقي الدين عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي**، المحقق: عبد الله بن محمد البصيري، الناشر: مطابع الفردوس، الرياض، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

٩١ ـ المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي: **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف**، تحقيق: مصطفى محمد عمارة، الناشر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، (تصوير، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت) ط٣، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

٩٢ ـ النسائي، أحمد بن شعيب: **السنن الكبرى**، تحقيق: حسن شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

٩٣ ـ النووي، يحيى بن شرف: **الأربعون النووية**، عُنِيَ بِهِ: قصي محمد نورس الحلاق، أنور بن أبي بكر الشيخي، الناشر: دار المنهاج، لبنان بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

٩٤ ـ النووي، يحيى بن شرف: **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

٩٥ ـ النويري، أحمد بن عبد الوهاب: **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

٩٦ ـ النيسابوري، محمد بن عبد الله: **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

٩٧ ـ الهروي، عبد الله بن محمد: **ذم الكلام وأهله**، المحقق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٩٨ ـ الهيثمي، علي بن أبي بكر: **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
* مقدمة	٥
باب: معرفة الله عز وجل، والإيمان به	١١
إن الله لاينام	١٧
إثبات أن لله يمينًا	٢٠
علم الله سبحانه	٢٣
إثبات السمع والبصر لله	٢٥
مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله	٢٧
إثبات صفة الفرح لله	٣٢
إثبات صفة اليد لله سبحانه وتعالى	٣٥
إثبات صفة الرحمة لله سبحانه وتعالى	٣٨
جعل الله الرحمة في مئة جزء	٤١
تعجيل حسنات الكافر في الدنيا	٤٣
إثبات صفة الرضى لله سبحانه وتعالى	٤٥
عظمة الله سبحانه وتعالى	٤٧
حرمة التألِّي على الله	٤٩
المؤمن بين الخوف والرجاء	٥١
قرب الجنة والنار من الإنسان	٥٣
رحمة الله لمن في قلبه رحمة	٥٥
إثبات صفة التعجب لله سبحانه وتعالى	٥٧
صبر الله سبحانه على الذين يدَّعون له ولدًا	٥٩
إثبات صفة الحب لله	٦٢

الموضوع	الصفحة
إثبات رؤية الله سبحانه وتعالى يوم القيامة للمؤمنين	٦٤
انتقام الله لمن عادى له وليًّا	٦٧
نزول الله سبحانه وتعالى	٧٢
وصف الجنان والنظر إلى الله سبحانه وتعالى	٧٥
باب: **قول الله تعالى:** ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾	٧٧
باب: **قول الله تعالى:** ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعًا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾	٨٢
ما هو أول هذا الأمر؟	٨٥
لا يُستشفع بالله على أحد	٨٩
صبر الله عز وجل على تكذيب ابن آدم له	٩٢
تحريم سب الدهر	٩٤
باب: **الإيمان بالقدر**	٩٦
وجوب العمل وعدم التوكل	١٠٢
أخذ الله الميثاق علينا ونحن في ظهر آدم عليه السلام	١٠٤
كتابة العمل والأجل والرزق وشقي أو سعيد ونحن في بطون أمهاتنا	١١٠
دخول الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم	١١٤
إن الله خلق للجنة أهلًا وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلًا وهم في أصلاب أبائهم	١١٧
كل شيء بقدر	١٢٠
معنى قول الله: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾	١٢١
اللوح المحفوظ من درةٍ بيضاء	١٢٣
الإيمان بالقدر يوجد طعم الإيمان	١٢٨
الأمر بالتداوي وأخذ الأسباب	١٣١
المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف	١٣٣
باب: **ذكر الملائكة عليهم السلام والإيمان بهم**	١٣٥

الموضوع	الصفحة
خُلقت الملائكة من نور	١٤١
يدخل البيت المعمور كل يوم سبعون ألف ملك	١٤٢
وصغ حملة العرش	١٤٥
أجنحة جبريل عليه السلام	١٤٨
جبريل أفضل الملائكة	١٥١
خوف الملائكة من النار	١٥٢
الملائكة لا تنزل إلا بإذن الله	١٥٣
صاحب القرن قد التقم القرن للنفخ في الصور	١٥٥
صفة إسرافيل وهو من حملة العرش	١٥٧
وجوب الإستحياء من ملائكة الله والنهي عن التعري	١٦٠
تعاقب الملائكة فينا بالليل والنهار	١٦٢
باب: **الوصية بكتاب الله عز وجل**	١٦٥
من الضلال ترك الكتاب وسنة النبي صلى الله عليه وسلم	١٧٠
من ترك الحكم بكتاب الله قصمه الله	١٧٢
الصراط هو الإسلام	١٧٥
التحذير من الذين يتبعون ما تشابه من القرآن	١٧٨
التحذير من اتباع سبل الشيطان	١٨١
التحذير من اتباع غير الرسول صلى الله عليه وسلم	١٨٤
باب: **حقوق النبي صلى الله عليه وسلم**	١٨٧
وجوب قتال من لم يؤمن بالرسول وبما جاء به	١٩٢
أين تجد حلاوة الإيمان؟	١٩٤
الرد على من اكتفى بالقرآن عن السنة	١٩٦
باب: **تحريضه صلى الله عليه وسلم على لزوم السنة**	١٩٩
الوصية بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وسنة الخلفاء الراشدين والتحذير من البدع	٢٠١
خير الهدي هدي النبي صلى الله عليه وسلم	٢٠٧
عصيان الرسول صلى الله عليه وسلم يوجب إدخال النار	٢٠٩

الموضوع | الصفحة

من رغب عن سنة الرسول ﷺ فليس منه ٢١٠
نفي الإيمان حتى يكون هواه تبعًا لما جاء به الرسول ﷺ ٢١٣
صفة الملة الناجية من النار ٢١٥
إثم من دعا إلى ضلالة ٢١٨
من دل على خيرٍ فله مثل أجر فاعله ٢٢٠
أجر من أحيا سنة من سنن المصطفى ﷺ ٢٢٢
أسباب الفتن ٢٢٤
من يهدم الإسلام ٢٢٦
وجوب الاقتداء بالسلف الصالح رضوان الله عليهم ٢٢٨
تحريم المجادلة في القرآن ٢٣٣
باب: **التحريض على طلب العلم وكيفية الطلب** ٢٣٥
فضل العلماء على سائر الناس ٢٣٧
حواريو الرسول ﷺ هم الذين يأخذون بسنته ٢٤١
تحريم الاقتداء بغير رسول الله ﷺ حتى لو كان نبيًّا ٢٤٣
تحريم الاختلاف والتفرق ٢٤٧
دعاء الرسول ﷺ لأهل الحديث ٢٤٩
العلم ثلاث، وما سوى ذلك فهو فضل ٢٥١
تحريم القول بالرأي في القرآن ٢٥٢
الترهيب من الإفتاء بغير علم ٢٥٤
طلب العلم السبيل إلى الجنة ٢٥٧
الحكمة ضالة المؤمن ٢٦٠
من هو الفقيه ٢٦٢
باب: **قبض العلم** ٢٦٦
باب: **التشديد في طلب العلم للمراء والجدال** ٢٧٠
الجدال سبب الضلال ٢٧٢
من أبغض الرجال إلى الله ٢٧٤

الموضوع | الصفحة

باب: **التجوز في القول وترك التكلف والتنطع** ٢٧٨
من الذي يبغضه الرسول ٢٨٠
من علامات قيام الساعة خروج قوم يأكلون بألسنتهم ٢٨٢
صفة كلام رسول الله ٢٨٥
* **فهرس المراجع** ٢٩١
* **فهرس الموضوعات** ٣٠١